الجوانب الإعلامية

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
مرحلة الإعداد والممارسة العامة في مكة

دكتور
عبد الوهاب كحيل
قسم الصحافة بآداب سوهاج
جامعة أسيوط

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع



في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
مرحلة الإعداد والممارسة العامة في مكة

دكتور
عبد الوهاب كحيل
قسم الصحافة بآداب سوهاج
جامعة أسيوط

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع



الجوانب الإعلامية

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

مرحلتا الإخفاء والممارسة العامة في مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾

صدق الله العظيم

الشعراء
٢١٤ — ٢١٧

الإهـداء

إلى الذين يعترضون على أن هناك ما يسمى :
بالإعلام الإسلامي ..

لعل الله أن يهديهم إلى أن الإسلام :
دين الإعلام ..

ولعلنا لا نتوقف كثيراً عند حد الاختلاف حول
الألفاظ والمسميات ..

ونبدأ العمل بروح الإسلام ..
فيكتب الله لنا السعادة في الدنيا والآخرة .

عبد الوهاب كحيل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على كل حال . الذى بحمده يستفتح كل أمر ذى بال .. والصلاه والسلام والبركة على سيدنا محمد نبى الرحمة . وكاشف الغمة .. الذى نسخت شريعته كل شريعة وشملت دعوته كل أمة . فلم يبق لأحد حجه دون حجته فهو خير من صدع بأمر الله عز وجل . وخير من دعا إلى الله تعالى . وخير من حمل رسالة الله وبلغها إلى الناس . بوعى وبصيرة ، وبالحكمه والموعظه الحسنة ، وبالخلق الحسن ، واللين والمودة ، وبالإصرار والعزيمة ، والمداومة التى لم تكن تهدأ ولا تمل لحظه من ليل ، ولا ساعة من نهار .

فمنذ أن نزل الأمين جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فى غار حراء آمرا إيّاه بأمر ربه عز وجل « **إقرأ ..** » فقال ما أنا بقارىء . فضمه وقال « **إقرأ ..** » قال ما أنا بقارئ . فضمه وقال : « **إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق** » . منذ هذا الموقف إلى يوم أن نام النبى صلى الله عليه وسلم على فراش الموت واختار الرفيق الأعلى . ونظر إلى من حوله محمّلا إياهم أمانة الإعلام والعمل بالاسلام قائلا « الصلاة وما ملكت أيمانكم » . وكان بين هذين الموقفين حياة حافلة عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغت ثلاثه وعشرين سنه . كلها إعلام بدين الله تعالى . وكلها تبليغ وكلها عباده وكلها تعليم قولى وفعلى للبشرية فى كل مجال من مجالاتها وفى كل درب من دروب الحياه حيث أرسى للبشريه أسس السعاده الدنيوية والأخروية .

وقد تحدث العلماء كثيرا عن صفات وعظمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كثير من مجالات العلوم والفنون . وفى كثير من دروب الحياة فقد تحدثوا عنه رجل بلاغة ورجل فصاحة . ورجل سلم ، ورجل حرب من أجل الحق

وتحدثوا عنه رجل إقتصاد . ورجل سياسة . ورجل اصلاح فى كل شيء ، فهو القدوة الحسنة ، والأسوة المثالية فى كل مضمار ، وكل مجال . وهو النور الذى يهتدى به الناس فى كل زمان وكل مكان .

وقد آن لرجال الإعلام أن يتحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته قد مارس الإعلام كما لم ولن يمارسه أحد من قبل ، ولا من بعد مارس الإعلام بعبقرية فذه وطريقه لاتُبارى . للإعلام عن أشرف رسالة . مستخدما مختلف أشكال الإتصال الممكنه بأبسط الوسائل المتاحة فى عصره . ضارباً بذلك المثل الأعلى . فى أن الوسيلة يجب ألا تقف حائلا دون الممارسة الإعلامية ، فإن كانت الرسائل المتاحة بسيطه وقليلة فيمكن أن نمارس الإعلام عن طريقها . وقد فعل ذلك رسول الله صلى عليه وسلم بخطط إعلامية محكمه ومنظمة ودقيقه تتسم بعدم التناقض وتتصف بالإحكام والدقه والتنظيم . و بذلك وصل إعلامه إلى كل مكان على وجه الأرض . ولم يكن إعلامه قاصرا على المسلمين فقط . ولا على أهل مكة فقط . وإنما إلى كل البشر . عبر كل زمان وإلى كل مكان .

وقد سبق النبى صلى الله عليه وسلم أساتذه الإعلام فى العصر الحديث فى تلك الممارسة بصورة أخذت عنها البشرية جمعاء . فلإن كانت الإذاعات تستخدم أعالى الجبال كأماكن لمحطات إرسالها حتى يصل مداها وبثها إلى أبعد مدى ممكن . فقد سبقهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك . حينا جهر بدعوته . حيث صعد جبلا عاليا من جبال مكه . جبل الصفا . لينادى على بطون مكة كلها . و يُعْلمها برسالته العظيمه . وهذا مثل شكلى لكيفية الممارسة الإعلاميه وطريقتها . أما من حيث المضمون والأسلوب فقد كانت ممارسته الإعلامية النبوية أكثر إفاده وتأثيرا . وتعليا لكل رجال الإعلام فى كل زمان ومكان .

فإذا كان أساتذة الإعلام فى العصر الحديث يتفننون — على سبيل المثال — فى كيفية صياغة الرسالة الإعلامية . ومدى ملاءمتها للوسيلة . وملاءمتها فى ذات الوقت للجمهور المستقبل . فقد سبقهم النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك . حينا كان يخاطب كل قوم بما يناسبهم . وكل عصر أو فتره زمنيه بما تيلاءم مع طبيعتها . وكل مجتمع بما يليق به و بأهله — فأهل مكه له طريقة فى التحدث إليهم . والفترة

السرية من عصر البعثة ـ فى بدايتها ـ كان له صلى الله عليه وسلم أسلوب إعلامى فيها يختلف عن الفتره العلنيه مع العلم بأن هذه وتلك فى المجتمع المكى بذاته . كما كان له طريقة وأسلوب فى التحدث إلى الأعراب الذين يتسمون بالغلظة والجفاف تختلف عن طريقته وأسلوبه فى المعامله والتحدث إلى غيرهم . وكان عنده صلى الله عليه وسلم للحكماء كلام . وللشعراء كلام . ولمحبى الاطالة فى الحديث حديث . وكان له أسلوب فى المعاملة مع المنافقين فى المدينة بعد الهجرة . كما كان له أسلوب فى معاملة الأنصار . وكان له أسلوب فى التعامل مع اليهود يختلف عن كل هؤلاء مع العلم بأن الأنصار والمنافقين واليهود هم أهل مجتمع واحد فهو بهذا قد سبق أساتذه العصر الحديث من الإعلاميين فى حسن صياغة الرسالة الإعلامية ومدى ملاءمتها للجمهور . وحسن استخدام أشكال الاتصال الإعلامى المناسبة لتوصيلها مع قصور الامكانات من حيث الوسائل المتاحة فى ذلك العصر . لذا كان لها الأثر الذى حدث ويحدث الى يوم القيامه .

و يقول بعض الباحثين فى العصر الحاضر : « لن نكون مبالغين فى القول إذا أعتبرنا أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم إلى جانب القوى الروحية التى اختصه الله بها عبقريا إعلاميا . يتضاءل بجانبه جهابذه الإعلام فى العالم منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها اكتشف أهمية الإعلام لنشر دعوته ومارس العمل الإعلامى بفنونه المختلفه . وأعدله الخطط العلمية الدقيقه بصورة أذهلت الخبراء . والضاربين فى حقل الاتصال بالجماهير . نهج فى دعوته منهجا إعلاميا خاصا . ووضع لهذه الدعوة أصولا تحوى من الأفكار ما هى بمثابة كنوز لم تكشف النقاب عنها حتى الآن بشكل كاف ذلك أن الحياة الإعلامية لصاحب الرسالة صلوات الله عليه تعوزها جهود الباحثين » (1)

و يقول باحث آخر : « إذا كنا جاهدين على دراسة اكتشافات المفكرين المحدثين فى حقل الإعلام والاتصال بالجماهير فإننا يجب أن نشحذ الهمم ونشجع كل جهد يبذل وكل بحث يقدم لدراسة كل عمل إعلامى . وان نقف طويلا على كل خطوة خطاها الرسول صلى الله عليه وسلم لتوسيع أوتعميق رقعة دعوته . ذلك

(1) محيى الدين عبدالحليم ، الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العمليه (القاهره : مكتبه الخانجى ، ١٩٨٠) ص ١٤٢ .

أننا إذا أعطينا هذه الدراسات حقها فإننا سوف نخلص الى حقائق تتضاءل إلى جانبها اكتشافات هؤلاء العلماء والخبراء المحدثين . ولم نذهب بعيدا وأمامنا دائره المعارف البريطانية تصوغ الجهود والمنجزات العملاقة التى حققها الرسول الكريم فى فتره زمنية وجيزه فقالت فى ذلك : لقد أنجز الرسول فى عشرين عاما من حياته ماعجزت عن انجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارى رغم السلطة الزمنيه التى كانت تساعد جهودهم . وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنيه والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثره الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى » [٢]

وبهذا نرى أنه من الضرورى أن نتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيه الممارسة الصحيحة والصحّية للإعلام . فهو الطريق المضيىء . والنبع الصافى . والمعين الذى لاينضب . حيث مارس صلى الله عليه وسلم الإعلام بفنونه المختلفه . بقصد إحداث التأثير، ومن ثمّ حث الناس على الاستجابة . والأقدام على ماينفعهم فى دنياهم وأخراهم وهو دين الله عز وجل . فلم يكن همّه توصيل المعلومة فقط وانما كان حريصا على إحداث التأثير المطلوب لانقاذ البشرية . وهذا يفيد رجال الاعلام فى ضروره الحرص على التعرف على ردود الفعل التى تحدثها رسائلهم الإعلامية .

وقبل أن نستعرض فى بحثنا هذا كيفيه ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام برسالة الإسلام فى مكة نوضح أمرين هامّين :

أولا : أنه لافارق بين مصطلح الدعوة الاسلامية . بالمفهوم الذى استخدم فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم . ومصطلح الإعلام برسالة الإسلام ، حيث أن تعبير الدعوه الاسلاميه فى ذلك العصر كما يوضحه بعض العلماء هو : « عملية إحياء لنظام ما لتنتقل الأمة به من محيط الى محيط . والدعوة الإسلامية على هذا : حركة إحياء للنظام الإلهى الذى أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم » [٣] .

---

(٢) حافظ محمود ، الاعلام العربى والاعلام الصهيونى (القاهره : المنظمه العربية للتربيه والعلوم والثقافه ، ١٩٧٣) ص ٥١ .

(٣) رءوف شلبى ، الدعوه الاسلاميه فى عهدها المكى (القاهره : مجمع البحوث الاسلاميه ، ١٩٧٤) ص ٣٢ .

وإذا تأملنا هذا التعريف للدعوة الاسلاميه نجد أنه هو الجهد الاعلامى . أو هو العملية الإعلامية التى تؤدى إلى نشر الرسالة عبر الزمان والى كل مكان . فهى تحافظ على امتداد نقل المعلومات بطريقه رأسيه من جيل الى جيل . وبطريقه أفقيه إلى كل مكان . ويؤيد ذلك قول الدكتور عبداللطيف حمزه أستاذ الإعلام « انتشرت دعوة الإسلام بالوسائل المعروفة فى ذلك الوقت . ولكن كان القدماء منذ ظهور الرسول لايعرفون هذا المصلطح الحديث . مصطلح الإعلام والاتصال بأنواعه الثلاثه : الشخصى والجمعى والجماهيرى . واستخدموا مكانه المصطلح المعروف عندهم . وهو مصطلح الدعوه » (٤) .

بذلك فلا فارق يذكر فى استخدام مصطلح الدعوة الاسلاميه بالمفهوم الذى كان معروفا فى العصر النبوى وبين مصطلح الإعلام الاسلامى أو الاعلام بالرساله الاسلاميه وإن كان مفهوم الدعوة والدعاية قد أخذ مفاهيم أخرى بعد ذلك . وسنتحدث عن ذلك تفصيلا فى الفصل الرابع إن شاء الله .

ثانيا : أن الهدف من هذا الكتاب ليس قياس أعمال النبى صلى الله عليه وسلم على أساليب ونظريات الاعلام الحديثه . فهذا منطق معكوس . وانما الهدف هو أن نقوم بعملية تأصيل للممارسة الإعلاميه . لردها إلى الأصل الذى لايخطىء وهو فعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى عصره . وأن نقول للعالم كله ان المسلمين لديهم أسسهم وقواعدهم وأصولهم الإعلامية السليمة القويمة . ولهم شخصيتهم الإسلامية المستقله . فهم ليسوا حيارى أوزائغين وراء الفكر الغربى ولاالشرقى . وإنما هم أهل أقدام راسخه ثابته تستمد اصولها وعراقتها ورسوخها من رسالة السماء . من عند الله عز وجل . وليس عليهم إلا أن يتجهوا إليها ليستفيدوا منها . وليستنيروابها .

ولئن تشابهت بعض النظريات الاعلاميه الحديثه مع بعض الممارسات الاسلاميه للاعلام . فالأولى أن نقول أن الإسلام هو الأصل . والدليل على ذلك هو قدمه التاريخى ، وأن ذلك نقل الى الغرب عبر حركات الترجمه . التى نقلت

(٤) عبداللطيف حمزه ، الاعلام فى صدر الاسلام ، الطبعه الثانيه (القاهره : دار الفكر العربى ، ١٩٧٨) ص ١٠٤ .

تراث الإسلام إلى أوربا . ثم تجاهلوا الاسلام بعد ذلك . ونسبوا ذلك إلى أنفسهم والى مفكريهم

فالهدف إذن معرفه كيفية ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام لنتأسّى بها . ولنضع خططنا الإعلاميه الخاصة بكل شئون ودروب الحياه على نهجها . ونهدى من نورها . فليس معنى الإعلام الإسلامى هو تعليم قواعد الدين فقط كما سنوضح فيما بعد .

وقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى سبعة فصول . يستطيع القارئ من خلالها أن يتعلم كيف يمارس الإعلام الاسلامى . ولو بأقل الوسائل الممكنه . وأبسط الأساليب والطرق .

فقد تحدث الفصل الأول عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الوحى . فعرضنا فيه للصفات المميزة له منذ ولادته وأثناء رضاعته . ثم للصفات المميزة له فى صباه وشبابه فى مكة وخارجها . والتى كانت بمثابه عوامل جذب للانتباه . ولفت للأنظار إليه صلى الله عليه وسلم . وبيان أنه ليس فردا عاديا منذ ولادته .

وفى الفصل الثانى تحدثنا عن إعداد الرسول صلى الله عليه وسلم لأن يكون اعلاميا قديرا . فتحدثنا عن إعداده قبل البعثه . وعن عملية الإعداد فى بداية البعثه . ليكون ذلك نبراسا لكيفيه إعداد رجال الإعلام الإسلامى . وما هى الصفات التى يجب أن تتوافر فيهم . والتى يجب أن يتحلوا بها . ليكونوا رجال اعلام ناجحين .

وتعرضنا فى الفصل الثالث للأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل بالنسبه للبشر فتحدثنا عن الفارق بين النبى والرسول ، وعن صفات الأنبياء والرسل . ثم عن العلاقة أو الدلالة الإعلاميه بين كلمتى نبى ونبأ وكلمتى رسول ورسالة .

ثم انتقلنا إلى عرض كيفيه ممارسته الإعلاميه صلى الله عليه وسلم فى مكه . فتحدثنا فى الفصل الرابع عن أن نشر الاسلام جهد اعلامى . وعن علاقه الدعوه الاسلاميه بالاعلام الاسلامى . ثم تحدثنا عن الممارسة الاعلاميه للرسول فى الفتره السرية ثم فى الفتره العلنيه فى مكه . حسب اقتضاء الزمان والمكان لذلك

موضحين ذلك بالأمثلة ليتعلم الإعلاميون كيفيه الممارسه الاعلاميه حسب طبيعه المجتمع وحسب الظروف الزمانيه . وهو ما يسمى بالظرف الا تصالى .

وفى الفصل الخامس عرضنا لممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم للإعلام بالإسلام خارج مكة فى العهد المكى . حيث قابل وفد النصارى . وذهب الى الطائف وعرض نفسه على القبائل فى مواسم الحج والأسواق . وقابل وفد الأنصار وبايعهم ثم ماكان فى الهجرة النبوية من أحداث إعلامية . وقدم الفصل السادس تتمة لذلك وهو إرسال الصحابة رضى الله عنهم فى مهمات إعلاميه خارج مكه فى العهد المكى حيث أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الحبشة وأرسل مصعب بن عمير الى المدنيه فى مهمات محددة . ثم كانت هجرة الصحابة الى يثرب بعد ذلك .

وسنجد أن هذه الممارسة الاعلاميه النبوية فى مكه قد تمت وفق خطه إعلاميه محكمه دقيقه وقويه ومتناسقه تخدم رسالة الاسلام . حيث كل خطوه تخدم ماتقدم من أجله وتمهد فى ذات الوقت للخطه التاليه لها . فى اتساق ودقه وتنظيم يجب أن يستفيد منه رجال الاعلام فى العصر الحديث . حيث يعيب اعلامنا رغم وسائلة عمبيات التناقض بين مختلف الوسائل عن الموضوع الواحد . حتى داخل الوسيله ذاتها نجد التناقض مما يؤدى إلى انعدام الثقه فى الإعلام كله . وفى المضمون الذى يقدم فيه ، حيث تحث بعض البرامج على سبيل المثال على الحياء والفضيله ثم يُعرض فيلم تليفزيونى يؤدى إلى نزع الحياء من الوجوه ، و يؤدى الى تبرير السلوك الإجرامى والفاضح .. وهكذا فهل يثق المستقبل فى مضمون البرنامج الداعى الى الفضيله . أم فى مضمون الفيلم الداعى إلى الرزيله ؟ !

وتحدثنا فى الفصل الأخير عن أشكال الا تصال الإعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم فى اعلامه بالإسلام فى مكه .. حيث قدمنا لذلك بمقارنة مبسطه بين وسائل الاعلام وأشكال الا تصال ليتبين لنا كيف استخدم النبى صلى الله عليه الوسائل المتاحة فى عصره للإعلام الأمثل بدعوته ورسالته . ثم عرضنا لأهمية الا تصال الذاتى فى الإعلام الإسلامى . ثم للا تصال الشخصى والجمعى ودورهما فى خدمة الإعلام بالإسلام فى مكة .

آمل أن اكون قد حققت الهدف المطلوب .. وهو كيف نمارس الإعلام الاسلامى ؟
وستتم الاجابه على هذا السؤال بعد أن نعرض فى بحث قادم للممارسة التطبيقية للإعلام النبوى فى المدنيه . وسيكون ذلك إن شاء الله فى كتاب الأسس الاعلاميه فى القرآن والسنه .

أما هذا الكتاب فإنه يبين لكل إعلامى فى كل زمان وكل مكان أنه إذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد مارس الإعلام برسالة الإسلام فى مكه بمثل هذه الوسائل البسيطه المتاحة فى عصره وفى وسط هذه الظروف الزمانيه والمكانيه الصعبة . إذا كان قد مارس الإعلام الإسلامى رغم ذلك بما حقق انتشار الاسلام الى كل مكان وعبر كل زمان ..

فأى تقصير هذا الذى نحن فيه ؟

إننا بهذه الوسائل الجماهيريه الحديثه والمتاحة فى عصرنا . يجب أن ننشط لممارسة الإعلام الإسلامى بما يحقق إفادة البشرية . فى دنياها وآخراها . حيث أن الإعلام الإسلامى غير قاصر على المفهوم التقليدى . وهو تعليم قواعد واركان الدين كما يظن البعض . كما أنه ليس قاصرا على الوسائل التقليديه أو يمانع فى استخدام الوسائل الحديثه . بل العكس . فالاسلام هو دين إعمال الفكر والعقل . وهو دين الحركه والمرونه والنشاط أن الاسلام يعارض ما هو مضاد للعقيده ذاتها أو ما يتعرض لقواعد الدين وفرائضه . أما استخدام الوسائل الحديثه فلا شىء فيه . حيث إن الوسيلة محايده . وتنقل مايقدم لها . فالمهم إذن هو مضمون الرسالة . وليتم نقل ذلك بأى وسيلة تحقق خدمه الجمهور وخدمة المجتمع . وتتمشى مع روح العصر ..

إن ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه للإعلام بالإسلام رغم فقر الوسيلة وصعوبة الظروف الاتصاليه . لتقيم علينا الحجه . لأننا نمتلك الوسائل المتطوره التى توفر الجهد والوقت وتجذب المستقبل إليها . وتفيده بما تقدمه له من مضامين نافعه . فنحن إذا أحسنا استخدام الوسائل بما ينفع الناس بالفعل بناء على نهج الإسلام . واقتباسا من نوره كان إعلامنا إسلاميا . واستطعنا بذلك أن نرفع

عن البشرية أعباء الماديه وطغيانها المدمر. حيث الإعلام الإسلامى موجه إلى كل الناس فى كل زمان وكل مكان لا إلى المسلمين وحدهم . ولا إلى مكان بعينه . ولا إلى زمان بعينه .

وحسبى فى هذا البحث أننى استعنت بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وضربت الأمثله من حياته ، ومواقفه . فهو الأسوة والقدوه الحسنة للناس جميعا . وهو رسول الله الأمين . الذى لم يكذب قط . والذى شهد له بذلك أعداؤه وأصحابه وأهله . وهم أعرف الناس به . ولو كانوا قد علموا عنه موقفا واحدا يشوب سيرته أو يمس سمعته . لما وقفوا معه مساندين . ومؤمنين به و برسالته .

آمل أيضا أن يستفيد من هذا كل مسلم غيور على دينه . فليس الحديث هنا لرجال الاعلام المعروفين بأن هذه مهنتهم فقط . إنما لكل مسلم حيث كل مسلم يجب أن يكون إعلاميا بالاسلام . وأن نعتز جميعا بشخيتنا الإسلامية . التى تمتلك كنوزا لا تنفد .. ولا تخطىء لانها من عند الله عز وجل .. فلسنا حيارى ، ولا منقادين لأى فكر .. لأننا يقودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفكر الموحى إليه من الله عز وجل والله الموفق والمستعان .

د . عبدالوهاب كحيل

دلجا فى ١٢ يوليو ١٩٨٦

صفات الرسول قبل الوحي

صفات الرسول صلى الله عليه وسلم

قبل الوحى

أولا : الصفات المميزه لمحمد منذ ولادته وأثناء رضاعته .

ثانيا : الصفات المميزه لمحمد فى حياته وشبابه فى مكة وخارجها .

أولا : الصفات المميزه لمحمد منذ ولادته وأثناء رضاعته

ولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم يتيم الأب . وقد كانت ولادته على شوق كبير ولهفه لدى زعيم قريش وسيدها المطاع فيها عبدالمطلب . فقد كانت لهفته بالغة على أن يكون هذا المولود ذكرا ذلك أنه ابن ابنة الأصغر، وأحب أولاده إلى قلبه والذى توفى شابا قبل أن يولد له مولوده الأول . لذا كانت فرحة عبد المطلب بولادة النبى صلى الله عليه وسلم لاتعدلها فرحة . فقد إستقبل الخبر بالبشر والترحاب .

« وحمل عبدالمطلب الطفل بين يديه ومش به حتى دخل الكعبة فعوذه وأثنى على الله ثم أرجع الطفل الى أمة . وفى اليوم السابع من ولادته ذبح عنه جزورا ودعا أعيان قريش ليأكلوا . ولما أنتهوا من الطعام سألوه : ما سميته ؟
قال : محمدا . ولم يكن هذا الاسم متداولا ولكنه كان معروفا — فقالوا : أرغبت عن أسماء آبائه ؟ قال : أردت أن يكون محمودا فى السماء لله وفى الأرض لخلقه » (١) .

و يذكر بعض المؤرخين أن عبدالمطلب كان قد رأى فى نومه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء ، وطرف فى الأرض ، وطرف فى الشرق وطرف فى الغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كلهم كأنهم يتعلقون بها . فقص عبدالمطلب رؤياه ، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض . فكذلك سماه محمدا . وسمته أمه من قبل : أحمد فهو أحمد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

---

(١) عبدالغفار عزيز وآخرون، لمحات فى السيره النبوية وتاريخ الدعوة الاسلامية ، الطبعة الأولى (القاهر: الفاروق الحديثه للطباعة والنشر، ١٩٨٢)ص ٣٧.

(٢) عبدالحليم محمود ، القرآن والبنى (القاهره : دار المعارف ، ١٩٧٩)ص ٢٢١ .

وترعرع النبى صلى الله عليه وسلم فى كنف جده عبد المطلب والذى أرسله للرضاع فى بنى سعد كما كانت عادة العرب . وأن يرسلوا أولادهم للرضاع فى قبائل البدو حتى سن الثامنه أو العاشره .

والمعروف غالبا أن اليتم تكون تربيته أقل من غيره . إما لإهمال أمر تربيته . وأما لكثره الحنو والشفقه عليه . وكلا الأمرين يفسدان التربيه ويجعلان الطفل ينشأ نشأة غير سويّة .

أما النبى صلى الله عليه وسلم فمع كونه ولد يتيم الاب ثم ماتت امه بعد سنوات قليلة ، فاصبح يتيم الأبوين ، إلا انه مع ذلك كانت تربيته كأحسن ماتكون التربيه . ونشأته كأحسنَ ماتكون النشأة . فقد أدبه ربه سبحانه وتعالى بأدبه وشمله برحمته وحفّه بعنايته . وتشهد بذلك صفاته صلى الله عليه وسلم فى صباه وفى شبابه قبل البعثه حيث لم يكن طفلا عاديا أو شابا عاديا أو رجلا عاديا . وإنما كان على قدر منَ الأدب الجم . . والصفات الجميلة والخصال الحميده .

ولو نظرنا إلى ما صاحب ولادة النبى صلى الله عليه وسلم من علامات واشارات وارهاصات . لوجدنا أنها كانت عوامل جذب انتباه الى هذا المولود والى زمانه . وكانت عوامل تنبيه للرهبان وأصحاب الكتب إلى إعاده استقراء كتبهم لكشف مايغمض على العامة من أمر هذه الارهاصات . وكانت أجراس إنذار لسدنة الآلهة والأصنام بأن يرحلوا وأن يتخلوا عن مناصبهم وأماكنهم تلك . وكانت إيذانا بأنتهاء الديانات الفاسده وعهدها و ببداية الإسلام — الدين الصحيح — وعهده وعصره الممتد الى قيام الساعه . وكانت أخير بلغتنا الإعلامية عوامل تهئيه للرأى العام فى مجتمع العصر الجاهلى لتلقى الرسالة الجديدة وصاحبها . كما كانت عملية إعداد للنبى صلى الله عليه وسلم منذ ولادته للقيام بأعباء هذه الرساله . التى وصفها الله عز وجل « **إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا** » (٣) .

ولأن الرسالة التى حملها النبى صلى الله عليه وسلم وظيفتها تغيير الأنظمة المتعارف عليها والمتوارثه فى مجتمع العصر الجاهلى . لذلك بدأت تهئية الرأى العام لتلقيها منذ ولادة النبى صلى الله عليه وسلم واستمرت فى صباه وشبابه وحتى

(٣) سورة المزمل (٥) .

بعثته . ولأن هذه الرسالة كانت ثقيلة فإن عملية اعداد النبى صلى الله عليه وسلم لتحمل هذه الرسالة قد بدأت منذ ولادته وإستمرت أيضا فى صباه وشبابه ورجولته وبعثته وبعد بعثته وحتى استتب أمر الدعوة وقيام الدولة الاسلامية شامخة قوية بكل أنظمتها وقيمها وإعلامها المتكامل والقوى والمستمر الى يوم القيامه . صالحا لكل زمان وكل مكان وكل مجتمع على اختلاف الأزمنه وأختلاف الأمكنه واختلاف المجتمعات . ورغم تقدم وسائل الاتصال والاعلام . إلا أن الإعلام الإسلامى الذى رسمه ومارسه النبى صلى الله عليه وسلم صالح من حيث مضامينه وطريقته لكل زمان وكل ومكان .

وقد لعبت هذه الإرهاصات التى صاحبت ولاده النبى صلى الله عليه وسلم دورها فى جذب الانتباه الى هذا المولود منذ يوم ولادته وإلى أنّ له شأنا عظيما ، حيث أدت بأصحاب الكتب إلى التقليب فى كتبهم للإخبار بأنها علامات ولادة بنى آخر الزمان الذى أظل عصره . كما كشفت عن صفاته صلى الله عليه وسلم وصفات زمانه وصفات رسالته منذ بداية حياته ونشأته .

« عن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال : والله إنى لغلام يفعة [٤] ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أُطُمه بيثرب * : يامعشر يهود ، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك مالك !! قال طلع الليلة نجم أحمد الذى وُلد به » [٥] .

وقد كان من الإرهاصات والعلامات التى لفتت الأنظار إلى صفات النبى صلى الله عليه وسلم منذ نشأته . وأشارت إلى أنه طفل غيرعادى . ماحدث مع مرضعته حليمة السعدية والتى جاءت مع صاحباتها إلى مكة يلتمسن الأطفال لارضاعهم . وكن يُعرضن عن اليتامى لأنهن كن يرتجين البر من الآباء . لذا لم تُقبل واحده منهن على محمد (صلى الله عليه وسلم) .

---

(٤) « غلام يفعه » معناه قوى قد طال قدّه .

(*) الأطم : الحصن .

(٥) أبومحمد عبدالملك بن هشام ، سيره النبى ، مراجعه وتعليق محمد محيى الدين عبدالحميد ، كتاب التحرير الجزء الأول (القاهره : مؤسسه دار التحرير للطبع والنشر . ١٩٧٣) ص ١٧١ ، ١٧٢ .

« أما حليمه فلم تجد طفلا . لذا قالت لزوجها حين أجمع القوم على الأنطلاق من مكه : والله إنى لأكره أن أرجع مع صواحبى ولم آخذ رضيعا . والله لأذهبّن إلى ذلك اليتيم ولآخذنه ! وأجابها زوجها الحارث بن عبد العزى : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركه . وأخذت حليمة محمداً وانطلقت به مع قومها الى الباديه وكانت تحدث أنها وجدت فيه منذ أخذته أتى بركه . سمنت غنمها وزاد لبنها . و بارك الله لها فى كل ماعندها .

وأقام محمد — صلى الله عليه وسلم — فى الصحراء سنتين ترضعه حليمة وتحضنه ابنتها الشياء ، ويجد فى هواء الصحراء وخشونة عيش البادية مايسرع به إلى النمو و يز يد فى وسامة خلقه وحسن تكوينه . فلما تم له سنتان وآن فصاله ذهبت به حليمة إلى أمه ثم عادت به إلى البادية ، رغبة من أمه — فى رواية — ومن حليمة — فى رواية أخرى — عادت به حتى يغلظ ، وخوفا عليه من و باء مكه . وأقام الطفل بالصحراء سنتين أخر بين يمرح فى جو باديتها الصحو الطلق لا يعرف قيدا من قيود الروح ولا من قيود الماده(٦) .

وهكذا نجد أن الله عز وجل قد شاء لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينشأ نشأة مثلى فرغم كونه يتيما والمرضعات لم يكنّ يُقبلن على اليتامى . إلا أن الله أراد السعاده لحليمه فرجعت هى وزوجها فأخذت الطفل اليتيم محمدا صلى الله عليه وسلم . وقد اكتسب النبى صلى الله من رضاعته فى بنى سعد بن بكر الخشونه والشجاعة والفصاحة . أى اكتسب صفات جسميه وخلقيه وروحية تؤهله خير تأهيل لتحمل الأعباء الجسام التى كانت تنتظره .

وقد رأت حليمة بركة النبى صلى الله عليه وسلم منذ أن أخذته على دابتها السقيمة الضعيفة ، والتى قويت فور حملها للبنى صلى الله عليه وسلم على ظهرها . كما رأت بركاته — صلى الله عليه وسلم — فى غنمها وعلى قومها جميعا فأحبت بقاءه عندها بعد أن آن فصاله ، ولم تعد به إلى أمه إلاّ بعد أن حدثت حادثه شق الصدر التى رواها لها أحد إخوته من الرضاعه . فخافت عليه الشرّ فعادت به إلى أمه فى مكه . لشده خوفها عليه .

---

(٦) محمد حسين هيكل ، حياه محمد ، الطبعة الرابعه عشره (القاهره : دار المعارف ، ١٩٧٧) ص ١٢٧ .

و يدلنا حديث شق الصدر على ماحقق الله سبحانه وتعالى به نبيه من صفات روحيه جميله . حيث أرسل الملائكة يغسلون قلبه منذ حداثته بماء الحكمه و يستخرجون منه الشوائب . حتى يشب صافيا . خاليا من كل دنس .

رُوىَ أن نفرا منّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك . قال : نعم « أنا دعوة أبى ابراهيم ، و بشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخى لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا ، أخذانى فشقا بطنى ، واستخرجا قلبى فشقاه ، فاستخرجا منه عليقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبى و بطنى بذلك الثلج حتى انقياه » قال « ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزننى بهم ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائه من أمته ، فوزننى بهم ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته . فوزننى بهم ، فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها » (٧) .

وقد حدثت حادثة شق الصدر هذه بصورة مرئيه ومحسوسه انزعج منها أخوه من الرضاعة . وانزعجت لها حليمة وزوجها وعادا به على إثرها إلى أمه بمكه تخوفا عليه . ثم تناقل الناس هذه الرواية فيما بعد . وما ذلك إلا تعريفا به صلى الله عليه وسلم وبصفاته بين الناس فى مجتمعه . وليكون معروفا بين قومه . فما كان أيسر ولا أسهل من أن يتم ذلك — أى تطهير قلبه وصدره — دون هذه الحادثه المحسوسه . لكن الله عز وجل أراد أن يشهد الناس جميعا فى هذا المجتمع الذى لم يكن يؤمن إلا بما يرى من محسوسات . أراد أن يُشهدهم بصورة محسوسة على نقاء قلب النبى صلى الله عليه وسلم وصفاء صدره . كما أراد أن يلفت أنظار الناس إلى أهمية النبى صلى الله عليه وسلم والى صفاته النقية منذ حداثة سنه . ومنذ نشأته الأولى .

وكان أهل الكتب من اليهود والنصارى يعرفون جيدا صفات النبى صلى الله عليه وسلم والتى كانت مذكورة فى كتبهم ، تصفه وصفا جيدا سواء فى صباه أو فى شبابه أو فى بعثته كما تصف زمانه ومكانه وأهله . ولا أدل على ذلك مما حدث من

---

(٧) أبومحمد عبدالملك بن هشام ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

بعض نصارى الحبشه « والذين رأوا الطفل محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع حليمه السعديه حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه . وقلبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به إلى ملكنا و بلدنا ، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره . فلم تكد تنفلت به منهم » (٨) .

وتتابعت الإرهاصات الدالة على عظمة شأن النبى صلى الله عليه وسلم منذ صباه . والمشيره الى اختلاف نشأته عن غيره من أقرانه من أبناء مكه وفتيانها وما كان ذلك إلا تميز اله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا ما جهر بدعوته فى بعد تأمل العرب تاريخه فوجدوا أنه بالفعل يختلف عن غيره من الصبية الذين نشأوا معه فى صباه . ويختلف عن غيره من الشباب وعن غيره من سائر المكيين ، الذين نشأوا وتربوا فى نفس الظروف الاجتماعيه والنفسيه والإقتصاديه والسياسيه والمناخيه . فالبيئة والظروف كلها موحده إلا أن نشأه النبى صلى الله عليه وسلم منذ بدايتها كانت تختلف عن نشأة جميع من نشاوا وعاشوا فى نفس الزمان والمكان وتعرضوا لنفس الظروف . بل وقد كان بعضهم يتمتع بكثير من المزايا التى لم تتح للطفل محمد (صلى الله عليه وسلم) من حيث وجود الأب . ومن حيث الثراء وكثرة المال . فقد ولد محمد يتيما فقيرا فى كفالة جده عبد المطلب . فمع كون عبد المطلب سيد العرب وزعيمها آنذاك إلا أنه كان فقيرا من حيث المال .

وقد استمرت هذه العوامل السابقة فترة طفولة النبى صلى الله عليه وسلم وتتابعت أيضا حتى شبابه فمنها على سبيل المثال وفاة أمه وهو فى سن السادسه ومن الملفت للنظر أيضا أنها توفيت وهى فى طريق عودتها إلى مكه ، ومحمد معها بعد أن قدمت به على أخواله فى بنى النجار « يقول ابن اسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة . توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالأبواء بين مكه والمدنية كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة به الى مكة » (٩) .

---

(٨) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

كان عبد المطلب زعيم العرب وسيدها المطاع — رغم كثره أولاده وأحفادة يرى أن لمحمد شأنا عظيما . فكان يحنو عليه و يوليه رعاية ومكانة لم يولها لأولاده أنفسهم . من ذلك ما ذكره ابن اسحق أيضا « أنه كان لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابنى ، فوالله إن له لشأنا . ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ، و يسره ما يراه يصنع » [10] .

وتوفى عبد المطلب بن هاشم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمانى سنوات وكفله من بعد عبد المطلب عمه أبوطالب . الذى تولى ذلك عملا بوصية أبيه ، كما يقول ابن اسحق « كان أبوطالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ، فكان إليه ومعه » [11] .

ومما يدل على ظهور مكانة النبى صلى الله عليه وسلم و بروز صفاته منذ صباه أن رجلا « من لهب كان عائفا — أى صادق الحدس والظن — فكان إذا قدم مكه أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ، و يعتاف لهم فيهم . فأتاه أبوطالب بمحمد — وهو غلام — مع من يأيته ، فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شىء ، فلما فرغ قال : الغلام ، علىّ به ، فلما رأى أبوطالب حرصه عليه غيّبه عنه ، فجعل يقول : و يلكم !! ردوا علىّ الغلام الذى رأيت آنفا . فوالله ليكون له شأن » [12] .

---

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(١١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

ثانيا : الصفات المميزه لمحمد فى صباه وشبابه فى مكه وخارجها :

كانت هذه الصفات المميزه للرسول صلى الله عليه وسلم والمشيره الى علوّ شأنه ومكانته منذ صباه فى مكة . وقد حدثت أحداث مثلها خارج مكه أيضا مما يشير الى تأكيد ذلك لكفار مكه . وللمجتمع المكى كله أن محمدا يختلف عن غيره منذ صباه الى شبابه الى رجولته الى شيخوخته . وكان هذا بمثابة الإعلام المبكر بنبوته صلى الله عليه وسلم . كما كان من عوامل جذب الانتباه الى محمد صلى الله عليه وسلم منذ نشأته ، حيث شهد له بذلك الراهب بحيرى حينما رآه فى ركب التجاره المسافرة إلى الشام .

« قال ابن إسحاق : ثم إن أباطالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام . فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير ، صبّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يزعمون — فرقّ له أبوطالب وقال والله لأخرجن به معى . ولا أفارقه ولا يفارقنى أبدا فخرج به ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب فيها . إليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى — كانوا كثيرا مايمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم — حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا . وذلك فيما يزعمون عن شىء رآه وهو فى صومعته . يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حتى أقبل وغمامة تظلّله من بين القوم . ثم أقبلوا فنزل فى ظل شجرة قريبا منه ، فنظر الى الغمامة حين أظلّت الشجرة ، وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها . فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته . وقد أمر بطعام فصنع . ثم أرسل إليهم فقال : إنى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحرّكم . فقال له رجل منهم والله يابحيرى إنّ لك لشأنا اليوم . ما كنت تصنع هذا

بنا وقد كنا نمرّ بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى صدقت قد كان ماتقول ولكنكم ضيف وأحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا إليه . وتخلف رسول الله صلى اله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة . فلما رآهم بُحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده

فقال يامعشر قريش لا يتخلفنّ أحد منكم عن طعامى . قالوا : يابُحيرى ماتخلف أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام وهو أحد ثناسنا . فتخلف فى رحالنا ، قال لاتفعلوا . أدعوه فليحضر هذا الطعام معكم . فقال رجل من قريش مع القوم : واللاّت والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم . فلما رأى بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا و ينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ،

حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له ياغلام : أسألك بحقّ اللات والعزّى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه . وأنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لاتسالنى باللات والعزى شيئا . فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضها . فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ فقال له سلنى عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله ، من نومه وهيئته وأموره . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره . فوافق ذلك ماعند بحيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده . فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال ما هذا الغلام منك ؟ قال ابنى قال بُحيرى ماهو بإبنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به . قال صدقت . ارجع بابن أخيك إلى بلده وأحذر عليه اليهود . فوالله لئن راوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شرّا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده . فخرج به أبوطالب سريعا حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام قال ابن اسحاق : فزعموا أن زريراً وثماما ودريسا – وهم نفر من أهل الكتاب – قد كانوا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب فأرادوه فردهم عنه بُحيرى .

فذكّرهم الله ما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته وأنهم أجمعوا لما أراد وابه لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه »(١٣) .

وتدل هذه القصة على أن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت واضحة ومحددة المعالم لدى أهل الكتاب . سواء كانت الصفات المصاحبة له أينما حلّ كالغمامة ونحوها . أو الصفات الجسمانية مثل خاتم النبوه أو اسم أبيه ونحو ذلك . وقد ذكر بحيرى ذلك وطلب بإلحاح أن يصاحب النبىُّ صلى الله عليه وسلم قومه الى الطعام . وحذرهم من اليهود . كما ورد أنه ردهم عنه وخوّفهم عقاب الله سبحانه وتعالى ، إن أراد وابه شرّا .

وقد وردت هذه القصة برواية أخرى نذكرها لما فيها من اشاره علنية من بحيرى أمام تجار قريش إلى هذا هو نبى آخر الزمان . وهذه الاشاره لها اهميتها ودلالتها . فالعرب يعلمون قدر بُحيرى وأنه راهب وصاحب كتاب كما أنه لم يتعود إطعامهم ولا الالتقاء بهم كل عام وهذا يدل على أن وجود محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ معهم هذا العام قد شغله وشد انتباهه وأثار اهتمامه . مما جعله ينشغل بهم جميعا و يطلبهم للطعام صغيرا وكبيرا . حرّا وعبدا . ثم يطلب حضوره معهم لما تخلّف عنهم وقد أثار هذا دهشة بعض تجار قريش . كما أنه كان بمثابة تهئية الأذهان لتقبل مقولة بُحيرى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن صفاته .

وأما أهمية الوصف العلنى من بُحيرى للنبى صلىّ الله عليه وسلم ولقدره وشأنه أمام تجار قريش فيرجع الى أن هؤلاء التجارهم طبقة الصفوة من قومهم وهم الممثلون للرأى العام القائد المؤثر فى المجتمع المكى وهو المجتمع الأوّل للرسالة ، حيث بُعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم . حتى إذا ما استغرب هؤلاء الصفوه ما يقوله محمدا عادوا بذاكرتهم إلى مقولة الراهب بُحيْرى والتى قالها منذ أن كان محمد غلاما حدثا . والمعلوم أن التجاره كان يخرج فيها أشجع الرجال وأكثرهم مالا واكثرهم شرفا ومجدا وقوة الى جانب عبيدهم الذين يقومون على خدمتهم وحراستهم . وكان لهاتين الطبقتين من الناس تأثير كبير . فأما طبقه الشرفاء من

---

(١٣) أبوالفداء الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ، الجزء الثانى (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٨) ص ٢٨٤ .

أصحاب التجاره فهم الأغنياء الأقوياء أصحاب الجاه والمجد والشرف و بالتالى فهم أصحاب التأثير وأما طبقه العبيد فهم الطبقه المطحونة المغلوب على أمرها . والمتطلعة إلى الحرية .

فإذا ماظهرت دعوة محمد فإن طبقة القاده أو المؤثرين من المكيين الذين حضروا مقوله بحيرى إما أن يتأثروا و يصدقوا محمدا . وإما أن يعملوا فكرهم فيقفون وقفه المحايد . وإما أن يحاربوه وقد تزعزعت عقيدتهم من الداخل لما سبق أن سمعوه من بحيرى منذ زمان طويل يُخبر فيه أن هذا هو نبى آخر الزمان ، و بالتالى فلا يكون لحربهم تأثير لأنهم يعلمون مدى صدق محمد من ناحيه . و يعلمون مدى كذبهم فى تكذيبه من ناحية أخرى . ولهؤلاء تأثيرهم فى المجتمع المكى فهم طبقه القادة والأغلبيه الكيفية والمؤثرون فى غيرهم ممن هم أقل منهم شأنا أو أصغر سنّا . أو المنقادون لهم سواء كانوا أحرار أو عبيدا . فقادة الرأى لهم تأثير كبير فى المجتمع كما يذكر علماء الإعلام فى العصر الحديث . حيث يرون أن « الزعيم أو القائد إنسان كسائر الناس له طباعه وأخلاقه ، و يشارك بنى وطنه فى ثقافتهم إلى حد كبير . غير أنه يمتاز عليهم بقوه الشخصية والطموح والقدرة على التأثير فى الجماهير ، إما بجهاده فى الماضى أو أعماله الوطنية المجيدة أو فلسفته السياسية الجديدة ويمكن القول إن الزعيم رجل ذكى عرف اتجاهات الرأى العام وآمال مواطنيه وأمانيهم القومية ، فوقف منهم موقف القيادة لتوجيه الشعب إلى الطريق الذى يحقق له مايبتغيه . وإذن فالرأى العام هو الذى يخلق الزعماء والقادة ، وهؤلاء هم الذين يقودون الرأى العام » (١٤) .

بذلك نرى أن لكلام بحيرى عن صفات محمد وشهادته له منذ صباه بأنه نبى هذه الأمه كان له أعتبار وأهميه أمام تجار قريش . فهم سادتها وهم زعماؤها وهم قادة الرأى فيها ، وهم المؤثرون على غيرهم من المكيين التابعين لهم سواء كانوا ساده أوعبيدا . فكما رأينا يؤثر الزعماء فى الرأى العام فى المجتمع بأكمله .

أما أهمية وصف بحيرى للنبى صلى الله عليه وسلم أمام طبقه العبيد المصاحبة للتجاره فيرجع الى أن هؤلاء العبيد سوف يسارعون الى اتباع محمد عند ظهور دعوته

(١٤) حسنين عبدالقادر، الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ، الطبعة الأولى (القاهره : الانجلو المصرية : ١٩٥٧) ص ٢١ ، ٢٢ .

لأنهم قد تأكدوا من صدقها منذ أن سمعوا بحيرى ولأنهم يرلون إلى الإفلات من العبودية والرق . ويحبون الحياة الحرة الكريمة فى ظل مجتمع يسّوى بين السّيد والعبد .. كما أنهم سوف يقومون بدور حملة الأخبار ونشرها فى المجتمع المكى وغيره . وسوف يرددون شهاده بحيرى . للتدليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة دعوته وأنها من عند الله . وقد تحقق هذا كله فيا بعد سواء على مستوى أشراف مكه أو عبيدها ..

وسوف نروى قصه بحيرى بالرواية الأخرى التى ذكر فيها صفات النبى صلى الله عليه وسلم وشهد له بها علانية أمام قافلة التجاره لمالها من أهمية كما ذكرنا من قبل .

« قال الحافظ أبوبكر الخرائطىّ حدثنا عباس بن محمد الدورى قال حدثنا قراد أبونوح . قال حدثنا يونس عن أبى إسحاق ، عن أبى بكر عن أبى موسى عن أبيه قال : خرج أبوطالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش . فلما أشرفوا على الراهب — يعنى بحيرى — هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب . وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم . قال فنزل وهم يحلون رحالهم . فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هذا سيد العالمين . وفى رواية البيهقى زيادة هذا رسول العالمين بعثه الله رحمة للعالمين .. فقال له أشياخ من قريش : وماعملك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرة ولاحجر إلا خرّ ساجدا ، ولايسجدون إلا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به ُوكان هو فى رعيّة الإبل — فقال أرسلوا إليه فأقبل وغمامة تظلّله — فلما دنامن القوم قال انظروا إليه عليه غمامه فلما دنامن القوم وحدهم قد سبقوه إلى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجره عليه . قال انظروا إلى فىء الشجره مال عليه . قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا إلى الروم . فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا . قال فاستقبلهم فقال ماجاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر .. فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا لا . إنما أخبرنا خبره إلى

طريقك هذه . قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده.. فقالوا لا . قال فبايعوه وأقاموا معه عنده قال : فقال الراهب أنشدكم الله أيكم وليّه ؟ قالوا أبوطالب . فلم يزل يناشده حتى رده و بعث معه أبوبكر و بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت » (١٥) .

ولم تكن شهادة بُحيرى هى الشهادة الوحيده من الرهبان ــ النصارى ــ أهل الكتب ، أومن العرب . فقد شهد له بصفات النبوة أيضا ورقة بن نوفل . وهومن أهل مكة القارىء لكتب النصارى . والمقلب فى الأديان . والمشهود له بين قومه بأنه من أهل البحث عن الحقيقة . مما يثبت لأهل مكه وللعالم أجمع من بعدهم أن صفات محمد صلى الله عليه وسلم كانت ثابتة قبل الوحى . وكانت واضحة ومحددة المعالم فى كتب الأديان السماوية السابقه .

فقد حدث أن خرج النبى صلى الله عليه وسلم تاجراً فى مال خديجة بنت خويلد وهو فى سن الخامسة والعشرين وأرسلت معه غلامها ميسره فرأى عجباً فى سفر مع محمد صلى الله عليه وسلم . وكان ميسره يسافر مع من يتاجر فى مال خديجة . أى أنه سافر مع محمد ومع غيره.. ورأى عجبا فى سفره مع محمد ــ وكان ذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر عاما ــ لأنه بعث فى سن الأربعين وكان عمره حين خرج تاجرا فى مال خديجة خمسا وعشرين عاما . وروى ميسره لسيدته خديجة مارأى من أمر محمد فروت ذلك لابن عمها ورقة بن نوفل فأخبرها بأن هذه الصفات إنما هى صفات نبى آخر الزمان.. وكان ذلك بمثابة الإنذار والاعلام بنبوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ومن عوامل لفت أنظار أهل مكه إلى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت ذلك فى كتب السيره..

« قال ابن اسحاق : كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم . وكانت قريش قوما تجارا . فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مابلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعث إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مال

(١٥) ابن كثير، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسره . فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج فى مالها ذلك . وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلّ شجره قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة . فقال له : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسره : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسره ، فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلاّنه من الشمس ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، عما كان يرى من إظلال الملكين إيّاه . وكانت خديجة إمرأه حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله لها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له — فيما يزعمون — يا ابن عمّ ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك فى قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وحسن حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها . وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً . وأعظمهن شرفا . وأكثرهن مالا . كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

وروى عن نفيسة بنت علية أنها قالت : أرسلتنى خديجة خفية إلى محمد بعد أن رجع فى عيرها من الشام ، فقلت له يا محمد : ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما بيدى ما أتزوج به . فقلت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والشرف والكفاية ألا تجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت خديجة[16] وقد تمت خطبة النبى صلى الله عليه وسلم لخديجة وتحدث أبوطالب فذكر أوصاف محمد سنذكرها فيما بعد .

---

(١٦) أبومحمد عبدالملك بن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

قال ابن أسحاق : كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى — وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس — ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب .. وما كان يُرى منه إذ كان الملكان يظلاّنه . فقال ورقة : لئن كان هذا حقا ياخديجة إن محمداً لنبى هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبّى ينتظر . هذا زمانه . فجعل ورقه يستبطىء الأمر و يقول : حتى متى ؟ . فقال ورقة فى ذلك :

لججت وكنت فى الذكرى لجوجا — لهمّ طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف — فقد طال انتظارى ياخديجا
ببطن المكّتين على رجائى — حديثك أن أرى خروجا
بما خبّرتنا من قول قسٍّ — من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمدا سيسودُ فينا — ويخصم من يكون له حجيجا
و يظهر فى البلاد ضياء نور — يقيم به البريّة أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا — و يلقى من يسالمه فُلُوجا
فيّاليتنى إذا ما كان ذاكم — شهدت وكنت أكثرهم ولوجا
ولوجا فى الذى كرهت قريش — ولو عجّت بمكتها عجيجا
أُرجّى بالذى كرهوا جميعا — إلى ذى العرش إن سفلوا عُرُوجا
وهل أمر السفالة غير كفر — بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمورٌ — يضُجّ الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى — من الأقدار متلفة حروجا[17]

وتدل هذه القصص الوارده فى كتب السيرة النبو ية على أنه صفات النبى صلى الله عليه وسلم كانت معروفه لدى أهل الكتب السابقه . فكان يعرفها الرهبان والمطلعون على هذه الكتب . كما تدل على أن هؤلاء قد أعلموا أهل مكه بها وأخبروهم عنها . وعرفّوهم بصفات النبى صلى الله عليه وسلم . مما يدل على أن هناك تهيئة للرأى العام المكى بصفة خاصه . وللرأى العام فى ذلك الزمان بصفة

(١٧) المرجع السابق ، ص٢٠٦ ، ٢٠٨ .

عامه بظهور النبى صلى الله عليه وسلم . كما تدل هذه الصفات أيضا على أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد زوده الله عزوجل بصفات الإعلامى القدير منذ صباه الى شبابه الى رجولته . حيث أن الاعلامى يجب أن يكون له قدرة على جذب الأنظار. ولفت الأنتباه لدى الأوساط التى سيقوم ببث رسالته الاعلاميه وسطها . وهذا ما اكده أبوطالب أثناء إلقاء خطبته حين إقامة حفل زواج محمد صلى الله عليه وسلم من خديجه رضى الله عنها . حيث أكّد على الصفات المعنوية لمحمد صلى الله عليه وسلم ومالها من قيمه يشهد بها العرب جميعا لمحمد . مما جعل هذه الصفات المعنوية تغطى على فقره من الناحية المالية أو الماديه .

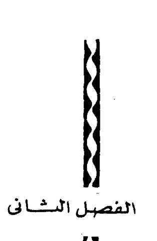
ذكر ابن هشام أن أباطالب لما حضر مع الحمزة بن عبدالمطلب ورؤساء مضر لزواج محمد من خديجة خطب فقال : « الحمد لله الذى جعلنا من ذريه إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وضئضىء — أى : أصل — معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة .. بيته . وشوكة حرمه . وجعل لنا بيتا محجوجا . وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب لا يوزن به رجل إلا رجح . وإن كان فى المال قلّ ، فالمال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد . وبذل لها من الصداق ماآجله وعاجله كذا من مالى ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم . وقد روى أنه لما أتم أبوطالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال : الحمد الله الذى جعلنا كما ذكرت .. وفضلنا على ماعددت . فنحن سادة العرب وقادتها . وأنتم أهل ذلك كله ، لاتنكر العشيرة فضلكم . ولا يرة على أحد من الناس فخركم وشرفكم . وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم .فاشهدوا علىّ معاشر قريش أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله . على أربعمائه دينار . ثم سكت ورقة وتكلم أبوطالب ، وقال : قد أحببت أن يشركك عمها . فقال عمها : اشهدوا يامعشر قريش أنى قدا نكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد . وشهد صناديد قريش على ذلك » (١٨) .

---

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

وقد أورد أبوطالب فى خطبته هذه صفات للنبى صلى الله عليه وسلم المعنوية ، وعددها وبين فضلها على النواحى المادية . كما ذكر أنه له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم . وأيده ورقة بن نوفل فى كل ذلك .

كما تشير هذه القصة الى مدى عفة النبى صلى الله عليه وسلم وهو مايجب أن يتحلى به رجل الاعلام ليكون مسموع الكلمه . فمع أن صاحبة خديجه قد دعته الى خطبتها دون مال كما ذكرنا من قبل . إلا أنه قد أصدقها صداقا بلغ أربعمائه دينار. أو بلغ عشرين بكرا كما أوردت الروايات . وهذه من الصفات التى زوده الله بها وهى عفّة النفس عن مال الغير. والتى لازمته طوال حياته .. حيث لم يكن عبئا على أحد ولاثقيلا على أحد . حتى انه فى أحلك الظروف يوم الهجره لايركب بعير أبا بكر إلا بعد أن يعرف ثمنه و يأخذه لنفسه بالثمن كما سنوضح ذلك فيما بعد . وذلك حتى يكون صاحب الرسالة الاعلامية له حرّية القول . لا يتأثر بما يتلقى من مال . ونحن نعلم جيدا دور التمويل وعلاقته فى مدى حرية المؤسسة الإعلامية فى العصر الحاضر. فبقدر ماتكون المؤسسة الاعلاميه . أو المرسل للرساله الاعلاميه قادره على الاعتماد على نفسها فى الناحية المادية بقدر ماتكون لها حرية البث من حيث المضمون الاعلامى وكيفية توجيهه . و بقدر ماتكون خاضعه لجهة تمولها بقدر ماتكون خاضعه من حيث المضمون الاعلامى لتلك الجهه . وسنرى أن هذا المبدأ الإعلامى الهام قد أرساه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل غيره من رجال الاعلام فى أى عصر من العصور.



الفصل الثانى

إعداد الرسول لأن يكون إعلاميا قديرا

أولا : الإعداد قبل البعثة

ثانيا : الإعداد فى بداية البعثة

أولا : الإعداد قبل البعثه :

أعدّ الله سبحانه وتعالى نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم إعداد يتناسب مع شرف وعظمة الرسالة التى كلفه بها وحمله إياها . قال تعالى « **إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا** »(١) . ولأن المهمة عظيمة . والرسالة قدرها جليل عال . وإبلاغها يتطلب جهدا غير عادى فقد أعدّ الله عز وجل لها من يتحملها من هو أهل لإبلاغها . زمن هو أهل لأن يكون أسوة حسنة . وقدوة صالحه . ليس فقط لأهل مكة . وليس فقط لأصحابه وفى حياته . وإنما للبشرية كلها فى كل زمان وفى كل مكان . لأنها الرسالة الخاتمة ولأنه صلى الله عليه وسلم آخر الرسل .

و بذلك فقد أعدّ سبحانه نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم إعداداً يتناسب مع هذه الرسالة العظيمة . فزّوده بما ذكرنا من قبل من صفات اتصف بها فى طفولته وفى صباه وفى شبابه قبل بعثته وكانت بمثابة عوامل جذب الانتباه ولفت الأنظار إليه ، لتكون شاهدة له إذا ماجهر بدعوته . و بلّغ رسالته . وقد شهد له بذلك الرهبان والكهان وأهل الكتب والباحثون فى الأديان السابقة .

ولم تكن هذه الصفات فقط عوامل لفت الأنظار الى ما وراء شخصية محمد صلى الله عليه وسلم منذ صباه الى شبابه . وإنما كانت هناك عوامل أخرى أعدّه الله عزوجل بها . منها ما كان قبل البعثة ومنها ما كان فى بداية البعثة . وسوف نتحدث عن كل واحدة من هاتين بالتفصيل .

فالإعداد الذى كان قبل البعثة كان إعداد يميزه عن أقرانه من أطفال مكه وشبابها . ويجعل الأصابع تشير إليه شاهدة له بأن له شأنا عظيا . خاصة وأن اليهود والنصارى كانوا يخبرون الناس فى ذلك الوقت بأن نبيا سيبعث . هو نبى آخر الزمان قد أظل زمانه . وأنه مبعوث من هذا المكان (مكه) .

---

(١) سورة المزمل (٥) .

وأما عوامل الإعداد فى بداية البعثة فكانت ليتحمل محمدا هذا الأمر المستغرب لأنه بشر من الناس . ولأنه كسائر البشر يغضب و يرضى فلابد من إعداده إعداداً يؤهله لتحمل نقطة التحول الهائله هذه فى تار يخ البشر ية كلها .

كان العرب فى الجاهلية — قبل الاسلام — يعيشون مجتمعا قبليا . له عاداته وله تقاليده . له جوانب حسنه وجوانب سيئه . وقد كانت الجوانب السيئه تغلب على الجوانب الحسنة . فقد كانت الشجاعة على سبيل المثال من الصفات الحسنه إلا أنه كان من الجوانب السيئة سوء استخدام هذه الشجاعه فى عمليات الإغارة والقتل والسلب والنهب والسبى وهكذا .

« كانت الحياة الاجتماعية عند ظهور الإسلام شيئا مؤسفا حقا ، فقد كان العامة لا ينعمون بحقوق سياسية ولا اجتماعية ، ولأن هذا كان من حق الأغنياء والأقو ياء والأشراف . وإذا كان هناك قانون فقد كان لمصلحة جماعة دون أخرى ، وكان دائما فى مصلحة الأقو ياء ، والأغنياء والأشراف » (٢) .

أما عن الناحية الدينيه فالمعلوم أن العرب كانوا يعبدون الأصنام و يقدسونها . و يلتمسون منها البركه . و يذبحون لها . و يقيمون الأعياد والز ينات حولها ، و يظنون انها وسيلتهم الى الله . وأنها تقربهم الى الله زلفى وقد كان لكل قبيله صنما يعبدونه . و يضعون مثيله حول الكعبة . ليكون قر بانا لهم .

وهكذا كانت حياتهم حروب وقتل ونهب . ورقص وخمر ونساء . وتجاره الى الشام والى اليمن . وقانون يحمى الأغنياء دون الفقراء . والسادة دون العبيد . ثم لا خوف من آلهة . فهى احجار لا تضر ولا تنفع و يزعمون أنهم يستطيعون ارضاءها بما يقدمون لها من الذبائح والقرابين . ومن الاقامه حولها . والتضرع لها .

فأين كانت نشأة محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ؟ وما كان موقفه مما كان يرى قومه وأهل عشيرته عليه ؟ إنه من أهل الحرم ولكنهم عبدة الأصنام ، التى لا تزيد عن كونها أحجار . أنهم مثل غيرهم يقدمون لها القرابين و يذبحون لها . لقد نشأ فى هذه البيئة . وتربى فى هذا المجتمع ومع ذلك تفرّد عنه ، فلم يكن

(٢) عمر أبوالنصر ، قصه العرب قبل الاسلام (بيروت : مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمه والصحافة ، ١٩٧٠) ص ١٢٨ .

مثله . لأن الله عز وجل أعدّه بصفات أخرى منذ نشأته . من طفولته الى شبابه الى رجولته . فلم يؤذ أحدا . ولم يسجد لصنم . ولم يشرب الخمر . ولم يتمتع بامرأه لاتحل له . لقد أعده الله عز وجل قبل البعثه بصفات أهمها : رجاحه العقل . وحسن الخلق . والصدق والأمانه . والشجاعه والإقدام . وأختياره من أعرق البيوت فى مكه . وسنتحدث عن ذلك تفصيلا .

١ ـــ رجاحة العقل :

أعد الله سبحانه وتعالى نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأهم صفة يجب أن يتزوذ بها رجل الإعلام القدير . وهى رجاحه العقل . فمع مانعلم من تأثير البيئة على نشأه الأنسان وعلى إكسابه طريقة معينه فى التفكير تتناسب مع هذه البيئه . إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتأثر بالمجتمع الذى نشأ فيه . ولم يكن منقادا لغيره من العظماءأو الأشراف أو الساده ، الذين نشأ وتربى بينهم وفى كنفهم ورعايتهم وتحت أعينهم . فقد تربى أولا فى كنف عبدالمطلب ثم فى كنف عمه أبوطالب . وكان لهؤلاء جلساؤهم من أشراف مكه وسادتها . وكان محمداً يراهم يسجدون للأصنام و يشربون الخمر . و يقسون على العبيد . و يشقون على الضعفاء . و يستحلون النساء واللهو . وغير ذلك . ومع ذلك عصمه الله عز وجل وزوده برجاحه العقل وحسن التفكير . فلم يتأثر بشىء من ذلك . بل ورأى أن هذا باطلا وعيبا .

فيرى علماء الإجتماع فى العصر الحديث أن المجالس مجانس . وأن الفتى يشيب على ماشبّ عليه . وكما قال الشاعر العربى .

مشا الطاووس يوما باعوجاج فقلد مشيته بنوه
فقال : علام تنحرفون قالوا سبقت به ونحن مقلدوه
أما تدرى أبانا كل فرد يحاكى فى الخطا من أدبوه
و ينشأ ناشىء الفيتان منا على ما كان عوّده أبوه

وهذا يدل على أثر البيئة والنشأه على الفرد وطريقه تفكيره . وأنها تنعكس عليه بصورة مباشره . ونحن نرى هذا جليا . فالطفل الذى يولد فى الاتحاد السوفتيى يصير شيوعيا . والطفل الذى يولد من أبوين مسيحيين يصبح مسيحيا وهكذا إلا فى القليل النادر . . وهذا من حيث النزعة المذهبية . أما من حيث العادات والتقاليد والاجتماعيات فيتعلمها الفرد وتصبح شيئا اساسيا فى تكوينه . و يسلكها بصوره أتوماتيكيه .

فإذا ما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم منذ صباه أن الأصنام التى يعبدها قومه هى احجار لاتضر ولاتنفع . فلم يقم لها وزنا ولم يقدسها ولم يسجد لها قط . فهذا يدل على عقلية راجحه و بصيره نافذه زودهُ الله عز وجل بها إعداداً له لتحمل الرسالة العظيمة وللقدره على إبلاغها للناس كافه عامه . فى كل زمان وكل مكان .

« عن زيد بن حارثه رضى الله عنه قال : كان صنم من نحاس يتمسح به المشركون إذا طافوا يقال له أساف ونائله . فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه . فلما مررت مسحت به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتمسه » . قال زيد فطفنا فقلت فى نفس لأمسنه حتى أنظر مايكون ، فمسحته . فقال رسول صلى الله عليه وسلم : ألم تُنه ؟ . قال زيد : فوالذى أكرمه وأنزل عليه الكتاب مااستلم صنما قط ، حتى أكرمه الله تعالى بالذى أكرمه وأنزل عليه » (٣) .

وقد ورد فى قصة بحيرى . أنه لما أطعم ركب التجار الذين كان النبى صلى الله عليه وسلم معهم فى صباه . وهم فى طريقهم الى الشام . قال له بحيرى : « ياغلام أسألك بحق اللاّت والعزّى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه . وإنما قال له ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بها . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما زعموا — : لاتسألنى باللات والعزى شيئا . فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضها . فقال بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه . فقاله : سلنى عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأموره . فجعل رسول الله صلى

(٣) ابو الفداء الحافظ ابن كثير، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ .

الله عليه وسلم يخبره . فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته . ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوه بين كتفيه »[٤] .

وهذا يدل دلالة قاطعة على كراهية محمد صلى الله عليه وسلم للأصنام منذ صباه .. فلم يسجد لها — ولم يلتمس منها البركة لعدم اعتقاده بنفعها . فقد رأى برجاحة فكره وحصافة عقله أنها لا تضر ولا تنفع .

« ومن الواجب أن ننبه إلى أن ثناء القرآن الكريم على أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، فى آيات مبكرة جدا فى النزول وهى آيات سورة القلم : **(نٓ . والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم)** و يدل دلالة حاسمة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتورط فى عادة أو تقليد جاهلى ينبو عنه الذوق السليم ، والخلق الكريم ، ولا يتسق مع انصرافه إلى الله وحده واعتكافه ور ياضته الروحية ، من مثل أكل الميتة وشرب الخمر ، ومقارفة الزنا والقمار وتقريب القرابين للأوثان . والاشتراك فى حفلات وطقوس عبادتها وتكريمها الخ »[٥] .

ومن الأشياء الدالة أيضا على رجاحة عقل النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة . ما زوّده الله عز وجل به وأعدّه به من تمسك بالنسك . ومخالفته لقومه فى ذلك . حيث كان أهل مكه يرون أنهم أهل الحرم ، وأنه ليس من الضرورة بمكان أن يقفوا على عرفة طلبا للمغفره فى الحج . فكانوا يقفون بالمزدلفه ليلة عرفه .. أما النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان يقف مع الناس بعرفات مخالفا بذلك عادات مجتمع الجاهلية ومنكرا عليهم .

« عن عبد الله بن أبى بكر عن عثمان بن أبى سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقا من الله عز وجل .

---

(٤) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٥) محمد عزه دروزه ، سيره الرسول ، الجزء الأول ، طبعه ثانيه (القاهرة : مطبعة عيس البابى الحلبى ، ١٩٦٥) ص ٣٩ .

قال البيهقي : معنى قوله على دين قومه ماكان بقى من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . ولم يشرك بالله قط . صلوات الله وسلامه عليه دائما .

و يفهم من قوله هذا أيضا أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه . وهذا توفيق من الله له — ورواه الإمام أحمد عن يعقوب عن محمد بن اسحاق به . ولفظه : رأيت رسول الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه ، وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقا من الله . وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أضللت بعيرالى بعرفة فذهبت أطلبه فإذا النبى صلى الله عليه وسلم واقف .. فقلت إن هذا من الحمس . ماشأنه ههنا ؟

والحمس هم قريش ومن ولدت وكنانة وجديلة سُمُّو احمسا لأنهم تحمسوا فى دينهم ، أى تشددوا . والحماسة الشجاعة ، كانوا يقفون فى المزدلفة . و يقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم » (٦) .

وكان من رجاحة عقل النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ماحكم به فى وضع الحجر الأسود مكانه عند اعادة بناء الكعبة . وقد فرحت قريش كلها بحكمه الذى حقن الدماء . « قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم بنوها . حتى بلغ البناء موضع الركن. فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحاوروا أو تحالفوا ، وأعدت للقتال فقربت بنوعبد الدار جفنة مملوءة دما .. ثم تحالفوا هم وبنوعدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنه . فسمُّوا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أوخمسا . ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا . فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم — وكان عامئذ أسنّ قريش كلها قال : يامعشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم فيه . ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا . هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر . قال :

---

(٦) ابن كثير ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم « هلمّوا إليّ ثوبا » فأُتي به . وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوا جميعا » ففعلوا ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . ثم بنى عليه وكانت قريس تسمى رسول صلى الله عليه وسلم الأمين ..

وفى رواية أخرى زيادة على ذلك أن أهل مكه كانوا بعد ذلك لا ينحرون جزورا إلا التمسوه صلى الله عليه وسلم فيدعو لهم فيها »(٧) .

وهذه أمثله قليلة لرجاحه عقله صلى الله عليه وسلم قبل البعثه نتبين منها أن الله عز وجل قد أعده وزوده بهذه الصفه ليكون إعلاميا قديرا بخير رسالة حملها بشر إلى البشرية جميعها فى كل زمان وكل مكان .

٢ــ حسن الخلق :

من الأشياء المسلّم بها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حسن الخلق ، ليّن الجانب ، حلو الحديث ، حيث شهد له بذلك اعداؤه وأصحابه وكل من عرفه ورآه أو خالطه من البشر . وحيث وصفه ربه عز وجل بذلك . فى كثير من مواضع القرآن الكريم . قال تعالى « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضوا من حولك** »(٨) وقال تعالى « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** »(٩) .

وقد كانت هذه الصفات بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم . وتكليف الله عز وجل له بإبلاغ الرساله . فكيف كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم قبل البعثه ؟ . إن الروايات التاريخية تثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان حسن الخلق منذ نشأته . والواقع يخبرنا دائما أن الطبع يغلب التطبع فلو أنه ــ حاشاه ــ كان خلقه غير حسن قبل الرساله لتغلب ذلك على طبعه بعد الرساله . ولظهر ذلك عليه فى المواقف العصيبه التى تعرض لها فى مكه .. وفى الهجرة . وفى مواقفه مع اليهود .

(٧) المرجع السابق ص ٣٠٣ .

(٨) سوره آل عمران (١٥٩) .

(٩) سوره التوبه (١٢٨) .

ولكن صبر النبى صلى الله عليه وسلم على الأذى طوال ثلاثه عشر عاما فى مكه . مع أنه من أشرافها وسادتها . ومع ما كان يلقى من حماية عمه عبدالمطلب والحمزه و بنوهاشم جميعا له . ومع رؤ يته لما يلقى أصحابه من ألوان العذاب . ومع ثقته من أنه على الحق وأعداؤه على الباطل . كل ذلك يدل على حسن خلق أصيل نشأ وتربى عليه . وأعدّه الله عز وجل به منذ صباه الى شبابه الى رجولته الى شيخوخته .. ليكون سلاحا له كرجل إعلام قدير . يبلّغ الناس برسالة ربهم سبحانه وتعالى . فهى رسالة عظيمة القدر .. وهومأمور بإبلاغها الى امتداد زمانى ومكانى لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى . حيث هى آخر الرسالات السماو ية . وهوصلى الله عليه وسلم آخر الرسل .

وفى حسن خلقه صلى الله عليه وسلم قبل البعثه يقول ابن هشام فى سيرته . « فشبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما ير يد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كان رجلا أفضل قومه مروءة . وأحسنهم خلقا . وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا . وأعظمهم حلما . وأصدقهم حديثا . وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما . حتى ما اسمه فى قومه إلا (الأمين) لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة » (١٠) .

و بذلك يتضح لنا أن حسن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعدّه الله عز وجل به منذ طفولته ونشأته . فقد نشأ حسن الخلق . ودلّلت المواقف المتعدده على ذلك . حيث أن الآيات القرآنية الواردة فى صدد أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وفضائله ، متنوعه الأساليب والمناسبات . فمنها ما هو فى معرض التنو يه والتخصيص فى الخطاب . ومنها ما هو فى معرض أحداث السيرة النبو ية فى عهديها المكى والمدنى . والآيات لا تفرق بين ما قبل البعثه وما بعدها ، كما لا تفرق بين عهدى مكه والمدينة ، وكثير مما هو فى معرض أحداث السيرة إنما هو فى صدد ما ظهر منه بعد البعثة من أخلاق وفضائل ومواقف .

---

(١٠) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

غير أن هناك أولا تنويها وثناء مبكرا جداً فى أوائل ما نزل من القرآن الكريم . وهو آيه سورة القلمّ « **وانك لعلى خلق عظيم** » (١١) .

كما أن هناك آية نزلت فى أواسط العهد المكى تضمنت حكمة الله فى اصطفاء رسله ، فى معرض الرد على زعماء قريش . وتخص النبى صلى الله عليه وسلم فى الدرجه الأولى . وهى آية سورة الأنعام : « **وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته** » (١٢) .

فهاتان الآيتان يمكن أن تكونا تعبيرين قويين لأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ومواهبه واستعداداته الروحية والذهنية بوجه عام . وبالنسبة إلى ما قبل البعثة فى الدرجة الأولى ، كما أنها يصح أن تكونا مسوغين قويين للقول بأن الأخلاق والفضائل النبوية التى أشارت إليها الآيات القرآنية فى مناسبات أحداث السيرة راجعة فى الأصل إلى هذه الأخلاق والمواهب والاستعدادات التى نضجت فى النبى صلى الله عليه وسلم قبل اتصاله بوحى الله وقبل أن يتلقى رسالته وآياته .

والاطلاق فى الآيتين يعنى سعة الشمول من دون ريب ، وليس من وصف يمكن أن يكون أقوى وأصدق وأوسع مدى مما فيها . . فتعبير « الخلق العظيم » يشمل كل عمل وميزة وعادة ومظهر يتصل بخلق شخصى أو اجتماعى أو إنسانى أو عائلى ، ويطبعه بطابع العظمة والسموّ والتميّز كما لا يخفى (١٣) .

ويؤيد ذلك أيضا ما جاء فى وصف السيدة خديجة رضى الله عنها له ولأخلاقه صلى الله عليه وسلم ، حينما جاءها خائفا . لما نزل عليه الوحى أول مره ، وقصّ عليها ما رآه وما سمعه . وقال لها « إنى خشيت على نفسى أن اكون شاعراً أو مجنونا . فقالت : أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم . ما كان الله ليصنع بك ذلك مع ما علم منك من صدق حديثك . وعظم أمانتك وصلة رحمك » وفى رواية أخرى

---

(١١) سورة القلم (٤) .

(١٢) سورة الأنعام (١٢٤) .

(١٣) محمد عزه دروزه ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

أنها قالت له « والله لايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » (١٤) .

ولو تأملنا بعض المواقف من حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته منذ صباه ، لوجدنا أنها كلها تدل على حسن خلقه . وعظيم أدبه . و بعده عن اللهو. وتواضعه . وهذا كله فى النهايه يدل دلالة قاطعه على أن الله عز وجل اختاره وأعده إعدادا يتناسب مع الرسالة التى سيتحملها منذ صباه ومنذ نشأته الأولى .

ومن ذلك ماحدث معه فى طفولته من حفظ الله عز وجل له فى صغره وأمر جاهليته ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض مايلعب به الغلمان ، كلّنا قد تعرّى ، أخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمنى لاكم ماأراه لكمة وجيعة ، ثم قال : شد عليك إزارك . قال فأخذته وشددته علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى ، وإزارى على من بين أصحابى » (١٥) .

وقد ورد أيضا مثل هذا الحديث فى قصه بناء الكعبة . « عن ابن عباس عن أبيه رضى الله عنهما أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت . قال وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة . وكانت النساء تنقل الشيد . قال فكنت أنا وابن أخى (محمداً) . وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة . فإذا غشينا الناس أئتزرنا . فبينما أنا أمشى ومحمد أمامى ، قال فخر وانبطح على وجهه ، فجئت أسعى وألقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء ، فقلت ماشأنك ، فقام وأخذ إزاره قال « إنى نهيت أن أمش عريانا » . قال وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون » (١٦) .

ونرى أن القصتين السابقين لهما دلالة واحده . هى أن الله عز وجل قد حفظ نبيه من صغائر الأمور مع كونه كانً فى حداثه سنّه من ناحية .. ومع كون هذا الفعل وهو انكشاف العورة كان شيئا مألوفا فى ذلك المجتمع ، حتى من كبار

---

(١٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملزك ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى (المطبعة الحسينية المصريه ، مجهول السنه) ص ٤٧ ، ٤٨ .

(١٥) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(١٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، والجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

السن . فقد كان غير أهل مكه يطوفون البيت فى ثياب « الحَمس » وهم أهل قريش لعقيدتهم أنهم مطهرون « فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الحمس ، وهم قريش وما ولدوا ، ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة . طاف عريانا ، ولو كانت إمرأة . ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله   وبعد هذا اليوم لا أُحلّه »(١٧) .

الى هذا الحد كانت مثل هذه العاده معهوده وغير مستغربة ولا مستقبحة فى ذلك المجتمع المكى الجاهلى . ومع ذلك حفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم من أن تنكشف عورته ليكون محمود السيرة دائما . وليشب على حسن الخلق . وليتعلم منذ صباه أن مثل هذا المسلك ليس من مكارم الأخلاق ولا من محاسنها . حتى وان كان سائدا أو مألوفا فى المجتمع الذى نشأ فيه . إلا أنه لا يليق بمثله صلى الله عليه وسلم .

وقد ربّى الله عز وجل أنبياءه على عادة الحياء والستر هذه . وعدم انكشاف عوراتهم أمام الناس إلا لضرورة تتناسب مع تدعيم مركزهم و بيان اكرام الله عز وجل لهم . وقد حدث مع موسى بن عمران عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وما يؤيد ذلك . « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن موسى كان رجلا حيّيا . وذلك مما قالوا وكان عند الله وجيها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن موسى عليه السلام كان رجلا حيّيا ستيرا لا يُرى من جلده شىء استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل . فقالوا : ما يتسير هذا التستر إلا من عيب فى جلده . إما برص وإما أُدره ، وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوما فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر . فجعل يقول : ثوَى حجر . ثوبى حجر . حتى انتهى إلى ملأ من بنى اسرائيل . فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله عز وجل . وأبرأه مما يقولون . وقام الحجر . فأخذ ثوبه فلبسه . وطفق بالحجر ضربا بعصاته فوالله إن

---

(١٧) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا . أو أربعا أو خمسا ــ قال فذلك قوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)** (١٨) .

وهذا يدل على أن الله عز وجل يعد أنبياءه بحسن الخلق ومن حسن الخلق الحياء . إن لم يكن بالشيء المتعارف عليه فى مجتمعاتهم . فقد كان موسى عليه السلام كذلك .. ومن القصه السابقه نتبين أن الله تعالى قد أثبت بها لنبى اسرائيل مدى حياء موسى وحسن خلقه . وأنه لم يكن يخالف ما كانوا عليه من عدم الحياء وكشف العورة لعيب فيه وإنما هكذا أدّبه ربه عز وجل .

ومن القصه السابقه أيضا نتبين أنه إذا كان موسى هكذا وهو نبى فإن الله عز وجل قد أعد محمدا صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الإعداد منذ طفولته .

ومن حسن خلق النبى صلى الله عليه وسلم الذى أعدّه الله عز وجل به منذ صباه وطفولته . أنه لم يله قط . ولم يستمع إلى لهو ولم يشرب الخمر قط . حتى وهو شاب أو طفل . مع أن ذلك لم يكن عيبا فى المجتمع الذى كان يعيش فيه . وانما حفظه الله تعالى استعدادا للرسالة العظيمه التى سيتحملها و يكلف بها بعد ذلك ، وحتى لا يؤثر عليه مثل هذا النقص الذى لا يتناسب مع الكمال الذى يقتضيه مقام الرساله العظيمه .

« عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمّون به من النساء إلا ليلتين . كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما . قلت ليلة لبعض فيتان مكة ــ ونحن فى رعاء غنم أهلها ــ فقلت لصاحبى أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفيتان . فقال بلى . قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت فيها عزفا بالغرابيل والمزامير. فقلت ما هذا ؟ قالوا تزوج فلان فلانه . فجلست أنظر. وضرب الله على أذنى . فوالله ما أيقظنى إلا مسّ الشمس ، فرجعت الى صاحبى ، فقال ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئا ، ثم أخبرته بالذى رأيت . ثم

---

(١٨) أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث (القاهره ، دار التراث العربى ، مجهول السنه) ص ٥٢٠ .

قلت له ليلة أخرى أبصر لى غنمى حتى أسمر . ففعل .. فدخلت . فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة . فسألت فقيل نكح فلان فلانه . فجلست أنظر وضرب الله على أذنى . فوالله ما ايقظنى إلا مسّ الشمس . فرجعت الى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ فقلت لا شىء . ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته » (١٩) .

وهذا يدلنا أيضا على أن حسن خلق النبى صلى الله عليه وسلم كان إعدادا من الله تبارك وتعالى له . وليس من تلقاء نفسه . فهو صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر. فقد حدثته نفسه أن يلهو وأن يستمتع باللهو كغيره من أبناء عصره ، غير أن الله قد عصمه ومنعه من ذلك كما ذكر هو صلى الله عليه وسلم فى الحديث . إعداداً له . لتكون شخصيته متميزه عن شخصية غيره من سائر أبناء مجتمعه الذين تربى بينهم ونشأ وسطهم ، فهو قد تربى على الكمال . ونشأ على العصمة . ذلك أن « مقام الرسالة من الرفعة والعظمة لا يسامى . و يقتضى من المؤهلات الشخصية والخلقية والعقلية والروحية مالا يمكن أن يوجد إلا فيمن وصلت فيه هذه المؤهلات إلى الكمال ، والتعبير الوارد فى الآية **(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** تقرير ربانى بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى الذروة من عظمة الخلق وقوة الروح وصفاء النفس وكبر القلب ، ورجاحة العقل ، فاستأهل بذلك أن يكون موضع اصطفاء الله ورسالته لهداية الناس واخراجهم من الظلمات إلى النور، ولأن نقول إن السيد الرسول صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الذى وصلت به أخلاقه ، وروحه وعقله وفضائله ومواهبه إلى ذروة الكمال الإنسانى — أقوى وأعظم بكثير من أن نقول إنه خلق قبل الأكوان . وإن الأكوان قد خلقت لأجله ، وإنه أبوها الأكبر .. الخ . لأن هذه الأقوال إلى ما فيها من تعارض مع طبيعة الأشياء ونصوص القرآن ، فيها إيهام بأنّ له صفة جزئية إلهية جعلته منذ الأزل فى هذه الصفات والأخلاق ولم يكتسبها اكتسابا . كما يكتسب الناس أخلاقهم وفضائلهم » (٢٠) .

---

(١٩) ابن كثير، البداية والنهاية ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢٠) محمد عزه دروزه ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

وقد انعكست كل هذه الصفات الخلقية الجميله التى أعد الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم على معاملاته مع سائر أفراد مجتمعه . فكان محبوبا عند الناس جميعهم . من كبيرهم الى صغيرهم .. من عظيمهم الى حقيرهم . ومن غنيهم الى فقيرهم .. فقد كان يحنو على الفقراء . ويحب العبيد ، و يشفق عليهم . وكانوا يبادلونه حبا بحب . ولا أدل على ذلك من قصته مع خادمه ومولاه « زيد بن حارثه بن شراحيل الكلبى . والذى كان مملوكا للسيدة خديجة رضى الله عنها فاستوهبه النبى صلى الله وسلم منها واعتقه .. جاء أبوه فخيّره النبى بين البقاء عنده أو الذهاب مع أبيه .. فاختار البقاء . فتبرأ أبوه منه ، فأعلن محمد صلى الله عليه وسلم على ملأ من الناس تبنيه له حسب العادة المعروفة . فصار يدعى زيد بن محمد . وكان ذلك قبل البعثه . وظل يسمى بهذا الاسم إلى أن أبطل القرآن تقليد التبنى وتبعاته .. فصار يدعى زيد بن حارثه » (٢١) .

وليس أدل على حسن خلق النبى صلى الله عليه وسلم من أن يختار خادمه البقاء معه . على أن يعود إلى أبيه . و يعيش بين أهله وعشيرته وقبيلته . ولا يخفى أهميه ذلك عند العرب .. خاصة وأن زيد بن حارثه من قبيلة لها شأنها بين العرب . ومع ذلك اختار أن يبقى خادما لمحمد صلى الله عليه وسلم — وما ذلك إلا لحسن خلقه وحسن معامليه التى اعده الله عز وجل بها .

٣ — الصدق والأمانه :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يُعرف فى قومه قبل البعثه بالصدق والأمانه . وكان مشهورا بهاتين الصفتين .. مشهود له بها . حيث كان يُلقب بالصادق الأمين .. وقد لازمت هاتين الصفتين محمدا صلى عليه وسلم منذ حداثه سنّه إلى شبابه إلى رجولته . حتى إنه يوم أن جهر بدعوته التى كلّفه الله عز وجل بإبلاغها . أشهد الناس على نفسه أولا ثم على أنفسهم ثانيا . وحدث ذلك أمام جمع غفير من بطون مكة كلها ليكونوا شهودا عليه وعلى أنفسهم . وسألهم عن مدى صدقه أو بالأحرى عن مدى ثقتهم فى صدق حديثه ومقولته . وضرب لهم مثلا مستغربا .

(٢١) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

وشهدوا له بالصدق حتى ولو قال ما قال . وقد حدث ذلك حين أمر الله نبّيه صلى الله عليه وسلم بأن يجهر بدعوته . وسنذكر هذه القصة هنا مختصرة للدلالة على شهادة أهل مكه ومجتمعها بصدق النبى صلى الله عليه وسلم وأمانته قبل البعثه . ثم نعود إليها لنرى ما فيها من مظاهر التبليغ الإعلامى وذلك فى موضعه فيما ستيقدم إن شاء الله .

« قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبدالله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مُرّة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل **(وأنذر عشيرتك الأقربين)**(٢٢) . أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى « ياصباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيىء إليه . وبين رجل يبعث رسوله . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بنى عبدالمطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى لؤى ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ . قالوا نعم .. قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبولهب : تبالك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا » (٢٣) .

والقصة تدل على مدى اعتراف واقرار أهل مكه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق وذلك لأنهم لم يجربوا عليه الكذب قبل ذلك طول حياته بينهم قط . وقد أشهدهم على أنفسهم بسؤاله لهم . « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » . فيجيبونه بغير تردد نعم . و بذلك شهدوا له بالصدق و بالأمانه .

وقد بادرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باشهادهم عليه وعلى صدقه قبل أن يسألهم عن أى صفة أخرى من الصفات . فلم يسألهم عن مدى شجاعته ولا كرمه ولا غيرها من الصفات التى عرفوها عنه .. واشتهر بها بينهم . من حسن الخلق أو نحوها . وانما سألهم أولا عن الصدق . لأنه سيخبرهم خبرا غريبا يحمل تغيير للحياة التى يعيشونها .. ويحمل تغييرا للمعتقدات التى يعتقدونها . وللديانه التى يدينون بها . لذا أشهدهم على صدقه أولا . وضرب لهم المثل أو سألهم السؤال

---

(٢٢) سوره الشعراء (٢١٤) .

(٢٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

المناسب لواقع المجتمع والبيئه والاهتمامات التى يهتمون بها . ويهتزون خوفا منها . وهو توقع وقوع الحرب أو إغارة الخيل من سفح الجبل عليهم . وهذا يدل على مدى ماكان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من حصافة ورجاحة عقل واستعداد للعمل الاعلامى العظيم منذ بداية البعثه . حيث المعرفة بمايهم الجمهور المستقبل ومايهز تفكيره ووجدانه . و يلفت نظره . ويجذب اهتمامه .

و بعد أن شهدوا له بالصدق . و بأنهم يصدقونه إن أخبرهم حتى بهذا الخبر الغريب الذى ذكره لهم .. بلّغهم دعوته ورسالته التى كلفه الله عز وجل بابلاغها لهم . ومايهمنا هنا هو اثبات أن المجتمع المكى قد شهد له بالصدق .. لأنه لم يجرب عليه الكذب قبل ذلك طوال حياته قبل البعثه . وقد شهدوا على ذلك ، فلإن كذبوه ووصفوه بالكذاب فإنما يكذبون أنفسهم فى وصفهم له بالصدق . وهو هنا صلى الله عليه وسلم يلزمهم الحجة . و يقيم عليهم الدليل .. قبل ابلاغهم . وهى صفات الاعلامى القدير التى أعدّه الله عز وجلّ بها .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مشهورا بالأمانة أيضا . وكان كما ذكرنا من قبل يُلقب بالصادق الأمين . وذلك قبل البعثه . ولا أدل على ذلك من حفظهم لودائعهم عنده — اى أهل مكه — حتى ووهم يناصبونه العداء ، بعد البعثه . كانوا يحفظون ودائعهم عنده .. فحينما هاجر من مكه الى المدينه ترك على بن أبى طالب ليرد الودائع .

ومعنى أن يحفظ أهل مكة ودائعهم عنده . وهم يناصبونه العداء . أنهم لم يجربوا عليه خيانة قط . فلو رأوا منه خيانه ولومرة واحدة فى حياته قبل أو بعد البعثه . لما تركوا ودائعهم عنده . ولوكانت الأمانة صفة طارئة عليه بعد البعثه .. لما تركوا أيضا ودائعهم عنده . وإنما فعلوا ذلك لثقتهم المطلقة فى أمانته منذ صباه . ومنذ أن عرفوه .. ومن بداية نشأته صلى الله عليه وسلم . وهذه صفات أعده الله عزوجل بها ليحمل أمانة الكلمه وأمانة الرساله التى سيكلف بها .

وقد حدث ذلك . حيث كان يجتمع كفار مكه ليقولوا عنه إنه كذاب أو ساحر أو مجنون ، ثم يرد بعضهم على بعض . بأنهم ماجّربوا عليه كذبا قبل ذلك قط . ولم يجربوا عليه خيانه قط .

« وقد شهد عظماء مكة وسادتها بأن النبى صلى الله عليه وسلم صادق وأمين . فها هو النضر بن الحارث .. أكبر أعداء النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول لكفار مكة حينما اجتمعوا ليخططوا إحدى حملاتهم الدعائية ضد النبى صلى الله عليه وسلم . وضد دعوته : يا معشر قريش : إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد . قد كان محمدا فيكم غلاما حدثا . أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا . وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاء به . قلتم ساحر . لا والله ما هو بساحر .. فقدر رأينا السحرة ونفثهم عقدهم .. وقلتم كاهن . لا والله ما هو بكاهن . فقد رأينا الكهنة وتخالجهم . فما هو بزمزمته ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش فانظروا شأنكم . فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » [24] .

ومن الأمثلة الدالة على أمانة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ما حدث من تجارته فى مال خديجة رضى الله عنها . وإعجابها بأمانته . وقد كانت خديجة امرأة ذات مال . قد تاجر فى مالها الكثيرين من التجار ذوى الخبره .. ومع أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن مثلهم فى الخبرة بالتجارة وأحوالها وأمورها . إلا أن أمانته وصدقه . قد فاق خبرة هؤلاء . وأدهش ما حققه من كسب خديجه صاحبه المال والخبرة فى هذه الأمور. ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد حقق بأمانته مالم يحققه ومالم يبلغه غيره من ذوى الخبره .

« قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد ، امرأة تاجرة ذات شرف ومال . وتستأجر الرجال على مالها مضاربة . فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته . وكرم أخلاقه بعثت إليه . فعرضت عليه أن يخرج لها فى مال تاجراً إلى الشام . وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار . مع غلام لها يقال له ميسرة . فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها . وخرج فى مالها ذاك . وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام . فنزل رسول الله صلى عليه وسلم فى ظل شجرة . قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع

---

(٢٤) عبد الوهاب كحيل ، الحرب النفسيه ضد الإسلام فى عهد الرسول فى مكه ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كليه الأداب ، جامعه اسيوط ، سنه ١٩٨٠ ، ص ١٧١ .

الراهب إلى ميسرة . فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت الشجرة . فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى . ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته — يعنى تجارته — التى خرج بها واشترى ما أراد أن يشترى . ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة . فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجرة وأشتد الحر ، يرى ملكين يظلاّنه من الشمس وهو يسير على بعيره . فلما قدم مكة على خديجة بمالها . باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا . وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملائكة إيّاه . وكانت خديجة إمرأة حازمة شريفة لبيبة . مع ما أراد الله بها من كرامتها . فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت له — فيما يزعمون — يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك فى قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه . وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا . وأكثرهن مالا .. كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه . فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكر ذلك لأعمامه .. فخرج معه عمه حمزه حتى دخل على خويلد بن أسد . فخطها إليه . فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة . وكانت أول امرأه تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت » (٢٥) .

وهكذا نرى مدى ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم . وما أعدّه به ربه سبحانه وتعالى من الصفات العظيمه — الصدق والأمانه — منذ حداثه سنه وبداية نشأته . ليكون معروفا بذلك لأهل مكه وسائر مجتمعها من كبيرهم الى صغيرهم . ومن غنيّهم الى فقيرهم . وحتى لا يتطرق الشك الى أحد منهم فى مدى صدق رواياته التى ستروى لهم بعد ذلك . فهو صادق بشهادتهم . وهو أمين بمعايننهم . ومعاملتهم . وكلهم قد رأى منه وسمع عنه . وكلهم قد وثق فى حديثه وعظّم أمانته . وشهد له بذلك .

---

(٢٥) ابن كثير ، البداية والبداية ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

و يدلنا هذا على أن رجل الاعلام يجب أن يتحلى بالصدق فى حديثه كله ليكون حديثه مقنعا . ولتكون رسالته صادقه . وليكون الجمهور على يقين من صدق قوله ورسالته . كذلك يجب أن يتحلى بالأمانه لأن الرساله الاعلاميه ذاتها أمانه يجب أن تؤدى . وما أعظم أمانه الكلمه . أن حفظها والحرص على صدق وسلامه أدائها أعظم أمانه يجب أن يحرص عليها المسلم . لذا كان إعداد الله لرسوله بالصدق والأمانه منذ نشأته . .

٤ ـ الشجاعه :

يتطلب إعداد رجل الاعلام القدير، بعض الصفات التى تدعم ماسبق أن تحدثنا عنه من صفات . مثل رجاحه العقل وحسن الخلق والصدق والأمانه . وأهم هذه الصفات . الشجاعه ، ذلك أن هذه الصفات السابقه ، دون أن يتصف صاحبها و يتحلى بالشجاعه . فإنها لاتؤدى الغرض المطلوب منها . كما أنه لاتيأتى له أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل أو الأفضل .

وإذا كانت أى رسالة تحتاج إلى الشجاعة إلى جوار هذه الصفات السابق الحديث عنها . فإن رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم . بمالها من وزن وثقل عقائدى ، ودينى واجتماعى . تحتاج الى الشجاعة اكثر من غيرها . ذلك أنها تنكر عقائد المجتمع المكى وتعيب عاداته وتقاليده .. وتسفّه الكثير من آرائه . وتنهى عن المرزول والمذموم من أفعاله . و بالتالى فإنها ستجد حربا نكراء . ولابد لحامل هذه الرسالة من أن يكون شجاعاً . فى الجهر بها ، وفى إبلاغها ومساندتها . وعدم التراخى فى الوقوف صامدا من أجلها .

وقد أعدّ الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالشجاعة منذ حداثه سنه . فهو لم يُعرفْ بالشجاعة بعد البعثه . إنما عُرف بها منذ نشأته . وكان لهذا أهمية كبيره . حتى يفكر من يتصدى له فى أمر شجاعته قبل أن يتصدى . وقبل أن يقف فى وجهه . فهو أمام رجل شجاع يجهر بدعوته فى ثبات وصلابه وعزم واقدام . وهوادة لاتلين .

وقد كانت شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم التى اعدّه الله بها قبل البعثه و بعدها . شجاعة الرجل الحكيم . جميل الخلق . حلو الحديث . فهو يستعمل الحكمه

فى حينها و يستعمل الخلق دائما . و يستعمل الشجاعة . وبهذا نرى أن الشجاعة ليس المقصود بها الجهل أو الإغارة . أو الاندفاع دون تفكر ولا رو ية . وإنما هى الصلابة فى الحق . وهى إعمال العقل مع عدم التخوف من بشر . وهى إدراك العواقب ومعرفة النتائج . وهكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا مادفعنا الى الحديث عن رجاحه عقله وحسن خلقه وصدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم . قبل أن نتحدث عن شجاعته واقدامه وعزمه وصلابته فى الحق . و بذلك يمكننا القول بأن الشجاعة التى أعدّ الله عز وجل بها نّبيه صلى الله عليه وسلم هى شجاعه نادره . يمكن القول بأنها شجاعه معنو يه وماديه فى آن واحد . حيث تجمع بين الحكمه والاقدام . وكانت هذه صفاته منذ نشأته كما ستيضح لنا فيا بعد .

وإذا كنا فيا مضى قد رأينا مواقف الحكمه التى ظهرت من محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرح أشراف مكه بتحكيمه بينهم فى وضع الحجر الأسود مكانه حين بناء الكعبه وارتضوا بحكمه ونفذوه ولم يعترض عليه أحد منهم . كما رأينا مواقفه المتعددة الدّاله على حسن الخلق والأمانه والصدق . فيجب أن نستعرض بعض المواقف التى ظهرت فيها شجاعته صلى الله عليه وسلم كفتى من فيتان مكه .

كان من عوامل تكوين الشجاعة كصفة أساسية من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ طفولته . رضاعته فى بنى سعد بن بكر . ذلك أن الرضاعة والنشأه فى البيئه البدو ية تغرس الشجاعة فى نفس الطفل منذ أن يشبّ و ينشأ . « فقد كانت عادة أشراف مكة أن يدفعوا بأبنائهم إلى المرضعات يُربّين أولادهم فى الصحراء . حتى يبلغوا الثامنه أو العاشرة . ابتغاء إجادة العربية والتفصح فيها . والتعود على شظف العيش وخشونته . وكان بنو سعد شهير ين بفصاحتهم » (٢٦) .

و بذلك أقام محمد صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد الى الخامسة من عمره ينهل من جو الصحراء الطلق روح الحر ية والاستقلال النفسى ، و يتعلّم من هذه

---

(٢٦) جلال مظهر ، محمد رسول الله (القاهره : مكتبه الخانجى ، ١٩٧١) ص ٤١ .

القبيلة لغة العرب مصفاة أحسن التصفية . وتركت هذه السنوات الخمس فى نفسه أجمل الأثر وأبقاه (٢٧) .

ومن الأشياء التى كان يحرص العرب عليها لغرس الشجاعة فى أطفالهم منذ حداثه أسنانهم ــ الى جانب الرضاعة فى البيئه البدو يه ــ رعى الغنم . فقد كانوا يرون أن فى هذه المهمة تعليم للصبر والشجاعة . حيث القيام بحراسة الغنم من الذئاب والهوامّ التى يمكن أن تغير عليها . وكذلك حراستها من السرقه ونحوها وهذا تدر يب على الشجاعه والصبر . وقد تدرّب النبى صلى الله عليه وسلم على هذه المهمة منذ أن كان صبيا . حيث ذكر بعض المؤرخين أنه رعى الغنم . وهو فى فتره رضاعته فى بنى سعد بن بكر (٢٨) وذكر بعض المؤرخون أيضا انه صلى الله عليه وسلم قد رعى الغنم بعد ذلك .

غير أنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قد رعى الغنم « عن أبى هر يرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم) فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قرار يط لأهل مكة » (٢٩) .

« قال السهيلى بعد ذكر صحاح الأحاديث التى ثبت فيها أنه صلى الله عليه وسلم رعى الغنم : وإنما جعل الله هذا فى الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق . ولتكون أممهم رعاياهم . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعنى فى منامه) أنه ينزع على قليب (بئر) وحولها غنم سود وغنم عفر. قال ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا ضعيفا والله يغفر له . ثم جاء عمر ، فاستحالت غربا (يعنى الدلو) فلم أر عبقر يا يفرى فر يه . فأوّلها الناس بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤ يا عن معنى الخلافة والرعاية . إذا الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم » (٣٠) .

---

(٢٧) محمد حسين هيكل ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٢٨) انظر ابن هشام ، الجزء الأول مرجع سابق ، ص ٧٧ ، ١٧٨ .

(٢٩) أبوعبدالله محمد بن اسماعيل النخارى ، صحيح البخارى الجزء الثانى (القاهره : دار الحديث ، مجهول السنه) ص ٣٣ .

(٣٠) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

ونشأ النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك شجاعا ، فصيح اللسان ، قد تعود شظف العيش . وتركت هذه البيئه التى هيأها الله سبحانه وتعالى له أثرها على شخصيته . فكان ذامهابة ومكانه بين قومه وأهله وعشيرته . حتى إنهم كانوا حريصين على حضوره معهم فى المواطن الهامه . ومنها حضوره حرب الفجار . وحضوره حلف الفضول .

وحرب الفجار التى شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بسبب عدوان وقع فى منطقه الحرم — والكلمه تعنى ذلك — وكانت بين قريش و بعض حلفائهم من ناحية . و بين بعض قبائل قيس وغيلان من ناحية . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حضر هذه الحرب مع عمومته . وربى فيها بأسهم . وقال ما أحب أنى لم أكن فعلت . كان عمره إذ ذاك نحو عشرين سنه .

وفى رواية ابن هشام عن هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كنت أنبل على أعمامى . أى أرد عليهم نبل عدوّهم إذا رموهم بها (٣١) .

وكان حلف الفضول بعد حرب الفجار كما تخبر بذلك كتب السيره . وأيا كان السبب المؤدى إليه . إلا أنه المتفق عليه بين المؤرخين و بعضهم أن هذا الحلف كان هذه رد الظلم عن المظلوم سواء كان من أهل مكه أو من غيرهم . وقد كان المجتمعون فى هذا الحلف هم زعماء مكه . « حيث دعا إليه الزبير بن عبدالمطلب . واجتمعت فيه هاشم وزهره وتيم بن مرة . فى دار عبدالله بن جدعان . فصنع لهم طعاما . وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقَّه مابلّ بحر صوفه . ومارسى ثبير وحراء مكانها . وعلى التأسى فى المعاش . فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق هذه الحلف الذى حضره مع عمومته « لقد شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلفا لودعيت به فى الإسلام لأجبت ،تحالفوا أن يردّوا الفضول على أهلها وألا يعد ظالم مظلوم . » وقد كان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنه » (٣٢) .

---

(٣١) محمد عزه دروزه ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٣٢) ابن كثير ، البدايه والنهايه ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

وهكذا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على درجة من الأهمية لدى أعمامه وابناء قومه . وكل المجتمع المكى . منذ نشأته الأولى . فمثل هذه المواطن التى ذكرناها . والتى كان له شأن فيها . لا يكون الشأن فيها إلا لمن كان على درجة من الشجاعة والإقدام . فقد كان فى حرب الفجار يرمى بالسهم . و يزود عن أعمامه ويمنعهم و ينبل عنهم . وكان فى حلف الفضول معدودا من الحاضر ين لهذا الحلف . وكان المعروف عند العرب أن مثل هذه المجالس والمواطن لا يحضرها إلا صاحب العقل وصاحب الحكمة وصاحب الشجاعه فى ذات الوقت .

وهذا تأهيل وإعداد أعدّ الله عز وجل به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وزوّده به منذ حداثه سنه . ليكون معروفا بين قومه بمثل هذه الشجاعة والقوه التى تحكمها رجاحه عقله وحسن خلقه . والتى تؤهله لحمل مثل هذه الرساله .

٥ ـــ نسبه وأصالته :

قال ابن اسحاق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه « أنا أعربكم . أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » (٣٣) .

ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى . فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب ونسب عبد المطلب معروف فى كتب السيره وكتب التاريخ . أنه متصل بأبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام . فهو خيار من خيار . وقد حفظ الله عز وجل نسبه واصله . من أن يدُنّس بما كانت جاهليه العرب ـــ قبل البعثه ـــ ترزح تحته من سوء الخلق وشرب الخمر والزنا وأنواع الزواج المتعدده ونحوها . فقد كان بنو هاشم بين قبائل العرب عامه و بين المجتمع المكى خاصه معروفون بأنهم أهل طهر وأهل عفاف .

ولعل اقرب القصص الداله على ذلك ـــ تلك القصه المشهورة ـــ عن عبد الله بن عبد المطلب . حين دعته امرأة من بنى أسد أن يقع عليها . حين أعجبت برجولته وهيئته . فرفض ذلك . وقد منعه الله عز وجل حماية لنسب نبيه صلى الله عليه وسلم (٣٤) .

---

(٣٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(٣٤) انظر ابن هشام ، الجزء الأول ، ص ١٦٨ .

و يدل ذلك على أن الله عز وجل قد عصم نسبه الشريف من أن يدخل فيه شيء يشوبه . أو يدنسه . أو يدع فرصه لمعترض أن يعترض عليه وحاشا لله أن يختار رسولاً يحمل أمانة كلمته ورسالته إلى البشر، ونسبه دون ذلك . فقد اصطفاه الله تعالى . خيارا من خيار .

وكانت نشأة النبى صلى الله عليه وسلم نشأة أصيلة فى بيئة عريقة هى بيت الزعامة والسيادة على مكة كلها . مع ما كان معروفا عن مكه و بيوتها وقبائلها من العزه والشرف . إلا أن عبدالمطلب وآبائه من قبله . وأولاده من بعده . هم سادة هذا المجتمع كله . وما ارتضاهم هذا المجتمع سادة له لكثره مالهم . أولقوة بأسهم . وإنما ارتضاهم لشرفهم . ولأصالتهم . وحكمتهم . واتسامهم بالصدق والطهر والعفاف . ولأنهم لم يؤثر عنهم مايمس كرامتهم . أو يقلل من مهابتهم أو يسوء سمعتهم . فهم أهل الشرف وأهل الكرم . وأهل الحرم وأهل الشجاعه . وأهل المروءه . وهم الذين كانوا يتشرفون بالنسب الى البيت الحرام اكثر من النسب الى غيره .

فهذا هو عبدالمطلب فى عام الفيل . لما يئس من أبرهة ورأى تصميمه على هدم الكعبة . يأمر قريش بأن تخرج من مكة الى الجبل لتحتمى به . ثم يقوم الى الكعبة فيأخذ بحلقة بابها و يدعو الله و يستنصره على أبرهة وجنده و ينشد فى ذلك قائلا :

«لاهُمَّ إنَّ العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدْواً محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدالك» (٣٥)

كانت هذه هى البيئه التى نشأ فيها النبى صلى الله عليه وسلم . ولد فيها وتربى وترعرع فى كنف سيدها عبد المطلب . وفى كنف عمه أبوطالب الذى حل محل جده عبد المطلب . قوم لهم أصل ونسب بين العرب وقبائلها . فهم سادة عصرهم . وهم أهل الحرم و به يُعرفون فى كل مكان .

---

(٣٥) المرجع السابق، ٥١.

وقد كان لرضاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد بن بكر دور كبير فى إعداده من حيث الفصاحه . والحصافة . وهى تكمله لعروبته وأصالته بين العرب . « فقد كان من أسباب دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع لينشأ الطفل فى الأعراب . فيكون أفصح للسانه . وأجلد لجسمه . وأجدر ألا يفارق الهيئه المعدية . كما قال عمر رضى الله عنه : تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا . وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه ـــ حين قال : مارأيت أفصح منك يارسول الله . فقال : « ومايمنعنى . وأنا من قريش . وأرضعت فى بنى سعد ؟ » .

وقد ذكر أن عبدالملك بن مروان . كان يقول : أضرّ بنا حب الوليد . لأن الوليد كان لحّانا .. وكان سليمان فصيحا . لأن الوليد أقام مع أمه . وسليمان وغيره من إخوته سكنوا الباديه . فتعرّبوا . ثم أُدّبوا فتأدبوا » (٣٦) .

وهكذا نجد أن الله عز وجل قد أعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا السلاح ليواجه به أهل مكة وغيرهم . ممن يتطلب الأمر مواجهتهم حينما يجهر بدعوته ، فالذى يقف فى مواجهة محمد صلى الله عليه وسلم . عليه أن يعلم أنه أمام رجل له أصل ونسب . رجل من أفضل العرب فهو صاحب فصاحة . وصاحب شجاعة وله ماض يدل على ذلك خير دلالة . وهو أمام رجل له عشيره وقوم يقفون خلفه . يقومون دونه . ويحرصون على حمايته وسلامته . من كل من أراد أن يبطش به . أو أن ينال منه . وكان هذا سلاحا لازما وماضيا الى جانب تلك الاسلحة التى أعدّ الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ظهر أثر هذا الاعداد الربانى للنبى صلى الله عليه وسلم فى ممارسته للاعلام بالرسالة . وتبليغه إيّاها . فقد تكاملت هذه الصفات كلها . من رجاحه العقل وحسن الخلق . والصدق . والأمانه . والشجاعه . وعراقة الأصل والنسب . كل صفه من هذه الصفات كان لها دورها وتأثيرها واضحا . تكاملت كلها . لتظهر لنا محمدا صلى الله عليه وسلم رجل إعلام قدير بخير رسالة كلف بها بشر على وجه الأرض . الى أكبر جمهور يمتد طولا وعرضا على وجه البسيطه فى عصره

(٣٦) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، الجزء الأول (القاهره : المكتبه التوفيقيه ، ١٩٧٨) ص ١٦٧ .

و يتجاوزه الى كل الأزمان القادمه حتى تقوم الساعه . والى كل مكان فى الدنيا بأسرها . و بكل الوسائل الممكنة للإبلاغ بهذه الرسالة .. الى كل زمان وكل مكان . ولكل عصر ومصر .

وقد كان هذا الاعداد الذى تحدثنا عنه بالنسبه للنبى صلى الله عليه وسلم . إنما هو اعداد مبدئى له قبل البعثه . ولم يكن هذا كل الإعداد الذى أعده الله سبحانه وتعالى به . وإنما كان هناك إعدادا خاصا . واكب فتره نزول الوحى . و بداية البعث . كان إعدادا يتناسب مع هذه الفتره .

وبهذا نرى أن هذا الإعداد الذى كان قبل البعثه . إنما كان تمهيدا وتهيئه للإعداد التالى له . والذى أعدّه الله به مع بداية نزول الوحى . حتى يتحمل ذلك و يستعين به عليه . وحتى يكون لديه طاقة تؤهله لذلك . وتجعل منه رجلا له صفات معينه . تجعله محل احترام مجتمعه كله بسائر طبقاته ومحل ثقته . وأهلا لمحبته .

كان بعد ذلك الإعداد الخاص الذى يناسب فترة نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم . وهوما سنتحدث عنه فى الصفحات القادمه إن شاء الله . ليتسنى لنا الحديث عن ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام برساله الله عز وجل فى مكه ثم فى المدنيه . ثم عبر الأزمنه والأماكن كلها . قدوه حسنه . وأسوة مباركه . يفلح كل من يقتدى و يتأسى به صلى الله عليه وسلم وما للمسلمين من أسوة فى ممارساتهم الإعلاميه سواه . ومن العيب بمكان أن نستلهم نظر ياتنا من الشرق أو الغرب ونحن نمتلك الكنز الذى لا يفنى .. والأسوه التى لا تخطىء . والقدوه التى لا يضل من اقتدى بها . وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : الإعداد فى بداية البعثه :

كانت عملية اعداد النبى صلى الله عليه وسلم ليتحمل أعباء الإعلام برسالة الله عز وجل — فى بداية البعثه تختلف قليلا عن عملية الاعداد فى العصر السابق للبعثة والذى سبق الحديث عنه . وقد كان هذا الاختلاف يرجع الى عملية التغير الزمانى ذاتها . فالإعداد فى العصر السابق للبعثه إنما كان الهدف منه كما رأينا عمليه إثاره انتباه المجتمع المكى حول شخص محمد صلى الله عليه وسلم منذ نشأته . و بيان أنه ليس فردا عاديا . وأنه متميز منذ صباه عن أقرانه وعن سائر أفراد المجتمع الذى نشأ فيه . وترعرع وسطه .

أما عملية إعداد النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام بالدعوه فى بداية البعثه ، فقد كانت تختلف عن مجرد إثاره الانتباه الى شخصه . وإنما تعدت ذلك إلى نوعين من الإعداد . كل منهما يكمل الآخر أما النوع الأول فهو إعداد البيئة المناسبة والمناخ الملائم من حيث الزمان والمكان ، حتى تصبح البيئة مناسبة ومهيأة لأن يقوم النبى صلى الله عليه وسلم بممارسة الإعلام بدين الله عز وجل ورسالته . وأما النوع الثانى من عملية الإعداد فى بداية البعثه فهو إعداد شخص النبى صلى الله عليه وسلم لتحمل أعباء الأعلام برسالة الله تعالى . وهذا الأعداد فى هذه المرحلة مبنى فى ذاته على الاعداد السابق الحديث عنه وهو الإعداد قبل البعثه . وما اتصف به من صفات ميزته عن غيره من أفراد المجتمع المكى . ولفتت إليه انظار هذا المجتمع . وجعلته مثار إعجاب واكبار الكبير والصغير والحر العبد فى هذا المجتمع .

وتفيد دراسة هذه النواحى من حيث إعداد الإعلامى . وإعداد المجتمع الذى يمارس فيه رسالته الإعلامية . تفيد فى بيان أن الإعلام ليس بالشىء الذى يمارس هباءً . أو بطر يقه عشوائيه . وإنما يجب أن يرتكز على دراسات واعية ومستنيره للمجتمع والجمهور . ويجب أن تتم عمليه إعداد وافيه ومدروسة للقائم بالاعلام .

حتى يستحق الاعلام بعد ذلك أن يوصف بأنه إعلام إسلامى . بمعنى أن الإسلام قد علّم كيفية إعداد الإعلامى وتعليمه طرق الاعلام وكيفيته و وسائله وأساليبه . كما علّم كيفيه دراسة المجتمع . واعداده لتلقى الجهد الاعلامى . حتى يكون مؤثرا ومثيرا للاستجابه . فالمجتمع إذا ما فوُجىء برسالة إعلامية دون أن يكون قد تمت تهيأته لتلك الرساله . فإنها تلقى الإعراض من جانب أفراد المجتمع قاطبة ولوكانت تلك الرسالة فيها فائدته وانقاذه من الهلاك ، وسوف نرى أن عملية اعداد المجتمع المكى لتلقى الرسالة أدت إلى ايمان بعض الأفراد برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأول وهلة هؤلاء الأفراد وإن كانوا قلة من الرجال واالنساء والصبيه والاحرار والعبيد إلا أنهم كانوا الإعلاميين الأوائل الذين ساندوا النبى صلى الله عليه وسلم وقاموا معه بجهد الإعلام برسالة الله عز وجل . كما أن هذا الإعداد أدّى إلى أن المقاومين للرسالة التى كان يدعو اليها محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعلمون ــ على الأقل بينهم وبين أنفسهم من ناحية و بينهم و بين بعضهم من ناحيه أخرى مدى كذبهم .. ومدى صدق محمد صلى الله عليه وسلم ومدى صحة إعلامه ورسالته .

وسنتعرض لكل من هذين النوعين من الإعداد بشىء من الايجاز لبيان مدى افاده ذلك ، وللوقوف على أهميته . حتى يمكن أن نستفيدبه فى عملية إعداد رجال الاعلام الإسلامى فى العصر الحديث .

١ ــ تهيئه البيئة المناسبة والمناخ الملائم .

حدثت فى المجتمع المكى قبل الاسلام ــ والمسمى بالعصر الجاهلى ــ بعض الارهاصات التى كانت تشير الى أن تغيّراً ما على وشك الحدوث فى هذا المجتمع . فمع أن هذا المجتمع كان يضج بالفوضى . ويمتلأ بأحداث الغزو والسلب والنهب والسبى . والرقيق والنساء والخمر . إلا أن اشخاصا قد برزوا فى هذا الوقت السابق قليلا لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم والمصاحب له ــ أنذروا بأن هذا عصر نبى قد أظلّ زمانه . و بأن هذه العقائد التى يدينون بها إنما هى باطله . و بأن آلهتهم هذه لاتضر ولاتنفع والعجيب أن هؤلاء الأشخاص الذين أنذروا بذلك لم

يكونوا من المهملين فى قومهم . وانما كانوا من أهل المجد أو من أهل الكهانه . ومعروف أن هذا المجتمع كان يقيم للكهانه وزنا ويحيطها بهالة من القدسية والمهابة والعظمه . كما كان بعض هؤلاء الأشخاص أيضا من أهل الكتاب سواء من اليهود ، أو من النصارى . وقد كان العرب يعلمون أن أهل هذه الكتب هؤلاء لديهم علم من علوم الأولين ليس لغيرهم . فكانوا يقفون أمام كلامهم احتراما ومهابة . ولا يسفهون شيئا منه .

وقد رأينا من قبل ما كان من بحيرا — الراهب . الذى كان على طريق الشام — وما أخبر به عن محمد صلى الله عليه وسلم . ورأينا ما كان من غيره أيضا من أهل الكتاب . كما تعرضنا لبعض ما ذكره ورقة بن نوفل .

وقد كانت هذه الارهاصات كلها لإعداد المجتمع المكى لتلقى هذه الرسالة التى سيحملها إليه محمدا صلى الله عليه وسلم . وحتى لا تكون مفاجأه غير متوقعه له . أو بغير سابق إنذار . فهذه النذر قد سبقت وتكررت منذ سنوات قبل البعثه وحتى بدايتها و بداية عصرها الزاهر .

كان أول هذه الارهاصات التى بدأت تأخذ دورها فى إعداد البيئه الملائمه للإعلام النبوى . هو ما حدث من هواتف الجن تُنبئُ الكهان بأن تغيرا ما حادثا فى هذا الزمان . وأن هذا زمان نبىّ يبعث . وقد حدّدت هذه الهواتف صفات هذا النبى وزمانه ومكانه . وقد أخبر هؤلاء الكهان المجتمع المكى بذلك . مما أدى الى الترقب والانتظار لذلك النبى ورسالته .

« قال محمد بن اسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبه بن المغيره بن الأخنس أنه أول العرب فزع للرمى بالنجوم حين رمى بها — هذا الحى من ثقيف — وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أميه . أحد بنى علاج . وكان أدهى العرب وأمكرها . . فقالوا له ياعمرو ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال بلى . فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر . و يعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء . . لما يصلح الناس فى معاشهم هى التى يرمى بها . فهو والله طى الدنيا . وهلاك هذا الخلق . وإن كانت نجوما غيرها . وهى ثابتة على حالها . فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق . فما هو؟

قال بن اسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن امرأه من بنى سهم ـــ يقال لها الغيطله ـــ كانت كاهنة فى الجاهلية . جاءها صاحبها ليلة من الليالى فانقص تحتها ، ثم قال : أدرما أدر، يوم عقر ونحر، قالت قريش حين بلغها ذلك : مايريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال : شعوب ماشعوب ؟ تصرع فيه كعب الجنوب . فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب . فعرفوا أنه كان الذى جاء إلى صاحبته .

قال ابن اسحاق : وحدثنى على بن نافع الجرش أن جنبا ـــ بطنا من بطون اليمن ـــ كان لهم كاهن فى الجاهلية . فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب . قالت له جنب انظر لنا فى أمر هذا الرجل . واجتمعوا له فى أسفل جبله . فنزل إليهم حين طلعت الشمس . فوقف لهم قائما متكئا على قوس له ، فرفع رأسه السماء طويلا . ثم جعل ينزوا . . ثم قال : أيها الناس إن الله اكرم محمدا واصطفاه . وطهرّ قلبه وحشاه . ومكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد فى جبله راجعا من حيث جاء(٣٧) .

وقد تعددت هذه الإرهاصات التى كانت بمثابة الإعداد للمجتمع المكى فى كثير من الأماكن . منذره ومهيأة هذه البيئه لظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها على سبيل المثال ما رواه سواد بن قارب الدوس والذى كان كاهنا فى الجاهلية وأسلم . وروى ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه « بينما عمر بن الخطاب جالس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب ـــ هو سواد بن قارب الدوس ـــ يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد ، ولقد كان كاهنا فى الجاهلية . فسلم عليه الرجل . ثم جلس . فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحانْ الله يا أمير المؤمنين لقد خلت فىّ . واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وُلّيت ماوليت . فقال عمر : اللهم غفرا . قد كنا فى جاهليه على شرّ من هذا .

---

(٣٧) ابن كثير، البداية والنهايه ، الجزء الثانى ،ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله و بالاسلام . قال : نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا فى الجاهلية . قال فأخبرنى بما جاءك به صاحبك . قال جاءنى قبل الاسلام بشهر أو شيعه — أى دونه — فقال : ألم تر إلى الجن وابلاسها . إياسها من دينها . ولحوقها بالقلاص وأحلامها .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا . فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه .. إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه . وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه ، يقول : يا ذريح ، أمر نجيح . رجل يصيح . يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : و يقال : رجل يصيح بلسان فصيح . يقول : لا إله إلا الله . وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجن وابلاسها وشدها العيش باحلاسها
تهوى إلى مكه تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

قال ابن اسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب » (٣٨) .

ولم تك تلك الارهاصات التى حدثت لإعداد البيئه المكيه لتلقّى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والتمهيد لها . قاصرة على إخبار الجن والكهان . فقد أخبر بذلك أهل الكتب السماو يه من اليهود . والذين كانوا على علم بالكتب السابقه . والذين كان لهم اعتبارهم واحترامهم عند العرب فى الجاهليه قبل الاسلام . وقد اخبر الكثيرون من هؤلاء بأن زمان نبىّ آخر الزمان قد أطل . وأن شمس قد طلعت . و بشّرُوا به . وأخبروا بصفاته وزمانه ومكانه . ونسبه . وما يدعو إليه . حتى أصبح ذلك واضحا للعرب . وأصبح المجتمع كله بيئه ممهده لذلك . ومن أمثله ذلك ما أخبر به أحد أحبار يهود بنى قريظه . وكان سببا فى اسلام بعض

---

(٣٨) ابن هشام ، السيره النبو يه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، الجزء الأول ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

الصحابة الذين سمعوه. وعاشوا معه. وعرفوا منه صفات النبى صلى الله عليه وسلم.

«قال ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بنى قريظه قال: قال لى: هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية، وأسد بن عبيد نفرمن بنى هذيل. اخوبنى قريظه. كانوا معهم فى جاهليتهم. ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام. قال: قلت لاقال: فإن رجلا من يهود من أهل الشام.. يقال له: ابن الهيبان. قدم علينا قبل الاسلام بسنين، فحل بين أظهرنا. لا والله ما رأينا رجلا قط تصلىّ الخمس أفضل منه. فأقام عندنا فكنا إذا قحط علينا المطر. قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا. فيقول: لا والله، حتى تقدموا بين بين يدى مخرجكم صدقة. فنقول له كم؟ فيقول: صاعا من تمر. أو مُدّين من شعير. قال: فنخرجها. ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرّتنا. فيستسقى الله لنا. فوالله مايبرح مجلسه، حتى تمر السحابة وتسقى. قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولاثلاث. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا. فلما عرف أنه ميت. قال: يامعشر يهود. ماترونه أخرجتى من أرض الخمر والخير. إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم. قال: فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف — أى أنتظر — خروج نبى قد أظلّ زمانه. وهذه البلدة مهاجره. فكنت أرجو أن يبعث، فاتبعه. وقد أظلكم زمانه. تسبقنّ إليه يا معشر يهود. فإنه يبعث بسفك الدماء. وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه. فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بعث رسول الله صلى عليه وسلم — وحاصر بنى قريظه. قال هؤلاء الفتيه. وكانوا شبابا أحداثا. يانبى قريظه. والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه إبن الهيبان. قالوا ليس به. قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته. فنزلوا وأسلموا. وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم. قال ابن اسحاق: فهذا مما بلغنا عن أخبار يهود» (٣٩).

وكانت العلاقات الدالة على ظهور النبى صلى الله عليه وسلم والبشاره به فى المجتمع المكى قدظهرت منذ عهد عبدالمطلب حيث بشرته به كاهنه قريش لما قصّ

---

(٣٩) المرجع السابق، ص ٢١٩، ٢٢٠.

عليها رؤيا رآها « قال عبدالمطلب للكاهنه لما قالت له : مابال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر شيء ؟ فقال لها عبدالمطلب : إنى رأيت الليله وأنا نائم فى الحجر كأن شجره تنبت .. قد نال رأسها السماء . وضربت بأغصانها المشرق والمغرب . وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا .. ورأيت العرب والعجم ساجدين لها . وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا ، وارتفاعا . ساعة تخفى وساعة تزهر . ورأيت رهطا قد تعلقوا بأغصانها . ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها . فإذا دنوامنها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب منه ريحا فيكسر أظهرهم و يقلع اعينهم . فرفعت يدى لأ تناول منها نصيبا . فمنعنى الشاب . فقلت لمن النصيب ؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها . فانتبهت مذعورا فزعا . فرأيت وجه الكاهنه قد تغير .. ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب و يدين له الناس » (٤٠) .

وقد أخبر بعض أهل العلم بالكتب أيضا عبدالمطلب بمثل هذه البشرى ولكن بصورة أوضح حيث ذكر له سيف ذى يزن الحميرى صفة النبى صلى الله عليه وسلم وأسمه . ومكان هجرته وماسيلقاه . وذلك حين قدم عليه عبد المطلب فى وفد من قومه مهنئين له بالملك . وكان ذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين « أدنى سيف ذى يزن عبدالمطلب من مجلسه وأخلاه . وقال : ياعبدالمطلب إنى مفض إليك من سر علمى ما لويكون غيرك لم أبح به . ولكنى رأيتك معدنه فاطلعتك طليعه . فليكن عندك مطويا . حتى يأذن الله فيه . فإن الله بالغ أمره . إنى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما . وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيله الوفاه للناس عامه . ولرهطك كافه . ولك خاصة . فقال عبدالمطلب أيها الملك مثلك سرّوبرّ ، فما هو فدا اؤك أهل الوبر زمرا بعد زمر؟ قال : إذا ولد بتهامة . غلام به علامة . بين كتفيه شامة . كانت له الإمامه ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامه . قال عبدالمطلب — أبيت اللعن — لقد أبت بخير ماآب به وافد . ولولا هيبة الملك

(٤٠) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثانى، ٣١٧.

وإجلاله وإعظامه . لسألته من بشارته إيّاي ما ازداد سرورا . قال ابن ذى يزن هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد . واسمه محمد .. يموت أبوه و يكفله جده وعمه .. ولد ناه مرارا . والله والله باعثه جهارا . وجاعل له منا أنصارا . يعزّ بهم أولياءه . و يذل بهم أعداءه .. و يضرب به الناس عن عرض . و يستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويخمد النيران . يعبد الرحمن و يدمر الشيطان . قوله فصل وحكمه عدل . يأمر بالمعروف و يفعله . و ينهى عن المنكر و يبطله . فقال عبدالمطلب : أيها الملك — عز جدك وعلا كعبك ، ودام ملك وطال عمرك . فهذا نجارى فهل الملك سارلى بافصاح . فقد أوضح لى بعض الايضاح . فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلاقات على النقب . أنك يا عبدالمطلب لجده غير كذب . فخر عبدالمطلب ساجدا . فقال ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا ما ذكرت لك . فقال أيها الملك : كان لى ابن . وكنت به معجبا وعليه رفيقا . فزوجته كريمة من كرائم قومه . آمنه بنت وهب . فجاءت بغلام سميته محمدا . فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . قال ابن ذى يزن . أن الذى قلت لك كما قلت . فاحتفظ بابنك . واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء . ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . واطوما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك . فإنى لست آمن أن تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة . فيطلبون له الغوائل . و ينصبون له الحبائل . فهم فاعلون أوابناؤهم .. ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مملكته . فإنى أجد فى الكتاب الناطق . والعلم السابق . أن بيثرب استحكام أمره . وأهل نصرته وموضع قبره . ولولا انى أقيه الآفات . وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره .. ولأوطأت أسنان العرب عقبه . ولكنى صارف إليك ذلك عن غير تقصير بمن معك » (٤١) .

وقد كان نتيجه لكثره تردد هذه البشارات ، أن أصبح المجتمع المكى كله معدًا لاستقبال ذلك ذلك النبى ومهيئا له ومن ذلك أن بعض من علموا كانوا يسمون أولادهم باسم محمد . أملا فى أن يكون هو النبى المنتظر .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

« سئل محمد بن عثمان بن ربيعه بن سواة بن خثعم بن سعد : كيف أسماك أبوك محمدا ؟ فقال سألت أبى عما سألتنى عنه فقال : خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم . وأسامه بن مالك بن جندب بن العقيد . ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن . ونحن نريد ابن جفنه ملك غسان . فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات . فتحدثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال إن هذه لغة ما هى بلغة هذه البلاد . فقلنا نعم نحن قوم من مضر . قال من أى المضرين ؟ قلنا من خندف . قال أما إنه سيبعث وشيكا نبىّ خاتم النبيين . فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فقلنا ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمدا . يعنى أن كل واحد منهم طمع فى أن يكون هذا النبى المبشر به ولده » (٤٢) .

وقد كانت مثل هذه العلامات والدلالات سببا فى إسلام كثير من عظماء العرب . وتصديقهم لدعوه النبى محمد صلى الله عليه وسلم . مثل عمرو بن مرة الجهنى والذى رأى رؤيا وهو يحج فى مكه فى الجاهلية . يروى ذلك فيقول : « خرجت حاجّا فى جماعة من قومى فى الجاهلية . فرأيت فى نومى وأنا بمكة . نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل الى جبل يثرب . وأشعر جهنيه . فسمعت صوتا من بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء . وسطع الضياء . و بعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء اضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن . وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووُصلت الأرحام ، فانتبهت فزعا فقلت لقومى : والله ليحدثن لهذا الحىّ من قريش حدث — وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا . جاءنى رجل يقال له أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت . فقال : « ياعمرو بن مرة أنا النبى المرسل الى العباد كافة . أدعوهم إلى الإسلام . وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام . وحج البيت . وصيام شهر رمضان من اثنى عشر شهرا . فمن أجاب فله الجنه . ومن عصى فله النار فآمن ياعمرو يؤمنك الله من هول جنهم » فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . آمنت بما جئت من حلال

---

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٣٣١ .

وحرام . وإنْ رغم ذلك كثيرا من الأقوام . ثم أنشدته . أبياتا قلتها حين سمعت به . وكان لنا صنم . وكان أبي سادناله . فقمت إليه فكسرته . ثم لحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدت بأن الله حق وإننى لآلهة الأحجار أول تارك
وشُمّرت عن ساق الا زار مهاجرا إليك أجوب القفر بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفسا وولدا رسول مليك الناس فوق الحبائك(٤٣)

وكان مما زاد فى تهيئة المناخ لأن يكون المجتمع المكى مهيئا للاعلام النبوى أن كثيرين من المنتسكين من أهل مكه . والذين كانوا قد تأثروا بمثل هذه العلاقات ــ بدأوا فى طلب الحقيقة . وساورهم الشك فى عبادة الأصنام . ومن أمثلة هؤلاء القس بن ساعده الإيادى . وورقه بن نوفل . وز يد بن عمرو بن نقبل . ونضرب فى هذا المجال مثالا لما حدث لز يد بن عمرو بن نقيل . وقد عرضنا من قبل لمواقف ورقه بن نوفل وتبشيره لخديجه بالنبى صلى الله عليه وسلم .

خرج ز يد بن عمرو بن نقيل يطلب دين ابراهيم عليه السلام . و يسأل الرهبان والأحبار . حتى بلغ الموصل والجز يرة كلها . ثم أقبل فجال الشام كله . حتى انتهى الى راهب بميفعه ــ أرض مرتفعه ــ من أرض البلقاء . كان ينتهى إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون . فسأله عن الحنفية دين ابراهيم . فقال : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم . ولكن قد أطل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يبعث بدين ابراهيم الحنيفية . فالحق بها . فإنه مبعوث الآن . هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئا منها . فخرج سر يعا . حين قال له ذلك الراهب ما قال . ير يد مكه . حتى إذا توسط بلاد لخم .. عدوا عليه فقتلوه » (٤٤) .

وهذه أمثلة تدل على أن المجتمع المكى قد هيأه الله عز وجل . وجعل منه بيئة معدة . ومناخا مناسبا . لأن يمارس النبى صلى الله عليه وسلم إعلامه بدين الله عز وجل .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٤٤) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

٢ ــ الإعداد الشخصى للرسول فى بداية البعثة :

أعد الله عز وجل نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى بداية بعثته بصفات جسميه وروحيه . يمكن أن نطلق عليها مجتمعه بالصفات الشخصيه. وهذه الصفات كانت من عوامل التحمل وتمكين النبى صلى الله عليه وسلم من ممارسة الإعلام بدين الله . وتحمل رسالته .. ذلك أن هذه الرساله لعظمتها . وفضلها . ومالها من شأن لايبارى ولايجارى ، كان لابد لها من شخصيه عظيمة تتحملها . وهذه الشخصية لابد من إعدادها إعداد جيدا . يتناسب مع قيمة هذه الرسالة . وعلى مراحل متعدده . فقد رأينا أن الله عز وجل قد نشأ نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم على صفات جميله . وخصال حميده . وخلق حسن . يختلف عما كان عليه المجتمع المكى . ليثير الانتباه إليه كما عرفنا من قبل . ومع اقتراب وقت القيام بالمهمة الإعلاميه . كان الاعداد الشخصى للبنى صلى الله عليه وسلم .

ومن هذه المراحل الخاصه بإعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم . يجب أن يتعلم رجال الإعلام فى العصر الحديث أن الإعلام لايمارس هباءً . أو بطريقه عشوائية . كما أنه جهد لا يقوم به أى فرد دون إعداد . وهذا الإعداد نفسه يجب أن يتناسب مع قيمة وحجم الرسالة التى سوف يقوم بها الإعلامى . ومالها من شأن . ذلك أن الدين الاسلامى كله إنما هو التعليم والاستفاده . وعلى البشر أن يستفيدوا كلٌّ فى مجاله ــ من هذا الدين .. ومن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم . وماحدث فيها . فقد كان فى قدرة الله عز وجل أن يجعل نبّيه قادرا على ممارسة هذا الإعلام بهذا الدين دون خطوات الاعداد التى رأيناها هذه . أى بالفطره . ولكن الله تعالى يُعلّم عباده و يضرب لهم الأمثلة اللازمه لهم فى حياتهم بالنبى صلى اله عليه وسلم نفسه . فكما حدث فى حادث الهجرة من مكة الى المدنيه : أن جعل الله نبيه ينتقل بحذر . ويختبىء فى الغار و يركب الجمل أو الناقة . و يسلك طريقا غير مألوف . وكان فى قدره الله تعالى أن ينقله من مكه الى المدينه فى لمح البصر ودون عناء .

كما حدث فى ليلة الاسراء والمعرج . ولكن الله عزوجل يربى عباده و يعلمهم الجهاد . وكيفية الإعداد . حتى يسيروا على نهج ربهم وسنة نبّيهم صلى الله عليه وسلم .

وقد تمثل إعداد النبى صلى الله عليه وسلم من أجل القيام بجهد الإعلام بالإسلام . فى أنه حُبِّبَ إليه الخلاء .. والتنسك فى الغار والإنقطاع عن الناس . وفى الرؤيا الصالحه . بالإضافة الى أنه كان صلى الله عليه وسلم أميالا يقرأ ولايكتب . الا أنه كان فصيحا بليغا حسن البيان . وهذه صفات روحيه وجسميه معا . لذا أطلقنا عليها الصفات الشخصية أو الإعداد الشخصى للنبى صلى الله عليه وسلم . وقد حدثت هذه فى بداية نزول الوحى أو قبله بوقت قليل . لتكون مهيأة له لتحمل أعباء الإعلام بالإسلام .

« قال الإمام أحمد : حدثنا أبوالنضر، قال حدثنا الفرج بن فضالة ، قال حدثنا لقمان بن عامر قال : سمعت أبا أمامة قال : قلت يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبى ابراهيم ، و بشرى عيسى ، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » . ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره . فذكر دعوة ابراهيم الذى تنسب إليه العرب . ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم أنبياء بنى اسرائيل . يدل هذا على أن بينهما من الأنبياء من بشروا به أيضا » (٤٥) .

وتذكر كتب السيرة أن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهو فى سن الأربعين . وهذا هو سن اكتمال العقل ونضوجه . و يعتبر هذا السن أول ما أعد الله به نبيه فى فتره بداية الوحى للقيام بجهد الإعلام بالإسلام وهو اكتمال العقل ونضجه . بعد أن عُرف فى المجتمع المكى بأسره بما عرف به من صفات طوال هذا العمر الماضى له من قبل وسط هذا المجتمع وأهله .

« قال ابن هشام : فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين .. وكافة للناس بشيرا .. وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به . والتصديق له ، والنصر له على من

---

(٤٥) ابن كثير، البداية والنهايه ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ،ص ٣٠٦ .

خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم . فأدوامن ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه . ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى** »أثقل ماحملتكم من عهدى « **قالوا أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق ممن خالفه . وأرادوا ذلك إلى من آمن بهم . وصدقهم من أهل هذين الكتابين » (٤٦) .

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى علامات النبوة شيئا فشيئا . حينما بلغ هذا السن من عمره— وهو سن الأربعين— الذى نزل عليه الوحى فيه كما ذكر من قبل . وكانت هذه الأشياء التى يراها . واحده بعد الأخرى . هى عوامل الإعداد لتحمل الإعلام بالاسلام بطريقة تدريجيه . ومن ذلك على سبيل المثال « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته . وابتدأه بالنبوة . كان إذا خرج لحاجته . أبْعد حتى تحسّرتْ عنه البيوت . و يفضى إلى شعاب مكة و بطون أوديتها . فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم— بحجر ولاشجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله فيتلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله . وعن يمينه وشماله وخلفه . فلا يرى إلا الشجر والحجاره . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم— كذلك يرى و يسمع ماشاء الله أن يمكث . ثم جاء جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان» (٤٧) .

و بذلك نرى أن الله عز وجل بدأ فى إعداد رسوله فى بداية فتره البعثه حتى لا يكون ذلك الأمر مفاجأه مذهلة له . . أو شديدة الوطأة على نفسه . . ومن هذا الاعداد أيضا . أن الله عز وجل حبب إليه الخلاء . وكثره التعبد حتى تصفوا روحه ونفسه . وليكون أهلا لتلقى رساله الله تعالى والإعلام بها .

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء من كل سنه شهرا . فكان فى ذلك الشهر يطعم من جاء من المساكين . فإذا قضى رسول الله صلى الله

(٤٦) ابن هشام ، السيره النبو يه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

عليه وسلم جواره من شهره ذلك . كان أول ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة — قبل أن يدخل بيته . فيطوف بها سبعا . أو ما شاء الله من ذلك . ثم يرجع إلى بيته . حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه الله تعالى فيها . وذلك الشهر شهر رمضان . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله . حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به . جاءه جبريل — عليه السلام — بأمر الله تعالى » (٤٨) غير أن رواية أنه كان معه أهله الواردة هنا مردود عليها .

وقد جمع كل ذلك من الصفات الجسميه والروحية التى أعدّ الله عز وجل بها نبيه فى بداية فتره نزول الوحى . حديث البخارى الذى روته السيده عائشه رضى الله عنها حيث قالت : « أول ما بُدىء به رسول الله عليه وسلم من الوحى الرؤ يا الصالحه فى النوم . فكان لا يرى رؤ يا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد الليالى ذوات العدد — قبل أن ينزع إلى أهله ، و يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجه فيتزود لمثلها . حتى جاءه الحق . وهو فى غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . قال ما أنا بقارىء . قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى . فقال اقرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانيه حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى . فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثه . ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى . خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجه بنت خويلد رضى الله عنها ، فقال زملونى زملونى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجه وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم . وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم . وتقرى الضيف . وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجه . وكان امرأ تنصر فى الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب

(٤٨) المرجع السابق . ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

من الإنجيل بالعبرانيه . ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخا كبيرا قدعمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك .. فقال له ورقة : ياأبن أخى ماذا ترى ، فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى .. ياليتنى فيها جذعا . ليتنى أكون حيّا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله : أو مخرجّى هم . قل نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى » (٤٩) .

وكان مما أعد الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم أيضا لتلك المهمه الاعلاميه العظيمه . أنه كان أميا . لايقرأ ولا يكتب . وما كان هذا إلا من عوامل الإعجاز . فمع أن الرساله عظيمة . وشأنها جليل إلا أن مبلّغها وحاملها أمىّ لا يقرأ ولا يكتب . فمن أين جاء إذن بها . لا مصدر لها إلا أنها من الله عز وجل .

وقد كانت صفة الأمية هذه للبنى صلى الله عليه وسلم مذكورة فى كتب السابقين . من اليهود والنصارى . وقد سألوا عنها ضمن الصفات التى سألوا عنها من صفاته صلى الله عليه وسلم . فلما عرفوها عرفوا وأقروا وأعلنوا أنه نبى آخر الزمان . وقد تكرر هذا فى أكثر من موضع . منها ما حدث مع كسرى لما سأله أبوسفيان عنه . ومنها ما حدث من قصة العباس بن عبد المطلب وابوسفيان أيضا فى اليمن وسألهم أهل الكتاب عن ذلك لما بلغهم خبر ظهور رسول صلى الله عليه وسلم وهم باليمن . وقد ذكر هذه القصه ابن كثير فى سيرته وسنذكرها كمثال على ذلك . وأشير هنا الى أنه مع اميته إلا أنه كان فصيحا بليغا كما سنذكر فيما بعد . وهذا هو المهم فى الإعلامى حسن البيان والفصاحه .

« عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال العباس : خرجت فى تجارة إلى اليمن فى ركب منهم أبوسفيان بن حرب . فقدمت اليمن فكنت أصنع يوما طعاما وأنصرف بأبى سفيان و بالنفر و يصنع أبوسفيان يوما . و يفعل مثل ذلك . فقال لى فى يومى الذى كنت أصنع فيه . هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى

---

(٤٩) أبوعبدالله محمد ابن اسماعيل البخارى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٦ ، ٧ .

بيتى وترسل إلى غذاءك ؟ فقلت : نعم . فانصرفت أنا والنفر الى بيته وأرسلت إليه الغداء . فلما تغدى القدم قاموا واحتبسنى . فقال هل علمت يا أبا الفضل أن إبن أخيك يزعم أنه رسول الله . فقلت : أىّ بنى أخى ؟ فقال أبوسفيان إيّاى تكتم ؟ ! وأى بنى أخيك ينبغى أن يقول هذا إلا رجل واحد ؟ قلت وأيّهم على ذلك ؟ قال هو محمد بن عبدالله . فقلت قد فعل ؟ قال بلى قد فعل . واخرج كتابا باسمه من ابنه حنظلة بن أبى سفيان فيه : أخبرك أن محمدا قام بالأبطح فقال : « أنا رسول الله أدعوكم الى الله عز وجل » فقال العباس : قلت : أجده يا أبا حنظلة صادقا . فقال : مهلا يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول هذا أبدا . إنى لا أخشى أن يكون على ضير من هذا الحديث يا بنى عبدالمطلب . إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنّة وهنّة . كل واحدة منها غاية . لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت : نعم قد سمعت قال فهذه والله شؤمتكم . قلت : فعلها يمنتنا . قال : فلما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبدالله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن . ففشا ذلك فى مجالس اليمن . وكان أبوسفيان يجلس مجلسا باليمن يتحدث فيه حبر من أحبار اليهود . فقال له اليهودى ما هذا الخبر؟ بلغنى أن فيكم عمّ هذا الرجل الذى قال ما قال ؟ قال أبوسفيان صدقوا وأنا عمه . فقال اليهودى أخو أبيه ؟ قال : نعم ! قال فحدثنى عنه . قال لا تسألنى ما أحب أن يّدعىَ هذا الأمر أبدا ، وما أحب أن أعيبه وغيره خيرمنه . فرأى اليهودى أنه لا يغمس عليه ، ولا يحب أن يعيبه . فقال اليهودى ليس به بأس على اليهود وتوراة موسى . قال العباس : فنادانى الحبر . فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد .

وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر . فقلت للحبر بلغنى أنك سألت ابن عمى عن رجل منا زعم أنه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأخبرك أنه عمه وليس بعمه .

ولكن ابن عمه . وأنا عمه وأخو أبيه . قال أخو أبيه ؟ قلت أخو أبيه . فأقبل على أبى سفيان فقال : صدق ؟ قال نعم صدق .. فقلت سلنى فإن كذبت فليرد على . فأقبل علىّ فقال : نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة ؟ قلت لا . واله عبد المطلب ، ولا كذب ولا خان ، وإنه كان اسمه عند قريش الأمين . قال فهل كتب بيده ؟ قال العباس : فظننت أنه خير له أن يكتب بيده . فأردت أن أقولها ثم ذكرت مكان أبى سفيان يكذبنى و يرد على . فقلت لا يكتب . فوثب الحبر .

ونزل رداؤه وقال : ذبحت يهود . وقتلت يهود . قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا . قال أبوسفيان : يا أبا الفضل : إن اليهود تفزع من ابن أخيك . قلت قد رأيت ما رأيت . فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به . فإن كان حقا كنت قد سبقت وإن كان باطلا فمعك غيرك من اكفائك ؟ قال لا أؤمن حتى أرى الخيل فى كداء . قلت ما تقول ؟ قال كلمه جاءت على فمى إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء . قال العباس : فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكه ونظرنا الى الخيل وقد طلعت من كداء . قلت يا أبا سفيان تذكر الكلمه ؟ قال إى والله انى لذاكرها . فالحمد لله الذى هدانى للإسلام » (٥٠) .

كان من عوامل اعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يكون إعلاميا قديرا أنه لم يكن من طلاب الرياسه . ولا من محبى الزعامه ولا القياده السياسيه . فلم يشتهر بذلك فى المجتمع المكى ولم يعرف به . وإنما اشتهر بما سبق الحديث عنه من صفات اجتماعيه نبيله . تؤهله لأن يكون معروفاً . متفردا فى مثل هذه الصفات الجميله . مسموع الكلمه . ليّن الجانب . محبوبا لدى الجميع . من صغير الى كبير . ومن غنى إلى فقير . ومن حر الى عبد .

« فمع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان من بطن ذى مكانة محترمه . وعصبيته عزيزه . إلا أنه لم يكن من الزعماء البارزين فى بيئته . ولم يكن من الزعماء السياسيين الذين تولوا أحد المناصب السياسية لدولة مكة . وكان هذا من أسباب وقوف زعماء قريش منه موقف الاستكبار والأنفه . ترفعا عن اتباع شخص ليست له زعامة توجب الطاعة . وتبرر الاتباع . حيث كان للزعامة أثر ودور قويان فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم وعصره قبل البعثه .

ولذلك قالوا « **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » (٥١) ومع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف بكرم الخلق ورجاحة العقل . وكان مشهورا عند أهل مكة كلهم بالصادق الأمين . إلا أنه لم يكن بارزا قبل البعثه فى مجال الزعامة بروزا يلفت النظر كأبى سفيان بن حرب وأبى جهل

---

(٥٠) ابن كثير ، البدايه والنهايه ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٥١) سوره الزخرف (٣١) .

وغيرهما من زعماء مكه وحكامها . وكان هذا مما جعل القرشيين يحنقون عليه وخاصه زعماؤهم . و يعجبون لعدم نزول القرآن على عظيم من عظماء مكه أو الطائف واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الشرف الربانى دونهم » ([٥٢]) .

ورجل الاعلام فى حقيقة الأمر لا يحتاج إلى أن يكون زعيما سياسيا . أو صاحب سلطه وقوه وسطوة حتى يطاع . وإنما يحتاج لأن يكون محبو با لدى الجمهور المستقبل لرسالته الاعلامية . و بقدر الحب المتبادل بين رجل الاعلام وجمهوره بقدر ما يكون قادرا على تفهم هذا الجمهور . و بقدر ما يكون الجمهور بدوره متفهما للرسالة الاعلامية ومحبا لها . وهذا يؤدى الى حسن الارسال . وحسن صياغه الرسالة الاعلامية . وحسن اختيار الوسيلة المناسبة للجمهور . وحسن استقبال الجمهور لهذه الرسالة أيضا . مما ينتج عنه التأثر بالرسالة من جانب الجمهور المستقبل . و بالتالى تحدث الاستجابه ورد الفعل الذى يكمل الدائرة الا تصالية الاعلامية . و يدفع عجلتها الى الدوران المستمر .

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب زعامة سياسية فى مكة . أو حتى قد عُرف بحبه للر ياسه أو السلطه . لظن الناس فى ذلك المجتمع أنه ينشد المجد والزعامة والر ياسة . وأنه يزعم الرسالة من أجل الملك أو الر ياسة . أما كونه لم يكن معروفا بذلك مع كونه ابن ساده قر يش واصحاب المجد والشرف والزعامه فيها . فهنا كان مثار العجب . وكان علامة تعجب واضحة اندهش لها المجتمع المكى كله . وأدت هذه الدهشة الى أن يتساءل البعض . و يفكر البعض . و يؤمن البعض برسالته . وأيضا يقف البعض موقف المحايد من الدعوه وصاحبها . وما يبثه من رسائل اعلاميه بهذا الدين . فقد تحفظ الكثيرون ازاءها كما سنرى فيما بعد .

وقد ظن بعض أهل مكه أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — انما بدعوته هذه ينشد الشرف و يطلب الر ياسه والزعامه . فعرضوها عليه . لكنه صلى الله عليه وسلم . أعرض عنها . و بين لهم أن هذه ليست مطلبه . فاتجهوا الى طلب الطب

---

(٥٢) عبد الغفار عز يز وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

له . ثم واجهوه بالحرب علانية . ولكنه صاحب رساله حق لا يهمه حرب . ولا تغريه زعامه . .

و يدلنا هذا على أن رجل الإعلام لا يقف فى مكانه — الإعلامى — عن طريق القوه أو السلطه . وليست هذه من مؤهلاته . وأنما مؤهلاته إنما هى صفات أخرى . كحسن الخلق ولين الجانب والفصاحه والصدق والأمانه والوقوف إلى جانب قضيه الحق . مع كونه ليّن الجانب حلو الحديث .

وقد رأينا أن الله عز وجل قد أعد نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات واكثر منها قبل بعثته . وزاد عليها أنه كان صلى الله عليه وسلم أمّيا لا يقرأ ولا يكتب مع كونه فصيحا حسن البيان . حلو الحديث . وهذا كان من المؤهلات العظيمه له صلى الله عليه وسلم كرجل اعلام بدين الله عز وجل فقد كانت أحاديثه ولازالت كلمات مضيئه يعجز أصحاب الألسنة والبيان عن مجاراتها أو محاكاتها . لا فى عصره ولا فى غير عصره صلى الله عليه وسلم . وقد عجب أصحابه من ذلك . فسألوه فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر» (٥٣) .

وهكذا نرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أمّيا . لكنه كان بفصاحته وعروبته و بلاغته . وحسن منطقه و بيانه إعلاميا قديرا . « فلعل حكمة الله قضت أن تحمل هذه الرساله الإنسانيه الى الناس جميعا ، شخصية ، لم يدخل على فطرتها الصافية إلا تعليم ربها . كما تستطيع أن تحمل رسالة الإنسانية السمحة نقية صافية من كل شائبة من تعليم الناس وقيم الأرض ، لتلقى مع الفطره الانسانيه » (٥٤) .

والى جانب هذا الاعداد وهذه الصفات الالهيه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التى أعده الله عز وجل بها وزوده إياها . كان اعداد البيئه والمجتمع . وتهيئه

---

(٥٣) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محيى الدين عبدالحميد ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

(٥٤) محمد على الهاشمى ، شخصيه الرسول ودعوته فى القرآن الكريم ، الطبعة الثالثه (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٣) ص ٢٤ .

المناخ المناسب والذى يحوى جمهور المستقبلين للرساله . كل هذه العوامل كانت خير اعداد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون اعلاميا قديراً بدين ولدين الله عز وجل . على امتداد الزمان الى يوم القيامه . وفى امتداد المكان الى كل مكان فى الأرض . ولصالح العباد جميعا مسلمين وغير مسلمين فى دنياهم وآخرتهم . وليتعلم المسلمون كيفية إعداد رجل الإعلام الاسلامى . وقد أدى ذلك الى أن يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهد الاعلامى بالرساله الاسلاميه . كخير ما قام و يقوم به اعلامى على وجه الأرض كما سنرى فى الفصول القادمه أن شاء الله .

الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل

أولا : محمد النبى الرسول .

ثانيا : الأهمية الإعلاميه للأنبياء والرسل بالنسبه للبشر.

ثالثا : الفارق بين النبى والرسول .

رابعًا : صفات الأنبياء والرسل .

خامسا : العلاقه الإعلاميه بين نبى ونبأ ورسول ورساله .

أولا : محمد النبى الرسول

كان اسم محمد من الأسماء الغريبة على المجتمع المكى . فلم يكن من الأسماء المتداولة فى المجتمع الجاهلى قبل الإسلام . لذا كان من المثير للانتباه أن يسمى عبد المطلب حفيده محمدا . وكان هذا مدعاة لأن يسأله بعض العرب . لم أسميته محمدا ؟ أرغبت عن أسماء آبائه ؟ فقال عبد المطلب : أردت أن يكون محمودا فى السماء لله وفى الأرض لخلقه .

ولما حان وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحجار مكة وأشجارها تسلّم عليه بصفة النبوة . حيث تذكر كتب السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته كان لايمر بحجرولا شجرإلا قال له : السلام عليك يا رسول الله (١) .

وكان أول مانزل من الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الله عز وجل « **إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمْ. الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ. عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** »(٢) وعاد النبى صلى الله عليه وسلم الى زوجه خديجة فزعا مما رأى وقال لها زملونى ، زملونى . دثّرونى دثّرونى . وحدث ماذُكر من قبل من أن خديجة ذهبت به لابن عمها ورقه بن نوفل . وكان رجلا باحثا فى الأديان . على علم بالكتب . فقال إنه والله الناموس الذى نزل على موسى . وأخبرها أنه نبى آخر الزمان .

وكانت السوره الثانيه من القرآن التى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب تسلسل ترتيب السور فى القرآن الكريم . هى سوره المزمل . و بعدها

---

(١) انظر سيره النبى لابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

(٢) سوره القلم (١ـ ٥) .

أى الثالثه سوره المدثر . وسنعود إلى تحليل هذه السور القرآنيه الثلاثه من حيث كونها رسالة إعلامية . ومن حيث ما فيها من أوامر بالاعلام وكيفيته و وسيلته وأسلوبه . ولكن فى هذا الموقف سنكتفى منها بخطاب الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسول و بلفظ النبى . و بالأمر بالإعلام .

ففى بداية سورة القلم يأمره الله عز وجل بالقراءه باسم ربه الذى خلق . وفى بداية المزمل يأمره بقيام الليل والاستعداد لما سيلقيه عليه من قول ثقيل « **إنّا سنلقى عليك قولا ثقيلا** » أى عظيم الشأن . ثم يخاطبه ويخاطب قومه الذين أمره بالصبر على أذاهم ومقابلتهم بالحسنى وإن أساءوا . وتوعّد المكذبين منهم بالعذاب . بعد ذلك يصفه الله سبحانه وتعالى بصفة الرسالة « **إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا** » .

وفى سوره المدثر يأمره الله عز وجل بالإنذار . « **يا أيها المدثر قمْ فأنذر. وربك فكبر وثيابك فطهر** » . والإنذار هنا فى اللغه بمعنى الإعلام . والتبليغ بهذه الرساله التى أشار اليه بها فى السورتين السابقتين القلم والمزمل . ولعل هناك علاقة بين بداية سوره المزمل وهى السوره الثانيه من القرآن العظيم و بين قوله صلى الله عليه وسلم لما عاد فزعا لما رأى جبريل لأول مره فقال لخديجه زملونى زملونى .

وقد تعدد خطاب الله تعالى فى القرآن الكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم بنداء يا أيها النبى . و يا أيها الرسول . و بالصفه محمد رسول الله . و يأمر المسلمين باحترام صفته ونبوته (**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفره وأجر عظيم . إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** » (٣) وبهذا نرى أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان متفردا فى تسميته وسط المجتمع المكى بهذا الاسم . وكان نبيّا بنبأ السماء . ورسولا برسالة الله عز وجل كما سمّاه ربه سبحانه وتعالى وخاطبه بذلك فى القرآن الكريم .

---

(٣) سوره الحجرات (٢ــ ٤) .

ولم تكن تسمية نبى أورسول قاصرة على محمد صلى الله عليه وسلم وحده دون من أرسلهم الله تعالى . ولكنها كانت صفتهم جميعا . لأن الله تعالى قد أوحى إلى أنبياء وأرسل رسلا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن محمدا تفرّد بأنه آخرهم . وكان منهم من يسمى نبيا فقط . ومنهم من هو نبى رسول . ومنهم اثنان فقط اجتمعت لهم صفات النبوة والرسالة الى جانب الملك وهما داود وسليمان .

وكان النبى يرسل نبيا فقط أو نبيا رسلا ، أو نبيا ملكا لمقتضى الحال من حيث الزمان والمكان والرساله والجمهور .

وسنتحدث هنا عن الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل بالنسبه للبشر . وعن الفارق بين النبى والرسول . وعن صفات من يختاره الله تعالى لهذه المهمة . ثم العلاقة بين النبى والنبأ والأنباء بمعنى الإخبار . والرسول والرسالة بمعنى توصيل معنى معين مكتوب أومسموع الى جمهور معين فى زمان معين . ولإحداث تأثير معين بهدف معين وهو الجهد الإعلامى . لنعلم أن الجهد الإعلامى ليس جهدا مستحدثا ولا وليد عصرنا .

ثانيا : الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل :

خلق الله عز وجل الأرض وعمّرها بالبشر . « **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفه** »(٤) وخلق هؤلاء البشر أو الخليفة التى عمّرت الأرض بطريقه اصطفاها واختارها سبحانه وتعالى لهم . حيث جعل لهم طبائع معينه . تقتضى هذه الطبائع أن يكونوا مخطئين . وأن يكون من عاداتهم نسيان أوامر الله عز وجل . مما تطلب اصلاح أحوالهم وتذكيرهم دائما . وله سبحانه وتعالى فى ذلك حكم عظيمه . لا يعلمها إلا هو لذا لما تساءل الملائكه عن سبب تعمير الأرض بهذه الخليفة أجابهم ربهم جل وعلا بأن له حكم فى ذلك . « **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إنى أعلم مالا تعلمون** »(٥) .

وكانت البداية الآدمية على الأرض أن جعل هذه الطبائع متأصلة فى آدم ذاته . إذ عصى أمر ربه . فأخرجه من الجنه . فاعترف بذنبه وتاب الى ربه .فقبل ربه عز وجل توبته وأوبته . وعفا عنه . وتقبل منه . ولم يرجع إبليس إلى ربه ولم يتب . وخرج آدم وإبليس من الجنه ونزلا إلى الأرض ، هذا تائب مغفور له . وذاك مذنب مصّر على معصيته وذنبه مغضوب عليه . قال تعالى : « **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنه وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلها الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**(٦) .

---

(٤) سوره البقرة (٣٠) .
(٥) البقره (٣٠) .
(٦) البقره (٣٣ — ٣٩) .

وهكذا أصبح آدم وذريته على وجه الأرض . لهم طبيعة خلقهم الله عز وجل عليها تحتاج الى التذكير ليعودوا عن أخطائهم . و يستغفروا من ذنوبهم . و يرجعوا إلى ربهم . هذا من جانب . ومن جانب آخر فإن لهم عدُّو قد أُخرج من الجنه بسببهم وحكم عليه بالنار لذا فهو مترصد لإغوائهم وإيقاعهم فى الأخطاء والذنوب والآثام . وهو إبليس . وقد ذكر الله عز وجل موقف ابليس من آدم وذريته . حينما تاب الله على آدم . طلب ابليس من ربه مطلبا وهو أن يظل مُنْظَراً إلى يوم القيامه . وقد سجل الله عز وجل هذا الحوار وأسبابه ونتائجه . قال تعالى : « **إذ قال ربك للملائكه إنى خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، قال فاخرج منها ، فإنك رجيم . وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين . قال : رب فانظرنى إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لأغوينّهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول . لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** » (٧)

ومن هنا كانت حاجه البشر الى من يذكرهم بعداوه إبليس . والى من يحارب كيد الشيطان وذريته . والى من يعود بالبشر الى ربهم عز وجل . ولأن الله تعالى أعلم بحال عباده . فقد كان يرسل إليهم من آن لأخر من يذكرهم . كل قوم يرسل إليهم من يصلح لهم وبما يصلح لهم ، وكل زمان يرسل له من يصلح له . وبما يصلح له . وهذا أدّى إلى الفارق بين مُرْسَل وآخر . فأرسل الله تعالى الى بعض الأقوام أنبياء . والى بعضهم أنبياء ومرسلين . والى بعضهم أنبياء ملوك كلٌ على حسب أحوالهم . ومن هنا أيضا كان الفارق بين النبى والنبى الرسول . والنبى الملك .

فالمعروف أن عمليه الاتصال الاعلامى تتكون من طرفين رئيسيين هما المرسل والمستقبل . وتتم العملية الاتصاليه بوجود رسالة لدى المرسل يريد أن ينقلها الى المستقبل باستخدام وسيلة اتصال تتلاءم مع طبيعة الرسالة من ناحية ، وتتناسب

(٧) سوره ص (٧١ – ٨٥) .

مع المستقبل من ناحية أخرى . و بقدر حدوث التوافق بين المرسل والمستقبل بمعنى فهمه لطبيعته ولغته وعاداته وتقاليده ، بقدر ما أمكن أن يصوغ رسالته الإعلاميه بطريقه تناسب ذلك المستقبل . وأيضا بقدر ما كان المرسل متفهما لرسالته متحمسالها ومتفهما للوسائل المتاحة والمناسبة لمحتويات الرسالة وللمستقبل بقدر ما أتيحت للعملية الاتصالية عوامل النجاح .

« من هذا يتضح أنه لكى يحدث اتصال لابد من حدوث تفاعل بين المرسل والمتلقى و بين المرسل والرسالة . وهذا التفاعل يتم فى إطار اجتماعى معينّ يترك تأثيرا على كل من المرسل والمتلقى و يتحكم فى نوعية الرسالة » (٨) .

وإذا ماحدث هذا التفاعل بين أطراف العملية الاتصالية هذه . فأصبح المرسل مدركا لأهمية قيامه بالاتصال متحمسا لها .. وأصبح أيضا يعرف ما هى وسائل الاتصال المتاحة والميسورة من حيث الاستخدام وكيفيته . وملاءمتها للرساله وللمستقبل . إذا ماحدث ذلك إلى جانب معرفة المرسل معرفة دقيقه وواعية بمن هو المستقبل . وما هو الهدف من الاتصال . إذا حدث هذا كله أمكن التأثير فى المستقبل . وتحقق الهدف من الإتصال . وظهر رد الفعل المكمل للدائرة الاتصالية .. والدافع لعجلة الاتصال الى دوام الدوران والاستمرارية .

« إن هدف الفرد الأساسى من القيام بالاتصال هو فى الواقع تغيير العلاقات بينه و بين الظروف المحيطة به بحيث يقلل بقدر الإمكان من احتمال أن يصبح هدفا للتأثير الخارجى فقط ، و يزيد من قدرته فى أن يصبح قوة مؤثره أى أن هدفنا الأساسى من الاتصال هو أن نصبح عوامل أوقوى مؤثره . أى أن نؤثر فى الآخرين وفى الظروف المادية المحيطة بنا . وأن يصبح لنا صوت فى الطريقة التى تدار بها الأمور . باختصار ، نحن نتصل لنؤثر . ونؤثر بهدف » (٩) .

وبهذا نجد أن أى عملية اتصال ناجحه ، أو بالأحرى حتى تتم بنجاح لابد من أن تتهيأ لها إمكانات أو عوامل ذلك النجاح بمعنى مراعاةالظروف التى تتم فيها هذه العملية . واعدادها اعدادا جيدا يتناسب مع قدر أو قيمة الهدف المراد تحقيقه

---

(٨) جيهان أحمد رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الاعلام ، ط ٢ (القاهره : دار الفكر العربى ، ١٩٧٨) ص ٥٥ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

من وراء تلك العملية الاتصاليه. فالاتصال كما رأينا يتم من أجل التأثير. والتأثير في حد ذاته يتم من أجل هدف معين.. فبقدر ما يكون الهدف نبيلا وهاما. بقدر ما يجب أن يكون الإعداد عظيما وقويا.

ونحن نعلم أن رسالات الأنبياء والمرسلين هي عملية اتصاليه على درجة من النبل والأهمية لاتعلوها بل ولاتصل إليها درجة.. فهي لإصلاح حال البشر في دنياهم وآخراهم. ولإصلاح حالهم بينهم وبين بعضهم وبينهم وبين ربهم سبحانه وتعالى. وهي للتعليم والتهذيب والإصلاح النفسي والروحي.. قال تعالى « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز** » (10) وبين الله عز وجل الغاية العظيمة من إرسال رسله. والهدف السامي من الرسائل التي يحملونها فقال: « **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** » (11). وقال تعالى مبينا جزاء من اتبع هؤلاء الرسل واهتدى برسالاتهم « **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون** » (12).

والى جانب هذه الآيات التي تبين الهدف من رسالات الله عز وجل جملة نجد العديد من الآيات التي تفصل ذلك مثل قوله تعالى « **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** » (13). وقوله تعالى « **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين.. قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين. أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون** » (14).

---

(10) سورة الحديد (25).
(11) سورة الأنبياء (25).
(12) سورة الأنعام (48، 49).
(13) سوره ابراهيم (5).
(14) الأعراف (59 - 62).

وهكذا أرسل الله عز وجل رسله وأنبياءه جميعا برسالاته إلى البشر . بمهمة التذكير بأوامر الله عز وجل . والنهى عن محارمه . ولتذكيرهم بكيد إبليس اللعين لهم . عدوهم القائم والمستمر والمترصد لهم على الأرض . الذى لا يكلّ ولا يملّ دفعهم الى الغوايه والمعصية . .

وكان كل رسول وكل نبى يحمل رسالة اعلامية الى قومه من قبل الله تعالى . هذه الرسائل تتفاوت من زمان الى زمان . ومن مكان إلى مكان . حسب طبيعة الزمان والمكان . . وحسب طبيعة الجمهور الذى تنزل إليه هذه الرساله . وحسب الهدف المقصود منها . . والأهمية المحدودة لها . .

ومن هنا كان الفارق بين المهمه التى يكلف بها النبى والرسول . ومن هنا تفاوتت الأهمية المنوط بها كل منهم . . فمنهم من كان يوحى إليه . وتكون وسيلته فى الابلاغ هو القدوه والاسوه والمثل الصالح . وهو النبى ومنهم من كان يوحى إليه و يأمره الله تعالى بالإبلاغ والأمر والنهى . و بذلك اختلفت المهة الإعلامية لكل نبى ورسول . غير أنه كانت هناك أهمية إعلامية بالضروره وتتعلق بهداية البشر . ولعل توضيح الفارق بين النبى والرسول يبين لنا ذلك .

ثالثا : الفارق بين النبى والرسول :

« النبوة خبر السماء من عالم الغيب . وهى أيضا تلقى الوحى بالانسلاخ من الحالة البشرية الى الملائكية . فى لمحة من اللمحات . يحصل له فيها شهود الملأ الأعلى وسماع الكلام الربانّى .

والنبى : إنسان يتلقى الوحى من الله .. أو يعلمه صناعة .. وإذا كلف هذا النبى بالتبليغ كان رسولا ..

والرسول : هو النبى الذى أنزل الله عليه كتابا . أو علمه شريعه . وكلف بالتبليغ . وكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا .. والفرق بينهما العموم والخصوص ، واعترض البعض على هذا فزعم أن كل نبى رسول .. وكل رسول نبى والأصحّ التفريق لما ورد فى حديث الشفاعة الذى وصف نوحا بأنه أول الرسل . وقد سبقه آدم وشيث وإدريس وهم من الأنبياء » [١٥] وإن كان الاصح أن آدم وإدريس من الانبياء الرسل كما سيوضح فيما بعد .

و يرى البعض أيضا أن النبى هو « إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع ولكنه لم يكلف بالتبليغ . وأما الرسول فهو: إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع ، وأمره بتبليغه .. فالرسالة إذا أعلى مرتبه من النبوة لأن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا . وعدد الأنبياء لا يحصى إذ يزيد عددهم — على ما جاء فى بعض الآثار مائه وعشرين ألفا . أما الرسل فهم قله ، والذين ذكروا فى القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلا وهم خمسة وعشرون وكلهم من الرسل وهم : آدم نوح ، ابراهيم ، اسماعيل ، اسحق ، يعقوب ، داود ، سليمان ، أيوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، زكريا ، يحيى ، إدريس ، يونس ، هود ، شعيب ، صالح ، لوط ، إلياس ، إليسع ، ذو الكفل ، عيسى ، ومحمد صلى الله عليهم جميعا وسلم .

(١٥) آدم عبدالله الألورى ، تاريخ الدعوة الى الله بين الأمس واليوم ، الطبعة الثانيه (القاهره: مكتبه وهبه ، ١٩٧٩)ص٣٦ ، ٣٧ .

وهؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلا بمعنى أنه يتعين التصديق برسالتهم بأشخاصهم وأسمائهم . لأنهم ذكروا فى القرآن الكريم . أما بقيه الأنبياء فيجب الإيمان بهم جملة . بمعنى أن نصدق بأن هناك أنبياء غيرهؤلاء الذين ذكروا فى الكتاب العزيز . لأن الله تبارك وتعالى قد أخبرعنهم بقوله « **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما** »(١٦) .

وقد جمع الله هؤلاء الرسل فى آيه كريمه ذكر منهم فيها ثمانيه عشر والسبعة الباقون ذكروا فى آيات متفرقه من كتاب الله الكريم . أما الآيه الكريمه فقوله تعالى « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم .. ووهبنا له اسحق و يعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب و يوسف وموسى وهارون وكذلك نجرى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين .. واسماعيل واليسع و يونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم** »(١٧) .

وأما الباقون الذين ورد ذكرهم فى آيات متفرقه فهم إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ومحمد صلى الله عليه وسلم »(١٨) .

و يؤيد ما سبق ما أورده ابن كثير فى تفسيره لقوله الله عز وجل « **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما** » . قال ابن كثير « **أى من قبل هذه الآيه يعنى فى السور المكيه وغيرها وهذه تسميه الأنبياء الذين قصّ الله عليك أسماءهم فى القرآن وهم : آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق و يعقوب و يوسف وموسى وهارون و يونس وداود وسليمان والياس . واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا الكفل عند كثيرمن المفسرين وسيدهم محمد صلى**

---

(١٦) سوره النساء (١٦٤) .

(١٧) سوره الأنعام (٧٣ — ٨٧) .

(١٨) محمد على الصابونى ، النبوه والأنبياء (الاسكندرية : دار الفتح الاسلامى ، ١٣٩٠ هـ) ص ١١ ، ١٢ .

عليه وآله وسلم . وقوله : « ورسلا لم نقصصهم عليك » أى خلقا آخرين لم يذكروا فى القرآن »(١٩) **.**

و يؤيد أيضا ما سبق من أن الأنبياء عددهم أكثر بكثير من الانبياء المرسلين ما ورد فى الحديث الذى رواه « أبو ذر قال : قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال « مائه ألفا وأربعه وعشرون ألف » قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال « ثلاثمائه وثلاثة عشر جمّ غفير » قلت : يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال « آدم » قلت يا رسول الله نبّى مرسل قال « نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا » ثم قال يا أبا ذر . أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس . وهو أول من خط بالقلم . واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر . وأول نبى من بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى . وأول النبين آدم وآخرهم نبيك » (٢٠) .

والدليل على أن النبى المرسل هو الذى يوحى الله سبحانه وتعالى إليه و يأمره بالتبليغ قوله تعالى بعد أن ذكر بعضهم و بين للنبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يذكر له بعضهم فى الآيه السابق الحديث عنها قوله تعالى فى وصفهم « **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما »** (٢١) **.**

وقوله تعالى فى وصف وظيفه النبى والأنبياء السابقين له « **ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا »** (٢٢) **.**

وقوله تعالى آمرانبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والذى وصفه فى القرآن فى مواضع متعدده بلفظ النبى وفى مواضع متعدده بلفظ الرسول : « **يا أيها الرسول**

---

(١٩) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٨٥ .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٥٨٥ ، ٥٨٦ .

(٢١) سوره النساء (١٦٥) .

(٢٢) سوره الأحزاب (٣٨ ، ٣٩) .

بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين »(٢٣) .

وحيث أن داود وسليمان عليها السلام قد ورد ذكرهما ضمن الأنبياء المرسلين . وورد أن الله تعالى أعطاهما الحكم والملك الى جانب النبوه والرسالة . فقد تفردا باجتماع صفات النبوه والرساله والملك لها . فهما أنبياء مرسلون ملوك . وقد ثبت أنهم من الانبياء المرسلين فى الحديث السابق وثبت لها الملك والحكم فى قوله تعالى « وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبّحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعه لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون . ولسليمان الريح عاصفه تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين . ومن الشياطين من يغوصون له و يعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين »(٢٤) .

وقوله تعالى على لسان سليمان فى القرآن الكريم « قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين فى الأصفاد . وهذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وأن له عندنا لزلفى وحسن مآب »(٢٥) .

وهكذا رأينا فارقا بين النبى والرسول . ومن هذا يتضح أن الله عز وجل خلق الخلق وهو عليم بهم و بأحوالهم . فكان يرسل لهم الأنبياء أو الانبياء المرسلين . أو الأنبياء المرسلين الملوك . كل حال على ما يقتضى من زمان ومكان وجمهور من البشر مستقبل للرساله . ومن هذا يجب أن نستفيد من تعليم الله عز وجل لعباده فى

---

(٢٣) سوره المائده (٦٧) .

(٢٤) سوره الأنبياء (٧٨ — ٨٢) .

(٢٥) سوره ص (٣٥ — ٤٠) .

ذلك . حيث يُعلّم عباده أن كل رساله تصلح لجمهور معين فى زمان معين وعلى لسان رجل يحملها له صفات معينه .

وتبين منه أيضا أن ارسال رجل الاعلام أو إعداده انما هو جهد يحتاج الى دقه وفطنه و يرتبط بالرساله ذاتها و بالجمهور و بالزمان و بالمكان و باللغه والوسيله .. حتى يتم التأثير المطلوب .. ولا أدل على ذلك من أن بنى اسرائيل كانوا اكثر البشر عصيانا لله عز وجل فأرسل الله تعالى إليهم عددا كبيرا من الأنبياء والانبياء المرسلين . حيث يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يرو يه أنس بن ملك « بعثت على أثر ثمانيه آلاف نبى . منهم أربعه آلاف نبى من بنى اسرائيل » (٢٦) .

وفى هذا دلالة على أن الإعلامى إنما يُعد بدقة و بعد دراسة الجمهور المستهدف . والهدف المطلوب من الرساله . حتى يتم التأثير المطلوب . وفيه دلالة أيضا على أن هذه النظر يات الاعلاميه ليست بالنظر يات المستحدثه على ألسنه ولبورشرام أو شانون أو و يفر أو غيره من الأمر يكان أو المحدثين .. وانما هى قديمه . أرسى القرآن الكريم دعائمها و بينها ووضحها . لمن أراد أن يتعلمها . فهى ليست وليده عصرنا وليست بالشىء المستحدث .

---

(٢٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٨٦ .

رابعا : صفات الأنبياء والرسل .

إذا كانت رسالات الله عز وجل على هذا القدر من الأهمية والعظمة التى لاتصل إليها عظمه أية رسالة مهما كانت . فإن الله تعالى قد اختارلها من يحملها و يبلغها بطريقه مقبوله .. و بطريقه يجب أن نتعلمها حتى تصل رسائلنا الاعلامية الى مستقبلينا بطريقه محبوبة . قال تعالى : « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** »(٢٧) .

ومن تتبعنا للآيات القرآنية أيضا نجد أن الله عز وجل قد أعد القائم بالاتصال ــ المرسل ــ واختاره أختيارا دقيقا وزوده بصفات لاتتوافر لغيره من أبناء قومه . كما أنه يختار رسوله من أبناء قومه . وذلك يدلنا على مدى معرفته بالمستقبلين لرسالته وخصائصهم وطبائعهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومايحبون ومايكرهون . والطريقه المثلى لابلاغهم وأيضا الوسيلة المناسبه لهم . ومن ذلك قوله تعالى : « **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون** »(٢٨) . فالمرسلون إذن من أهل القرى التى أرسلهم ربهم إليها . وهم على علم بأهلها وما يناسبهم من أسلوب و وسيلة صالحة لتبليغ رسالة ربهم سبحانه وتعالى . ومن ذلك أيضا قوله تعالى « **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه أن اعبدوا الله** »(٢٩) وقوله تعالى : « **ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله** »(٣٠) فهؤلاء الرسل بل وكل الرسل من أقوامهم وعلى علم بهم . قال تعالى : « **فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون** »(٣١) فالمرسلون من أقوامهم و يفعلون فعلهم من الناحية

---

(٢٧) سورة الأنعام (١٢٤) .
(٢٨) سورة يوسف (١٠٩) .
(٢٩) سورة المؤمنون (٢٣) .
(٣٠) سورة النمل (٤٥) .
(٣١) سورة المؤمنون (٣٢) .

البشريه .. أى يسلكون سلوكياتهم من حيث الحاجه الى المأكل والمشرب والنوم وغيرها . وقال تعالى : « **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا** » (٣٢) .

وأرسل الله عز وجل رسله كذلك على علم بالوسيلة الصالحه لكل قوم من الأقوام التى يرسلون إليها .. وذلك لسهولة الإبلاغ ولتكون العمليه الإيصالية كامله الأطراف . مترابطه الأجزاء . مما يوفر لها الجو الملائم . والمناخ الصالح . وقال تعالى : « **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم** » (٣٣) وهذا يؤدى الى نجاح الرساله . والى تمام العملية الاتصالية بنجاح . حيث تؤثر التأثير المطلوب .. مما يؤدى الى تحقيق الهدف الأسمى وهو هداية البشريه الى عبادة الله عز وجل حيث يقول سبحانه وتعالى : « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » (٣٤) .

مما سبق يتضح لنا أهمية إعداد المرسل . ومدى توقف نجاح العمليه الاتصالية الاعلامية على ذلك . ويتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى قد أعدّ رسله إعدادا دقيقا ومحكما للقيام بمهمه تبليغ الرساله الإلهية إلى البشر كل رسول الى قومه بالوسيلة المناسبه والأسلوب المناسب . فهم لا يختلفون فى جوهر الرسائل التى يحملونها . وإنما الاختلاف فى كيفيه واسلوب الابلاغ حسب اختلاف الأقوام التى يقومون بابلاغها . فكل الرسل كما ذكرت الآيات سابقا تدعو إلى عبادة الله عز وجل والى هداية البشريه . وكلهم مبشرون ومنذرون .

ومن هنا نعلم أن جوهر الرسالة الاعلامية يمكن أن يصاغ بأكثر من اسلوب . وبأكثر من شكل من أشكال التحرير الاعلامى ليتناسب فى كل مره مع الجمهور ومع الوسيلة وبالاسلوب الأمثل لتبليغ الرساله .. ولتكون اكثر تأثيرا وقبولا . حتى

---

(٣٢) سوره الفرقان (٢٠) .

(٣٣) سوره إبراهيم (٤) .

(٣٤) سورة الذاريات (٥٦ ـ ٥٨) .

تحقق هدفها المطلوب . و بذلك نرى أن القرآن الكريم قد سبق أساتذه الاتصال بصفة عامه وأساتذه الاعلام بصفة خاصة إلى تعليم النظريات الإعلامية السليمة . من عهد نوح الى عهد هود الى عهد صالح الى عهد ابراهيم الى عهد موسى الى عهد عيسى الى عهد محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم . كلهم أرسلهم الله تعالى وأعدهم وعلمهم كيفية الإبلاغ وطريقة الإعلام بالرسالة الإلهيه.. بالأسلوب والوسيلة المناسبة لكل أمه من الأمم وكل قوم من الأقوام .

وعلى ذلك فالأنبياء والمرسلون قوم من البشر يختارهم ربهم عز وجل يعدهم اعداد يتناسب مع حمل الرساله التى سيكلفهم بها . وقد رأينا مما سبق أن هناك فارقا بين النبى والرسول . حيث النبى يوحى إليه ربه سبحانه وتعالى ولا يأمره بالابلاغ.. وانما تكون وسيلته فى ذلك هوعمله مما يوحى به إليه ربه من عمل صالح . فهو قدوه وأسوة.. وهو منفذ لشريعه سابقه أوحى الله عز وجل بها إلى رسول قبله فهو يذكر قومه بها عن طريق الممارسه والعمل والقدوه.. أمّا النبى الرسول فهو من يأمره الله تعالى بالابلاغ بالقول و بالعمل والأسوة . و بكل الوسائل المتاحة فى زمانه وعصره .

وكان هذا يتطلب صفات خاصة يجب أن يتحلى بها ذلك الذى يختاره الله تعالى لشرف رسالته . وليكون اعلاميا بها . من أهمها العمل الصالح . كما رأينا اعداد النبى محمد صلى الله عليه وسلم منذ طفولته الى صباه الى شبابه . الى رجولته الى كبر سنه . حيث لم يؤثر عنه كذب ولا خيانه ولا نقض لعهد . ولا ميلا الى المجون ولا السفه ولا الابتذال . فى عصر لم تكن فيه مثل هذه الأشياء بالعيب أو بالمستهجن من القول أو الفعل .

كان من أهم صفات الأنبياء والرسل أيضا الصبر . لذلك يذكر الله عز وجل يذكر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك . بأن هذا من أهم صفات الأنبياء والرسل من قبله . وقد تحلوبها . وساروا عليها « **فاصبر كما صبر ألوا العزم من الرسل ولاتستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعه من نهار. بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** »(٣٥) .

---

(٣٥) الأحقاف (٣٥) .

كما بين الله سبحانه وتعالى أن صفات الأنبياء والرسل ليست كصفات الملائكة . وإنما لهم صفات البشر . وذلك حتى يكونوا حجه على البشر . لأن لهم مثل صفاتهم واحتياجاتهم الماديه والبشريه . وقد وضح الله عز وجل ذلك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما احتج عليه قومه بأنه من البشر مثلهم له مثل صفاتهم . فبيّن الله تعالى أن هذه صفات الأنبياء والرسل جميعا وليست صفه محمد صلى الله عليه وسلم فقط . « **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذريه وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب** »(٣٦) .

وبهذا يتضح أن صفات الرسل والأنبياء لاتختلف عن صفات البشر من حيث كونهم آدميّين لهم نفس إحتياجات ومتطلبات البشر من حيث الأزواج والذريه ، غير أنهم يختلفون عن البشر العاديين من حيث كونهم لا يأتون بشيء من عندياتهم . وانما من عند الله عز وجل « **وما كان لرسول أن يأتى بآيه إلا بإذن الله** » فما كانوا يبلغون به أقوامهم من رسالات إنما هو من عند الله عز وجل .

وبذلك نرى أن صفات الأنبياء والرسل تنقسم الى قسمين أو جانبين . جانب يتفقون فيه مع البشر الذين نشأوا بينهم من حيث التكوين والبنية والهيئه والاحتياجات الجسمانيه والشهوات وغيرها وذلك ليكونوا حجه على غيرهم . وليكونوا على علم ومعروفه كامله بالجمهور الذى أرسلهم الله عز وجل إليه وبحاجاته النفسيه والماديه وما يميلون إليه وما ينبذونه ونحو ذلك ليستعينوا بذلك على ابلاغ رسالاتهم .. وليؤدوا مهمتهم الإعلاميه الربانيه على خير وجه .

والجانب الآخر من صفات الأنبياء والرسل هو الإعداد الروحى الذى زودهم الله عز وجل به من الصفاء النفسى والروحى والصدق والصبر والأمانة .. والبعد عن سفاسف الأمور ونحوها . مما يجعل لهم القدره على أداء المهمه الاعلاميه الربانيه التى هم مكلفون بها على خير وجه .

وهذا يفيد القائمين على أمور الإعلام فى العصر الحديث فى كيفيه تخير رجال الإعلام وكيفيه إعدادهم . فالرسالات السماويه إنما هى لتعليم البشر فى كل زمان وكل ومكان . وفى كل مجالات الحياه .. كل ما يسعدهم فى دنياهم وأخراهم .

---

(٣٦) سوره الرعد (٣٨) .

خامسا : العلاقة الاعلامية بين نبّى ونبأ . ورسول ورسالة :

تستخدم المصطلحات الاعلامية كلمات نبأ بمعنى الخبر . وكلمه رسالة للدلالة على المضمون الاعلامى الذى تقوم وسيلة الاعلام بنقله . سواء كان هذا المضمون مطبوعا أم مسموعا أم مرئيا .. او بأى شكل من أشكال الا تصال الاعلامى . كما تستخدم كلمه المرسل للدلاله على القائم بالا تصال الاعلامى . و يعتبر المرسل والرساله ــ أهم عنصرين من عناصر عمليه الا تصال الاعلامى . حيث هى المرسل والرساله والمستقبل والوسيله ورد الفعل .

ولو تأملنا هذه العناصر الخمسة للعمليه الإعلامية لوجدنا أن أربعه عناصر منها تحتوى على معنى كلمه الرساله والمرسل .. والعنصر الخامس وهو الوسيله إنما هو لخدمه الرساله أيضا حيث يقوم بنقلها فى الاتجاهين سواء من المرسل الى المستقبل أو العكس من المستقبل الى المرسل فى صوره رد الفعل الذى يكمل الدائره الأتصاليه . و بذلك تأخذ الوسيله أشكالا متعدده ومتنوعه . هى فى النهايه تخدم هذا الا تصال الاعلامى . حيث تحمل الرساله فى أى اتجاه من الاتجاهين .

أما بقيه العناصر الأربعه الأخرى وهى المرسل والرسالة والمستقبل ورجع الصدى أورد الفعل إنما هى تحوى كلمه الرساله وتتضمنها . فالمرسل هو القائم بارسال الرساله . والمستقبل إذا ما فهم الرساله وتأثر بها فإنه يندفع الى الاستجابه فى صوره رد الفعل وهو بذلك يتحول الى مرسل أى قائم بارسال رساله الى المرسل الأول . الذى يصبح مستقبلا وتأخذ رساله المرسل ــ رد الفعل ــ صوره الرساله .. لكن فى الاتجاه المضاد للاتجاه الأول . و بذلك يكون رد الفعل ذاته رساله معبره عن وجهه نظر المستقبل فى الرساله الأولى . وموضحه مدى تأثره وانفعاله بها . مما يؤدى بالمرسل الأساسى الى تعديل رسائله فى المرات القادمة على ضوء ــ رساله ــ رد الفعل التى تلقاها من المستقبل والوسيلة بانواعها وأشكالها المختلفه والمتنوعه ــ

والتى تنوعت وتعددت بفضل التقدم العلمى . و بفضل مخترعات العصر من مطابع الى موجات صوتيه متنوعه تنقل الصوت والصوره الى أقمار صناعيه . حطمت بذلك حواجز الزمان والمكان . وحولت العالم الى قر يه صغيره . يرى من فى أقصاه و يسمع ما يحدث و يدور فى أقصاه من الجانب الآخر وفى ذات الوقت بنفس الوضوح فى حاله إذا ما أر يد ذلك من جانب القائمين على الا تصال .

أدى كل ذلك إلى استمرار العمليه الاعلاميه .. ودوران عجلتها على الدوام بكل أشكال الا تصال المختلفه بدءاً بالا تصال الذاتى ومرورا بالا تصال الشخصى والجمعى وانتهاءاً بالأ تصال الجماهيرى . حيث يستخدم الاعلام فى العصر الحاضر كل أشكال الا تصال المختلفه والمنتوعه ..

نخلص من كل ذلك إلى أن الاعلام فى العصر الحاضر يقوم أو يبنى نماذجه على استخدام مصطلحات أو كلمات المرسل والرسالة فى معظمه . كما رأينا . بكل أشكاله المختلفه . حتى فى اشكال الا تصال الذاتى . يرى اساتذه الاعلام أن هناك الارسال والاستقبال داخل مخ الانسان . وذلك حينما يقوم بعمليه التفكير ذاتها . فإنهم يجعلون عملية تلقيه للمعلومات عن طر يق الادراك وعن طر يق المنبهات التى يتعرض لها سواء كانت منبهات داخليه أو خارجيه أنما هى عباره عن عمليه استقبال للمعلومات يتم من خلالها « استقبال هذه المنبهات فى شكل نبضات عصبيه تنتقل الى العقل . ثم يختار العقل بعض هذه المنبهات و يفكر فيها . ولكن اتخاذ القرار عما سيتم اختياره يتطلب حدوث عملية تميز . يليها عملية إعادة تجميع للمنبهات التى تم اختيارها فى مرحلة التميز ثم يتم ترتيب المنبهات فى شكل خاص له معنى عند الفرد القائم بالا تصال . وبعد تجميعها بهذا الشكل . يتم فك كود رموز المنبهات التى تم تمييزها . و يقوم القائم بالا تصال بتحو يلها الى رموز فكر يه . هذه المرحله ضرور يه لكى يصبح للمنبهات معنى . بعد اختيار هذه المنبه ينتقل الفرد الى مرحلة التفكير والتخطيط وترتيب الأفكار . فى هذه المرحله يتم إعادة ربط الدلالات التى تصل إليه بالمعرفه والخبره السابقه .. ثم يتم تجميع وتقييم المعلومات التى لها علاقه أوصله بالمسأله التى تهمه . و يقوم باعداد رسالة لارسالها أو نقلها تلى هذه المرحلة مرحلة التأهب للظهور التى تتاح فيها الفرصه للأفكار . حتى تنمو

وتتطور لتأخذ أشكالا واتجاهات يمكن أن تتحقق منها الفائده ، وذلك حسب نموذج بركرو و يزمان للأتصال الذاتى » (٣٧) .

إذا كانت هذه هى أهميه الرساله والمرسل فى عمليه الاتصال الذاتى فإن لها دورا أكبر فى عمليات الاتصال الشخصى والجمعى والجماهيرى بلا شك . حيث يتضح دورها فى الارسال المباشر . و بالرساله المحسوسه التى تستخدم وسائل الاعلام المتنوعه والمختلفه والتى لا يستغنى عنها انسان فى الوقت الحاضر . نظرا لما أصبحت تشكله فى حياه مواطن العصر الحديث من أهمية .

أما كلمه النبأ فتستخدم فى الاعلام فى العصر الحديث بمعنى الخبر . والإنباء بمعنى الإخبار . ولا تخفى أهميه الخبر فى وسائل الاعلام الجماهير يه المختلفه . حيث نرى ونلمس أن كل أشكال التحر ير الاعلامى هى فى الأصل خبر . وحيث أصبح الخبر هو العمود الفقرى للإعلام الحديث .

وقد ذكر أساتذه الصحافه المعاصر ين أن الصحف تعتمد على الخبر اعتمادا رئيسيا . ومنه تستمد الأشكال التحر ير يه الأخرى مادتها . فيرى الأستاذ أديب مروه أن الخبر هو « المادة التى تقوم عليها الصحافة بجميع ألوانها المعروفه . ولولا الخبر لما عرفت المواد الصحفية الأخرى » (٣٨) . و يرى الأستاذ وليم الميرى أن « الخبر هو عصب الصحافة الحديثه . وأن الصحف تتألف من شيئين ورق وحبر وأخبار» (٣٩) .

و يقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى « إذا كنا قد عرفنا أن كل شيء يكتب فى أية صحيفة إنما يعتمد على بذره واحده . فلا جدال إذن فى أن القسم الذى تخرج منه هذه البذور جميعا يعتبر فى الواقع وحقيقة الأمر أهم الأقسام جميعا . ونعنى بذلك قسم الأخبار . ذلك لأنك لن تجد حرفا مكتوبا فى الصحيفه إلا ومصدره هذه البذره . فالمقال الافتتاحى مصدره الخبر . والتحقيق الصحفى الذى

---

(٣٧) جيهان رشتى ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

(٣٨) أديب مروه ، الصحافه العربية : نشأتها وتطورها (بيروت : مجهول الناشر ، ١٩٦١) ص ٣٤ .

(٣٩) وليم الميرى ، الأخبار مصادرها ونشرها (القاهره : مكتبه الأنجلو ، ١٩٦٨) ص ١٣ .

يشغل الفراغ الكبير فى الجريده مصدره ومادته الخبر . وموضوع اليوم يستند الى الخبر . والصوره خبر . والعنوان مستمد من الخبر . بل أن الإعلان نفسه هو عند الكثيرين من القراء إن لم يكن كلهم خبر هام ، ينبه إلى سلعة أو حدث تجارى فى سوق البيع والشراء . وكم من قراء يبدأون أول ما يبدأون بقراءه أخبار الإعلانات الصغيره عن المزاد . والوظائف الخاليه وغير ذلك هذا بالإضافة إلى الأنباء الخارجية التى تتدفق على الصحف عن طريق المراسلين ووكالات الأنباء العالمية والمحلية » (٤٠) .

وبذلك نجد أن كلمه نبأ بمعنى الخبر لها وزنها وأهميتها فى عالم الإعلام اليوم حيث تعنى معظم المضامين التى تبثها وسائل الاعلام الجماهيريه والتى تحملها على هيئه رسائل إعلاميه من والى كل مكان فى العالم .

وقد سبق القرآن الكريم وسنه النبى صلى الله عليه وسلم الى الاهتمام بهذه الألفاظ الدالة على هذه المعانى فى حد ذاتها . سبق هذين المصدرين أساتذه العصر الحديث ، مما يدل على أن الأسس الاعلاميه ليست وليده هذا العصر . ولا من ابتكار هؤلاء الأساتذه وانما سبقهم الاسلام إليها . وسبقهم النبى محمد صلى الله عليه وسلم بها . وفى ممارستها .

ولا أدل على ذلك من أن الله عز وجل قد سمّى من حملوا أمانة الكلمه والابلاغ من البشر بالانبياء والرسل . فلفظ نبى مشتق من النبأ . ولفظ رسول مشتق من الرساله وله صله بالمرسل . وسوف نستعرض التعريفات اللغويه العربيه لهذه الكلمات ـــ نبى ونبأ ورساله ورسول للوقوف على مدى صلتها بالمعنى الاعلامى السابق الحديث عنه . ومعنى اتفاقها مع هذا المعنى أن الاسلام هو دين الاعلام . وأن النبى صلى الله عليه وسلم هو رجل اعلام قد سبق كل رجال الاعلام فى العصور اللاحقه ، ذلك أن التاريخ يشهد بذلك . لأن القرآن وعصر النبى صلى الله عليه وسلم أقدم تاريخيا من نظريات الاعلام ومؤلفاته الحديثه . وأقدم من هذه التقنيات التى وضعت فى هذه العصور الأخيره . وهذا يدل على أن الاسلام أسبق من هؤلاء وأن هذه النظريات يجب أن تؤصّل وترد الى أصولها الصحيحه .

---

(٤٠) جلال الدين الحمامصى ، من الخبر إلى الموضوع الصحفى (القاهره : دار المعارف ، ١٩٦٥) ص ٣٩، ٤٠ .

وقد تحدثنا من قبل عن الأهمية الاعلامية للأنبياء والرسل بالنسبه للبشر وتحدثنا أيضا عن الفارق بين الأنبياء والرسل . ثم عن صفات الأنبياء والرسل وسوف نتحدث هنا عن المعنى اللغوى لكلمه نبى ورسول . ثم نعرض للعلاقه الإعلاميه بينها و بين كلمه نبأ بمعنى خبر وكلمه رساله . ولتتضح لنا علاقه تسمية من بعثهم الله عز وجل لهديه خلقه بالدور الإعلامى الذى قاموا به . ولنقف على أن مهمتهم فى الاصل إنما هى مهمه إعلاميه ، و بالتالى يكون النبى محمد صلى الله عليه وسلم رجل اعلام قدير ومتفرد على البشر جميعا . حيث أن الرسل هم ساده البشر . وحيث أن مهمتهم اعلاميه . ولأن الله تعالى قد فضل النبى محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل . فهو بذلك رجل اعلام متميز على سائر البشر من انبياء ورسل و بشر عاديون . وعلى ذلك فمنه نتعلم ومن صفاته يستمد رجال الاعلام فى كل زمان ومكان صفاتهم قدر استطاعتهم .

المعنى اللغوى لكلمات نبى ونبأ ورسول :

١ـ كلمة « نبى »

يقول الزنجانى صاحب تهذيب الصحاح : نبا الشىء عنى ينبو تجافى وتباعد . والنبوة والنباوة ما ارتفع من الأرض . ومنه الحديث « لاتصلوعلى النبى » أى على الأرض المرتفعه المحدوبة . (٤١) .

و يقول أبوبكر الرازى صاحب مختار الصحاح : نبا الشىء عنه أى تجافى وتباعد . وأنباه : دفعه عن نفسه . وفى المثل الصدق ينبى عنك لا الوعيد معناه أن الصدق يدفع عنك الغائلة فى الحروب دون التهديد .

وقيل أصله الهمز . من الإنباء . ومعناه أن الفعل يخبر عن حقيقتك لا القول والنبوة . والنباوة : ما ارتفع من الأرض .

فإن جعلت النبى مأخوذ منه . أى شرُف على سائر الخلق . فأصله غير الهمز . وهو فعيل بمعنى مفعول (٤٢) .

---

(٤١) محمود بن أحمد الزنجانى ، تهذيب الصحاح ، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطا ، (القاهره : دارالمعارف ، ١٩٥٢) ص ١٠٧٢ .

(٤٢) محمد بن أبى بكر الرازى ، مختار الصحاح (بيروت: دار التنوير العربى ، مجهول السنه)ص ٦٤٤ .

ويقول ابن منظور فى لسان العرب : نبا فلان عن فلان : لم ينقد له . وفى حديث طلحة قال لعمر : أنت ولى ماوّليت . لاننبوفى يدك . أى ننقادلك . ولانمتنع عما تريد منا .

ونبا جنبى عن الفراش لم يطمئن عليه . وأنبيته أى دفعته عن نفس ويقال أصله الهمز (نبأ) من الإنباء أى الإخبار .

والنبوة والنباوة والنبى : ما أرتفع من الأرض .

وفى الحديث : فأتى بثلاثه قرْصه فوضعت على نبّى أى على شىء مرتقع من الأرض . من النباوه والنبوة . الشرف المرتفع من الأرض . ومنه الحديث « لاتصلوا على النبى » أى على الأرض المرتفعه المحدوبة .

والنبى العلم من أعلام الأرض التى يهتدى بها . قال بعضهم ومنه اشتقاق النبى لأنه أرفع خلق الله . وذلك لأنه يهتدى به .

النبى هو الذى أنبأ عن الله ، فترك همزه . قال وإن أخذت النبى من النبوه والنباوه . وهى الارتفاع من الأرض . لارتفاع قدره . ولأنه شرف على سائر الخلق . فأصله غير الهمز . وهوفعيل بمعنى مفعول . وهو فعيل بمعنى مفعول . وتصغيره نُبّى ، الجمع أبنياء .

وقال الكسائى : النبى الطريق . والأنبياء . طرق الهدى قال أبومعاذ النحوى : سمعت أعرابيا يقول من يدلنى على النبى أى على الطريق(٤٣) .

والملاحظ من استعراض هذه التعريفات لكلمه نبا ونبى . أنه من الارتفاع أو البعد . كما أشار بعض أهل اللّغة إلى المعنى الاعلامى للكلمه إذا كان أصلها الهمز فهى من الإنباء بمعنى الأخبار.. كما أشار بعضهم أومعظم من استعرضنا تعريفاتهم الى أن كلمه نبى مأخوذه من العلو والشرف والارتفاع . وقد يضع هذا أيدينا على العلاقه الاعلاميه بين كلمه النبأ وكلمه النبى . بصفه مبدئيه . حيث ذُكر أن نبا أى بَعُدَ وفى هذا علاقه بين هذه الكلمه فى حد ذاتها وماصار إليه أمر

(٤٣) ابن منظور، لسان العرب ، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون (القاهره : دار المعارف ، مجهول السنه) ص٤٣١٥ ، ٤٣١٦ .

النبأ بمعنى الخبر في عصر تقدم وسائل الاتصال . حيث الموجات القصيرة والأقمار الصناعيه وما أدت إليه من الغاء حواجز الزمان والمكان فصار الخبر أو النبأ يصل من والى كل مكان فى العالم فى ذات الوقت . ورأى صاحب مختار الصحاح أنه إذا كان أصله الهمز (نبأ) فهو الخبر بمعناه الفعلى اكثر من القولى . حيث يقول **« وقيل أصله الهمز من الإنباء معناه أن الفعل بخبر عن حقيقتك لاالقول »**(٤٤) .

سوف نجد فى المعنى اللغوى لكلمه نبأ ذاتها دلالة اكثر وأقوى رابطه من هذا .

ب ــ كلمه « نبأ »

يقول أبوبكر الرازى :

النبأ : الخبر . يقال نبأ . ونبّأ . وأنبأ . أى أخبر .

ومنه : النبى لأنه أنبأ عن الله . وهو فعيل بمعنى فاعل . تركوا همزه . كالذر يه والبر يه والخابيه . إلا أهل مكه فإنهم يهمزون الأربعه(٤٥) .

و يقول الزنجابى : النبأة : الصوت . والنبأ : الخبر(٤٦) .

و يقول ابن منظور :

النبأ : الخبر . والجمع أنباء . وان لفلان نبأ أى خبرا . وقوله عز وجل **« عمّ يتساءلون .. عن النبأ العظيم »** قيل عن القرآن . وقيل عن البعث . وقيل عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد أنبأه إيّاه و به . وكذلك نبأه ، متعدبه بحرف وغير حرف أى أخبر .

واستنبأ النبأ : بحث عنه . ونابأت الرجل ، ونابأنى : أنبأته وأنبأنى . وقيل نابأتهم . أى تركت جوارهم وتباعدت عنهم . وقوله عز وجل **« فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لايتساءلون »** .

---

(٤٤) فخر الرازى ، مرجع سابق ، ص ٦٤٤ .

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٦٤٢ .

(٤٦) محمود بن أحمد الزنجابى ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

النبيء . المخبر عن الله عز وجل . مكية لأنه أنبأ عنه .. وهو فعيل بمعنى فاعل قال ابن برى : صوابه أن يقول : فعيل بمعنى مفعل . مثل نذير بمعنى منذر وأليم بمعنى مؤلم .

وفى النهاية : فعيل بمعنى فاعل للمبالغة . من البنأ الخبر . لأنه أنبأ عن الله . أى أخبر . قال : ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه . يقال : نبأ . ونبّأ . وأنبأ .

قال سيبويه : ليس من العرب إلا و يقول تنبأ مسيلمه بالهمز . غير أنهم تركوا الهمز فى النبى . قال والهمز فى النبى لغه رديئه . يعنى لقله استعمالها . لا لأن القياس يمنع من ذلك . ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل : يا نبىء الله . فقال له : لا تنبر باسمى . فإنما أنا نبى الله .. وفى روايه : لست بنبيىء الله . ولكنى نبى الله .

والجمع أنبياء ونبآء .

قال الجوهرى : يجمع أنبياء . لأن الهمز لما أبدل وألزم الإبدال جُمع جَمْع ما أصل لامه حرف العله . كعيد وأعياد . على ما نذكره فى المعتل .

قال الفراء : النبى هو من أنبأ عن الله . فترك همزه .. قال : وإن أخذ من النبوة والنباوه . وهى الارتفاع عن الأرض . أى أنه أشرف على سائر الخلق . فاصله غير الهمز .

وقال الزجاج : القراءة المجمع عليها فى النبيين والأنبياء . طرح الهمزه . وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما فى القرآن من هذا . واشتقاقه من نبأ وأنباء . أى أخبر . قال والأجود ترك الهمز .

ومن غير المهموز : حديث البراء بن عازب قلت « ورسولك الذى أرسلت » فرد على وقال : « ونبّيك الذى أرسلت » قال ابن الأثير : إنما رد عليه ليختلف اللفظان . ويجمع له الثناء بين معنى النبوه والرسالة . و يكون تعديد للنعمة فى الحالين . وتعظيما للمنّه علّى الوجهين . والرسول أخصّ من النبى . لأن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا .

و يقال تنبى الكذاب إذا ادّعى النبوه . وتنبى كما تنبى مسيلمه الكذاب وغيره من الدجالين المتنبين .

وتنبأ الرجل إدعى النبوْه .

ورمى فأنبأ : أى لم يشرم ولم يخدش .

ونبأت على القوم ينبأ إذا طلعت عليهم . و يقال نبأت من الأرض إلى أرض أخرى . إذا خرجت منها إليها . ونبأ من بلد كذا ينبأ نبئا ونبوءا . طرأ .

ونبأ نْبئا ونبوءاً : ارتفع .

والنبىء : الطريق الواضح .

والنبأه : صوت الكلاب وقيل هى الحرب أيا كان .

وقيل النبأه : الصوت الخفى(٤٧) .

و يتضح لنا من جملة هذه التعاريف اللغوية الواردة فى المعاجم العربيه لكلمه نبأ . أنها تستخدم بمعنى الخبر. وقد وردت فى القرآن الكريم بهذا المعنى. حيث وردت الآيه « **عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم** »(٤٨) .

وقد وردت هذه الكلمه أيضا بصوره أوضح فى القرآن العظيم . حينا كثر تساءل أهل مكه عن البعث بعد الموت . وعن الحشر . وعن لقاء الله عز وجل . وعرضت الآيات لذلك فى سوره يونس . ورد قول الله عز وجل « **و يستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين** »(٤٩) . وقد أورد ابن منظور معنى كلمه استنبأ ضمن التعاريف التى ذكرناها للكلمه . استنبأ النبأ : بحث عنه . وهذا يدل على مدى ورود كلمه النبأ فى القرآن الكريم بمعنى الخبر.

كما أوضحت جمله التعاريف التى ذكرناها أيضا لكلمه نبأ العلاقه بين الكلمه بمعنى الخبر وهو المدلول الاعلامى لها . و بينها و بين كلمه نبىّ من حيث

---

(٤٧) ابن منظور، مرجع، ص ٤٣١٥، ٤٣١٦ .

(٤٨) سوره النبأ (١، ٢) .

(٤٩) سوره يونس (٥٣) .

كونه المخبر عن الله عز وجل . ومن حيث كونه أشرف الخلق . لعلو مكانته . حيث اشتق ذلك من نبأ — بغير همز— وهو الارتفاع عن الأرض . أى أنه أشرف على سائر الخلق . وفى هذا ربط لكلمه النبى بالنبأ وبأنه المخبر عن الله عز وجل وحامل خبر السماء من ناحيه . وبين كونه أشرف الناس وأعلاهم مكانه من ناحية أخرى . وهذا ما ذكرناه من قبل أن الله عز وجل يختار لرسالته أشرف الناس جميعا .. والنبى محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل وأشرف خلق الله بما فيهم الأنبياء والرسل . حيث اختاره الله عز وجل للاعلام برسالة السماء الأخيرة إلى البشر على طول الامتداد الزمانى والمكانى حتى تقوم الساعه . وحيث لا نبى بعده .

بذلك نجد أن تسميه النبى هى فى حد ذاتها تسمية إعلاميه . أو أن كلمه النبأ للدلالة على الخبر هى بالأحرى قد أخذت من كلمه نبى . أو نبيىء فهى من الإخبار . إذا كانت مهموزه . وهى من الشرف والعلو إذا كانت غير مهموزه . وهى من البعد أيضا . حيث ورد أيضا نبا الشيء عنى ينبو أى تباعد . وهذه الخصائص الثلاثه التى وردت لمعنى الكلمه فى المعاجم العربيه الأصيله وهى الاخبار والارتفاع والشرف والبعد من خصائص الاعلام الاسلامى . حيث يجب أن يكون الإعلام الاسلامى قائما بالإخبار والإنباء ، بالحق والصدق وهو من صفات الشرف والارتفاع . وأيضا من وإلى كل من مكان فى العالم بأسره . حيث يجب ألا يتوقف عند حدود الزمان ولا حدود المكان . فهو للبشرية جميعا .

وقد وردت كلمه نبأ فى القرآن الكريم مرات متعدده . وخاطب الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم بصفه النبوة فى القرآن الكريم فى مواضع كثيره ومتعدده .

« عنى القرآن الكريم بكلمه « نبأ » حيث أفرد لها سورة باسمها هى سوره النبأ و يطلعها « **عمّ يتساءلون. عن النبأ العظيم** » (٥٠) وقد وردت هذه الكلمه ومشتقاتها فى ثمانين آيه من آيات القرآن العظيم . كلها تفيد الإنباء بمعنى الأخبار . أو الاستنباء بمعنى الاستخبار أو السؤال عن الخبر أو نحو ذلك . وقد تنوع

(٥٠) سوره النبأ (١) .

ورود هذه الكلمه على لسان النبى صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى « **نبأنى العليم الخبير** » أو على لسان إحدى زوجاته « **من أنبأك هذا** » (٥١) .

كما وردت هذه الكلمه أيضا ومشتقاتها فى صيغه الأمر من الله إلى نبيه بالإنباء والاعلام عنه عز وجل وبرسالته « **نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم** » (٥٢) وقوله تعالى « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها . فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين** » (٥٣) وقول تعالى « **واتل عليهم نبأ إبراهيم** » (٥٤) وقوله تعالى « **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق** » (٥٥) وقوله تعالى « **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون** » (٥٦) .

وقد وردت هذه الكلمه أيضا فى حديث الله عز وجل الى نبيه معقبا فى معظم الآيات على الأخبار السابقه مثل قوله « **تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك** » (٥٧) وقوله تعالى « **ذلك من أبناء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد** » (٥٨) وقوله تعالى « **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** » (٥٩) .

وقد استخدمت الآيات القرآنيه كلمه نبأ أيضا فى كثير من المواضع للإخبار عن يوم القيامه . واستخدمت ايضا لتحسين الأحوال الاجتماعيه الخاصه بحياه المسلمين مثل قوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** » (٦٠) ولا أدل على أهميه الكلمه من أن كلمه نبى تقرأ فى بعض القراءات

---

(٥١) التحريم (٣) .

(٥٢) الحجر (٤٩) .

(٥٣) الأعراف (١٧٥) .

(٥٤) الشعراء (٦٩) .

(٥٥) المائده (٢٧) .

(٥٦) ص (٦٧) .

(٥٧) هود (٤٩) .

(٥٨) هود (١٠٠) .

(٥٩) هود (١٢٠) .

(٦٠) الحجرات (٦) .

المعتمده التى أقرها النبى صلى الله عليه وسلم « نبىء » و « النبىء » المخبر » [٦١] .

ج ـ كلمه « رسول »

يقول أبوبكر الرازى فى معنى هذه الكلمه :

راسله مراسلة . فهو مراسل ورسيل . وأرسله فى رسالة فهو مرسل ورسول . والجمع : رُسْلٌ . ورُسُل . والمرسلات الرياح وقيل الملائكه . والرسول أيضا الرساله .

وقوله تعالى « إنّا رسول رب العالمين » ولم يقل رسولا رب العالمين . لأن فعول وفعيلا يستوى فيها المذكر والمؤنث . والجمع والواحد مثل عدو . وصديق .

ورسيل الرجل الذى يراسله فى نضال وغيره [٦٢] .

و يقول الزنجابى فى تهذيب الصحاح :

والرسول أيضا الرساله . قال الشاعر :

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا بأنى عن فُتاحتكم غنى [٦٣] .

و يقول ابن منظور فى لسان العرب فى معنى هذه الكلمه : الارسال : التوجيه . وقد أرسل إليه . والاسم الرسّاله . والرسّاله والرسّيل .. والأخيرة عن ثعلب .

والرسول بمعنى الرساله . يؤنث و يذكر . فمن أنث جمعه أرْسُلاً . وتراسل القوم : أرسل بعضهم الى بعض . والرسول : الرسالة والمرسل .

---

(٦١) عبدالوهاب كحيل ، الاعلام الأسلامى فى مجتمع الرسول فى المدنيه (كليه الأداب بسوهاج ، ١٩٨٣ : ط رساله دكتوراه غير منشوره) ص١٠٧ ــ ١٠٩ .

(٦٢) أبوبكر الرازى ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ .

(٦٣) محمود بن أحمد الزنجابى ، مرجع سابق ، ص ٦٥٤ .

قال أبو ذؤيب

أَلِكْنِي إليها وخيرُ الرسول أعلمهم بنواحي الخبر.

أراد بالرسول الرسل . فوضع الواحد موضع الجمع .
قال أبو بكر الأنبارى فى قول المؤذن « **أشهد أن محمدا رسول الله** » أعلم وأبيّن أن محمدا متابع للإخبار عن الله عز وجل .

والرسول : معناه فى اللغة الذى يتابع أخبار الذى بعثه . أخذا من قولهم : جاءت الإبل رَسَلاً . أى متتابعة .

وقال أبوإسحق النحوى فى قوله سبحانه وتعالى « **فقولا إنا رسول رب العالمين** » معناه: إنا رسالة رب العالمين . أى ذوا رسالة رب العالمين .

وسمى الرسول رسولا : لأنه ذو رسول . أى ذو رسالة .

والرسول : اسم من أرسلت . وكذلك الرساله .

والرسيل : الموافق لك فى النضال ونحوه .

والرسيل : السهل .

وأرسل الشىء : أطلقه وأهمله . وقوله عز وجل « **ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا .** »

قال الزجاج فى قوله تعالى فى هذه الآيه « أرسلنا » لها وجهان : الوجه الأول : خلّينا الشياطين وإياهم فلم تعصمهم من القبول منهم . قال والوجه الثانى : وهو المختار ــ أنهم أرسلوا عليهم وقيضوالهم بكفرهم . كما قال تعالى « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين** » . ومعنى الإرسال هنا التسليط .

قال أبو العباس : الفرق بين إرسال الله عز وجل أنبياءه . وإرساله الشياطين على أعدائه ، فى قوله تعالى « **إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين** » إن إرساله

الأنبياء إنما هو وحيه إليهم أن أنذروا عبادى . وإرساله الشياطين على الكافرين تخليته وإياهم . كما تقول : كان لى طائر فأرسل أى خليته وأطلقته(٦٤) .

ونلاحظ هنا الارتباط بين المعنى الاعلامى للكلمه ــ رساله ــ وبين كلمه رسول بمعنى النبى أو المخبر عن الله عز وجل .. كما نلاحظ استخدام اللفظين لمعنى واحد . وهو الرسول بمعنى الرساله . كما أن الرسول سمى رسولا لكونه يحمل رسالة .

وإذا كان الاعلام يعتمد فى نماذجه على الفاظ المرسل والرساله . والمستقبل وأن المستقبل ذاته يصبح مرسلا فى حالة قيامه برد الفعل . وإن رد الفعل هو فى حد ذاته رساله مرتده من المستقبل الى المرسل ، يقوم المرسل على ضوئها بتعديل وتوجيه رسالته فى المره القادمه كما ذكرنا ذلك من قبل فقد ورد هذا المعنى الإعلامى متضمنا فى التفسيرات اللغو يه للكلمه وهو ورود الارسال عند ابن منظور بمعنى التوجيه كما ذكرنا ، وورود لفظ الرسول بالمعنى المقصود فى الاعلام فى ذاته وهو الذى يتابع أخبار الذى بعثه .

وهذا يدل على أن هناك رابطه قو يه بين تسميه الرسول واللفظ أو الألفاظ المستخدمه كمصطلحات اعلاميه فى العصر الحاضر وهى المرسل والرساله . وهذا يدل على اقتباس هذه الألفاظ من هذا المعنى . ولاأدل على ذلك من كيفيه استخدام الكلمه فى ذاتها . حيث نرى القائم بالاعلام الذى هو المرسل . تتنوع رسالته حسب الهدف المقصود منها . وقد سبق القرآن الكريم الى بيان ذلك . حيث بين أن الله عز وجل أرسل الرسل ، وأرسل الشياطين . غير أن هناك فارقان بين هذا الارسال وذاك . فإرسال الرسل الهدف منه الهداية والاصلاح عن طريق الوحى اليهم وتوجيههم . ارسال الشياطين المقصود منه تخليتهم على الكافرين لإغوائهم . كما ذكر ابن منظور فى معجمه .

وهذا يدل على أن المعنى اللغوى والمعنى الاعلامى للكلمه متوافق . وعلى أن القرآن الكريم قد سبق أساتذه الاعلام فى العصر الحديث الى استخدام هذه المصطلحات وتحديد أهدافها بدقه لبيان ما هيتها وافادتها للبشر فى جميع مجالات

(٦٤) ابن منظور ، مرجع سابق ، ص ١٦٤٤ ــ ١٦٤٦ .

حياتهم وآخرتهم . وهذا مايفرق بين كون الاعلام إسلاميا من غيره . أنه يفيد البشر فى تنظيم حياتهم الدنيويه ، الأخرو ية أما غيره فيهتم ببعض المصالح والأهداف التى قد تتعلق بالمرسل فى حد ذاته . أو الهيئه التى يمثلها سواء كانت حكومه أوحز با أو هيئه أو شخصيه .

ولاتتعدى الافاده الدنيو يه فى أحسن حالاتها وأسمى أهدافها .

و بذلك نجد أن هناك علاقة اعلاميه بين تسميه الأنبياء والرسل و بين الألفاظ أو المصطلحات الاعلاميه ـــ النبأ والمرسل والرساله . ولا مجال للشك فى أن الاعلاميين فى العصر الحديث قد اقتبسوا مصطلحاتهم هذه من القرآن الكريم ومن الكتب السماو يه حيث هى الأسبق تاريخيا . وحيث هى الأكثر أصالة وعمقا . والأكثر ثقه . لأنها من عند الله عز وجل .

كما يدلنا هذا على أن الأنبياء والمرسلين هم رجال الاعلام الأوائل . وهم بهذا رجال اعلام بخير رساله . وهم بذلك ساده البشر . حيث اصطفاهم ربهم سبحانه وتعالى واختارهم كما ذكرنا من قبل .

وحيث أن الله تعالى قد فضل بعض رسله على بعضهم كما ذكر القرآن الكريم **«تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات»**(٦٥) وقد فضل الله عز وجل نبّيه محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر البشر . وعلى سائر الرسل . فهوبذلك أفضل خلق الله . على الاطلاق . وأفضل من صدع للإعلام برساله الله عزوجل ، فهو الأسوة والقدوة . وهو رجل الإعلام المتميز منذ طفولته الى صباه الى شبابه الى رجولته الى سائر حياته . كما رأينا من قبل . و بذلك فيجب أن يجعل الاعلاميون رسول صلى الله عليه وسلم قدوتهم واسوتهم ونموذجهم الأوحد والأمثل . منه يستمدون نظر ياتهم واسسهم الإعلاميه . و يتزودوا بقدر الاستطاعه من صفاته وسلوكياته .

وسوف نتعرض فى الفصول القادمه لكيفيه الممارسه الإعلاميه للنبى صلى الله عليه وسلم أو لبعض نماذج منها فى مكه كنماذج عمليه لممارسه الاعلام النبوى ، لتكون نبراسا لرجال الاعلام ودارسيه فى كل زمان وكل مكان .

---

(٦٥) سوره البقره (٢٥٣) .

الفصل الرابع

الرسول رجل إعلام قدير في مكة

أولا : نشر الإسلام جهد إعلامي .

ثانيا : الرسول يمارس الإعلام سرّاً في مكه .

ثالثا : الرسول يمارس الإعلام جهرا في مكه .

أولا : نشر الإسلام جهد إعلامى .

قبل أن نبدأ استعراض جهد النبى صلى الله عليه وسلم الاعلامى لنشر الاسلام فى المرحلة السرية أولا . ثم فى المرحلة الجهرية بعد ذلك . نوضح أن جهد النبى صلى الله عليه وسلم والذى يطلق عليه المتخصصون فى العلوم الاسلاميه بالدعوه الاسلاميه . هذا الجهد أو هذه التسمية . لا تختلف كثيرا عن اطلاق لفظ أو تسمية الإعلام عليه . فالدعوة والإعلام ، لايختلفان كثيرا من حيث المفهوم .

فإذا أخذنا برأى علماء اللغة — وكما سنوضح فى الفصل القادم أن شاء الله . أن الدعوة والدعاية من مصدر واحد . . وأنهما كلمتان مترادفتان . أو أن الدعوة والدعاية وجهان لعمله واحده كما يرى بعض الإعلاميين . فإننا بناء على ذلك يمكننا اعتبار مصطلح الإعلام أعم من مصطلح الدعوة . لأن مصطلح (الدعاية) إعلاميا . جزء من الاعلام . .

وإذا أخذنا بالرأى القائل بأن الدعوة الإسلامية ما هى إلا الجانب الخاص بنشر العقيده . وتعليم أركان وقواعد الدين الاسلامى . وأن الاعلام الاسلامى معنًى به كل ماينتج عن أجهزه الإعلام فى الدول الاسلامية من أخبار صادقه واعلانات صحيحه . وتمثيليات تحمل القيم الإسلاميه وتبتعد عن الخلاعه والاسفاف والمناظر المثيره التى تخدش الحياء . والكلمات الداعيه الى المعاصى . من حيث طريقه التعبير أو نحو ذلك . باختصار أن يكون كل ماينتج عن وسائل الاعلام فى الدول الاسلاميه . إسلاميا فى المحتوى والمنهج وطريقه التعبير .

« حيث يمكن أن يقدم المنهج الإسلامى فى أساليب فنيه إعلامية راقيه وجذابه ومؤثره . فهذا مايجب أن يكون عليه الإعلام الإسلامى . فليس الاسلام دين الجمود . ولايعرف الجفاف . بل يحث على استعمال الأساليب المشوقة والجذابة . طالما ابتعدت عن الإثاره الرخيصة . . والأساليب المتبذله » (١) .

---

(١) عبدالوهاب كحيل ، الأسس العلميه والتطبيقية للاعلام الاسلامى (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٥) ص ٣٧ .

وإذا سلمنا بهذا فتعبير الدعوة إذن جزء من الإعلام أو الدعوة الاسلامية جزء من الإعلام الاسلامى .

وأيّا كان الأمر فالتعبيرين متقاربين . ولن نقف عند حد الأختلاف على اللفظ . بل المهم هو الممارسة فى حد ذاتها . فالعصر الماضى لم يكن معروفا فيه مصطلح أو لفظ الإعلام كما نعرفه ونفهمه اليوم .

وفى هذا يقول الدكتور محيى الدين عبدالحليم « على الرغم من أن الإعلام بأجهزته ووسائله ونظرياته ، وتقنياته الحديثه لم يكن معروفا وقت نزول الوحى ، على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم . إلا أنه بتطبيق المقاييس العلمية الحالية على الدور الملقى على عاتق الدعوة الإسلامية . نستطيع أن نقول إن الإعلام كان ولازال أداة هذا الدين . ودعامته الرئيسية .

ولن نتجاوز الحقيقة إذا سمينا الأشياء بمسمياتها الصحيحة حين نقول إن الدين الإسلامى دين دعوة . والدعوة عمل إعلامى . بكل ماتحمل هذه العبارة من معنى فى أذهان أساتذه وخبراء الإعلام والاتصال بالجماهير . ذلك أن الدعوة ما هى إلا عمل إعلامى يخاطب العقل . و يستند إلى المنطق والبرهان . و يعمل على الكشف عن الحقيقة . وإذا استعرضنا التعريف العلمى للإعلام نجد أنه يكاد يكون متطابقا مع مفهوم الدعوة بمعناها الأصيل . فالاعلام هوتزويد الناس بالأخبار الصحيحة . والمعلومات السليمة والحقائق الثابته بهدف تكوين رأى عام صائب ، فى واقعة من الوقائع . أو حادثة من الحوادث أو مشكله من المشكلات .

والدعوة بهذا المعنى تختلف عن الدعاية بمعناها الحديث ـــ من حيث سوء استخدامها بعد الحرب العالميه الثانيه على يد هتلر وجوبلز ـــ بالرغم من أن الأصل اللغوى . لكل منهما واحد »(٢) .

وعلى هذا فالجهد الخاص بنشر الإسلام هو الجهد إعلامى . منذ بدايته والى أن يرث الله الأرض ومن عليها . بل وهو الجهد الإعلامى الأمثل . الذى يجب أن يستمد منه المسلمون نظرياتهم وأساليبهم وأسسهم الاعلاميه بدلا من استيردها من

(٢) محيى الدين عبدالحليم ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

الشرق أو من الغرب . فى ذات الوقت الذى تمتلىء فيه السنه النبويه الشريفه بكنوز هائلة من هذه النظريات والأسس والمبادىء القويمه التى لاتخطىء . ولاتنتهى .

وقد هيّأ الله عز وجل نبيه للقيام بهذه المهة الإعلاميه .. وأعده بالصفات التى سبق أن تحدثنا عنها . وهيأ له البيئه المناسبة زمانيا ومكانيا . ليبدأ جهد الاعلام بخير رساله وآخر رساله من الله عز وجل لعباده على وجه الأرض . ومن هنا كانت بداية المهمة الإعلامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار حراء . وأمره الله عز وجل بالقراءة .. ثم نزل الوحى مرة أخرى يأمره بالإنذار بمعنى الإعلام عندئذ علم محمد صلى الله عليه وسلم أنه مأمور بإبلاغ رسالة من الله عز وجل إلى عباده . هذه الرسالة مهمتها تغيير صورة المجتمع الجاهلى الذى لم يكن قبل بعثته راضيا عن الكثير من سلوكياته بدليل أنه لم يكن يسكلها . ولا يشارك فى كثير منها . كالسجود للأصنام وشرب الخمر والزنا والقتل والقسوة على العبيد وغيرها . حيث لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه فعل شيئا من ذلك . ولا شيئا يعيبه قط .

بدأ محمد صلى الله عليه وسلم مهمته الإعلاميه . فبلّغ عن الله عز وجل متسلحا بما أعدّه الله سبحانه وتعالى به من صفات تؤهله لذلك . وقد بدأ هذه المهمه بعد أن هيأ الله سبحانه وتعالى الزمان والمكان لتلقى هذه الرساله العظيمة كما ذكرنا من قبل . يقول الأستاذ العقاد :

« اتفقت أحوال العالم إذن على انتظار رساله ..

واتفقت أحوال محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ترشيحه لتلك الرساله وكان من الممكن أن تتفق أحوال العالم وأحوال محمد . ولاتتفق معها الوسائل التى تؤدى بها رسالته على أحسن الوجوه .

كان من الممكن أن ينتظر العالم الرسول، ثم لا يظهر الرسول وكان من الممكن أن يظهر الرسول فى البيت الصالح وفى البيئة الصالحة . ثم لاتتهيأ له الصفات التى يتم بها أداء الرسالة .

ولكن الذى اتفق فى رسالة محمد ، قد كان أعجب أعاجيب الاتفاق . وكان المعجزة التى تفوق المعجزات . لأنها مع ضخامتها وتعدد أجزائها وتوافق تلك الأجزاء جميعها ، مما يقبله العقل قبولا سائغا بغير عنت ولااستكراه .

فكان محمد مستكملا للصفات التى لاغنى عنها فى انجاح كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ ..

كانت له فصاحة اللسان واللغه .. وكانت له القدره على تأليف القلوب وجمع الشقه . وكانت له قوه الإيمان بدعوته وغيرته البالغة على نجاحها . وهذه الصفات للرسول هى التى عليها المدار فى تبليغ الرسالة .

فقد كانت له مع الفصاحه صباحة ودماثه تحببانه إلى كل من رآه . وتجمعان إليه قلوب من عاشروه . وهى صفة لم يختلف فيها صديق ولاعدو . ولم ينقل عن أحد من أقطاب الدنيا أنه بلغ بهذه الصفه مثل ما بلغه محمد صلى الله عليه وسلم بين الضعفاء والأقوياء على السواء »(٣) .

وقد تحدثنا عن هذه الصفات باستفاضه فى الفصول السابقه تحت عنوان اعداد النبى صلى الله عليه وسلم لأن يكون إعلاميا قديرا .

وقد حفظه الله تعالى منذ بداية إعلامه بالدعوة . رغم انكار المجتمع المكى لرسالته ، ورغم تحرش جبابرة مكة به ، من منطلق الحقد والغيرة عليه وعلى بنى هاشم .

« وكان نظام الحكم فى مكه سببا من أسباب عدم استطاعة حكومة مكه اتخاذ موقف صارم تجاه محمد هذا الثائر على الحكم الخارج على النظام حيث لم تكن حكومة مكة تستطيع أن تصدر أمر ابطرد مواطن أو حرمانه من حقه السياسى أو الحكم عليه بالإعدام ، إلا بعد إجماع من كل أصحاب السلطة فى مكة . ومنهم أهل وعشيرة هذا المحكوم عليه .

وهؤلاء غالبا ما نراهم يقفون الى جوار ابنهم حمية وعصبية له . ومن هنا نرى أن محمد صلى الله عليه وسلم برغم تبعيته لهذه الدولة . وأنتمائه إليها . وكونه فردا

---

(٣) عباس محمود العقاد ، عبقريه محمد (القاهره : دار نهضه مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٧) ص ١٩ ، ٢١ .

من رعيتها . لم يستطع حكام مكة أن يصدروا قرارات بشأنه تنفذ عن طريق القوة والقسوة نظراً لوقوف أهله وعشيرته بجانبه .

ومن المعتقد أن آل محمد صلى الله عليه وسلم لولا خوفهم من القرشيين ووقوفهم ضدهم . وخوفهم على نفوذهم السياسى أيضا . لأعلنوا انضمامهم لرسول الله من بادئ الأمر واتبعوا دعوته . لكنهم (كانوا أذكياء) . وقفوا مع القرشيين فى معتقداتهم خوفا على نفوذهم السياسى ووقفوا مع محمد يحمونه و ينصرونه حمية وعصبية » (٤) .

ومع قيام هذا الوضع القانونى لمحمد صلى الله عليه وسلم وسط المجتمع المكى . والذى كان يحميه من القتل . إلا أنه لم يكن يحميه من التعذيب والأذى والتعرض له . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يعلم ذلك . لذا بدأ إعلامه برسالته سرّا فى بداية الأمر. حتى ينضم إليه بعض الأتباع والأنصار الذين يؤازرونه و يرفعون من روحه المعنويه . ثم يبدأ بعد ذلك فى الجهر باعلامه .

ومن هذا يجب أن يعلم و يتعلم رجال الإعلام فى كل زمان ومكان أن الاعلام برساله وكلمة الحق ، لابد أن يواجه الصعوبات . و يتعرض للأذى وأنه عليه أن يكون حكيما فى توجيه إعلامه بما يتناسب مع الزمان والمكان . فهو يوجه إعلامه بطريقه سريه أحيانا وعلنية أحيانا . و بأسلوب ووسيله تتناسب مع روح الجماعة التى يبث رسائله الإعلاميه بينها وإليها .

وربما اعترض البعض على تسمية المرحلة السرية من تبليغ النبى صلى الله عليه وسلم لرسالته بأسم الإعلام ، إلا أنها تعتبر اعلاما فى الحقيقه لأنها فى جوهرها إخبار بالرسالة وبما جاء من عند الله وأن كان لعدد محدد من الناس . إلا أنه فى النهاية إعلام وإخبار. والذى فرض السرية فى هذه المرحله . إنما هو حكمة الإعلامى ذاته . حيث كان يوجه رسائله الإعلامية بما يتناسب مع الزمان . فليس من المناسب أن يبدأ إعلامه بطريقه علنية . دون وجود أتباع له ــ ولو كانوا قلة ــ

(٤) عبد الغفار عزيز وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

فيشور عليه الحمقى فيؤدى ذلك الى عدم الاستماع الى جوهر رسالته.. وعدم التعرض لسماعها. وعدم معرفه محتواها. فلا تؤدّى الى إثاره فكر أو اعمال عقل فيها. فتضيع هباءً. وتذهب سدى، ولا تؤثر ولا يستجيب لها أحد، ونحن نعلم أن عدم التأثير ينتج عنه عدم وجود رد الفعل. وهذا يوقف عجله الاتصال. لأنه يصيب الإعلامى بالإحباط فى معظم الأحوال.

أما قيام النبى صلى الله عليه وسلم بالإعلام عن دعوته سرا. فقد نتج عنه انضمام البعض إليه من الرجال الأحرار والعبيد. والنساء والصبيه. وبدأ كل من هؤلاء يؤدى دوره الإعلامى مع الرسول صلى الله عليه وسلم والى جواره.

ثانيا : الرسول يمارس الاعلام سرّا فى مكه :

بدأ النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام بدعوة الحق . بعد أن اطمأن قلبه إلى أن مايأتيه من الوحى إنما هوخبر السماء . و بعد أن تأكد أنه ملك من قبل الله عز وجل و بعد أن أيقن أنه مأمور بإبلاغ تلك الرسالة العظيمة ـ فى ذاتها وفى غايتها ـ إلى الناس كافه عامه إلى يوم القيامه .

ولكن كيف تكون البداية ؟ إنه مأمور بالإبلاغ نعم وللبشر يه بأكملها على امتداد الزمان واتساع المكان نعم . لكن القضيه التى واجهته فى بداية الأمر ، هى كيفية البدء بأمر الإبلاغ . خاصه وأن المجتمع المكى كان كما عرفنا من قبل . له معتقدات وعادات وتقاليد . وكان مليئا بالزعماء والزعامات . فكيف يبدأ بالاعلام برساله ر به فى هذا المجتمع بمافيه والى من فيه ؟

استعان النبى صلى الله عليه وسلم بالصفات والمؤهلات التى أعده الله عز وجل بها والتى سبق الحديث عنها . فاستعمل حسن خلقه وفصاحته وحسن بيانه . وتسلح بالصفات النفسيه والروحية والشخصيه التى أعدّه الله تعالى بها . و بدأ الإعلام برسالة ر به سبحانه وتعالى .

اختار النبى صلى الله عليه وسلم أن يبدأ الإعلام برسالته سرّا . حتى يكون ذلك اكثر فائده من عدة وجوه أولها أن يتعود النبى صلى الله عليه وسلم ذاته طرق الإعلام إلى أفراد هذا المجتمع فقد كانت فتره الممارسة السر ية للاعلام بالرسالة . فتره تدر يب عملى على ممارسة الإعلام إلى بعض شخصيات المجتمع المكى . ثانيها أن تز يد من حماس النبى صلى الله عليه وسلم . فالمعروف أن وقوف المرسل على رد الفعل لرسالته يؤدى الى الأستمرار فى إرسال رسائله الاعلاميه . و يدفع بعجله الا تصال الى استمرار الدوران . فإذا وقف الإعلامى على رد فعل عارض بعض توقعاته . أدّى ذلك به إلى اعاده النظر فى اسلوب رسالته أو فى الوسيله التى استخدامها لابلاغ رسالته . أو فى التوقيت المناسب للاعلام بالرساله ونحو ذلك . وإذا وقف الإعلامى على رد فعل اتفق مع توقعاته أدى ذلك إلى ز ياده حماسه .

وز يادة رسائله الإعلاميه وتعددها وتنوعها . كما أن معنى نجاح رسائله الإعلاميه أنها أثّرت فى المستقبلين لها . و بالتالى أدت الى استجابتهم . وهذا معناه كسب بعض الأنصار لدعوته . وهؤلاء بدورهم يمكن أن يصبحوا رجال إعلام جدد إلى جانبه . ينشرون دعوته فى أماكن اكثر اتساعا . والى عدد أكثر من الأفراد . كما أنهم يشدون من أزره و يساندونه ، و يقفون إلى جواره . يتبادل معهم الرأى . و يتشاور معهم فى أموره .

وهذا ماحدث مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بداية الإعلام برسالته . وهذا يدل على أنه رجل إعلام قدير مارس الإعلام بصوره عملية علميه . ورسم أسسها وقواعدها وأصولها لكل اعلامى من بعده .

وممايدل على صحة هذا الاتجاه فى ممارسة الإعلام . أن موسى عليه السلام . طلب من ربه عز وجل أن يعدّه ببعض الصفات التى تعينه على بلاغ دعوته . كما طلب أيضا من ربه أن يعينه بأخيه ليكون معينا له وشريكا فى الرأى قال تعالى **« إذهب إلى فرعون إنه طغى . قال رب اشرح لى صدرى . ويسّرلى أمرى واحلل عقده من لسانى ، يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من أهلى . هارون أخى . أشدد به أزرى . وأشركه فى أمرى . كى نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سؤلك ياموسى »** (٥) .

و بذلك كانت بداية الإعلام الذى مارسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرحله السرية . « فحينما أمر الله تعالى سيد الدعاه صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والانذار . اقتضت حكمته أن يلهمه التزام السرية فى دعوته . وأن يبدأ أبها أقرب الناس إليه . فأخذ صلى الله عليه وسلم يُسرُّ بأمره إلى من يطمئن إليهم من أهله . فكانت السيدة خديجه رضى الله عنها أول من آمن به من النساء . وتبعها على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو فى العاشرة من عمره . فكان أول من آمن به من الصبيان . ثم زيد بن حارثه رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان أول من آمن به من الموالى .

---

(٥) سوره طه (٢٤ — ٣٦) .

وبذلك انتهى سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم من تبليغ الدعوة لأهل بيته وأكرمه الله تعالى بهدايتهم جميعا »[٦] .

ومن الصعوبة بمكان تحديد طول فترة المرحلة التى مارس فيها النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام سرّا . فلا خلاف ولاجدال حول أنها بدأت مع بداية نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم . والأمر إليه بإبلاغ أمته . ولكن حتى متى استمرت المرحلة السريه . ومتى بدأ النبى صلى الله عليه وسلم يمارس الإعلام بطريقه طبيعيه . بالصوره المعلنه أو الجهريه ؟ .

وقد أجمع معظم المتحدثون فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الدعوة قد استمرت سرية ثلاثه أعوام . وقد عرض الدكتور رؤوف شلبى بحثا مستفيضا وقيّما فى هذا ولخص نتيجته بقوله « وإذن فلم يبق — على ماوصلت إليه بعون الله إلا الآيات الدّالة على الأمر بالتبليغ حسب ورودها ووجودها فى السور المتسلسلة باتفاق العلماء . ولعل مما يقوى هذا الضابط الذى أذهب إليه الحديث الشريف الذى أورده شارح الشفا :

« بعثت إلى الناس كافة . فإن لم يستجيبوا لى فإلى العرب . فإن لم يستجيبوالى فإلى بنى هاشم . فإن لم يستجيبوالى فإلىّ وحد » .

ففى الحديث خمس دعوات . واحدة للناس كافة . وواحدة للعرب وواحدة لقريش . وواحدة لبنى هاشم . وواحده لذاته الشريفه . فإذا استثنينا الدعوة الأخيرة لأن الله تعالى فتح به لدينه فى كل صوب وحدب بقيت أربع دعوات . للناس كافه وللعرب ولقريش ولبنى هاشم فإذا ماتتبعنا أحداث التاريخ وجدنا قريشا وبنى هاشم قد أدخلها النبى صلى الله عليه وسلم فى عشيرته الأقربين يوم أن صعد على الصفا وجعل ينادى .

يامعشر قريش — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا . يابنى عبدمناف لا أغنى عنكم شيئا . ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا . ويافاطمه بنت محمد — صلى الله عليه وسلم — سلينى ماشئت من مالى . لا أغنى عنك من الله شيئا .

---

(٦) حسين محمد يوسف، مرجع سابق، ص٤٦ .

قال ابن حجر فى شرح الحديث . فى رواية موسى بن طلحة عن أبى هريرة عنه مسلم واحد : دعا رسول الله صلى عليه وسلم قريشا . فعمّ وخصّ فقال : يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار . يامعشر بنى كعب كذلك يامعشر بنى هاشم كذلك . يامعشر بنى عبدالمطلب كذلك . وقد ذكر صاحب السيرة الحلبية : أنهم بنوهاشم و بنوالمطلب و بنوعبدشمس و بنونوفل .

فكان ذلك عونا لى أن أجعل قريشا و بنى هاشم المذكورين فى الحديث السالف مرحلة واحدة داخلة ضمن قوله تعالى « وأنذرعشيرتك الأقربين » .

وعلى هذا فأطوار الدعوه فى مكه زمنيا اثنتان :

١ ــ الدعوه وهى فى ظل العمل السرى ومدتها ثلاثه أعوام .

٢ ــ الدعوة وهى فى ظل العمل الجهرى ومدتها عشرة أعوام .

ومراحل تبليغها أربعة :

١ ــ مرحلة واحده فى دور العمل السرى وهى مرحلة إعداد القياده وثلاث مراحل بعد قوله تعالى (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**)(٧) وهى .

٢ ــ (**وأنذرعشيرتك الأقربين**)(٨) .

٣ ــ (**لتنذرأم القرى ومن حولها**)(٩) .

٤ ــ (**لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**)(١٠) .

وهذا الرأى السابق فى هذا التقسيم هو رأى الدكتور رؤوف شلبى(١١) وهو يتفق مع التسلسل المنطقى لأمر الله عز وجل لنبيه بالاعلام برسالته . وإن كان يتحدث عن رساله النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ الدعوه ، إلا انه من الأفضل أن نتحدث عنها بلفظ الإعلام لأنه أشمل وأعم . ورسالة النبى صلى الله عليه

---

(٧) سوره الحجر(٩٤) .

(٨) سوره الشعراء(٢١٤) .

(٩) سوره الشورى(٧) .

(١٠) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص٢٩٦ ، ٢٩٨ .

(١١) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص٢٩٦ ــ ٢٩٨ .

وسلم من صفاتها الشموليه والعموم . لسعة انتشارها وطول امتدادها . لأنها آخر رسالة من الله عز وجل الى البشر .

و يتفق ابن هشام مع هذا الرأى حيث يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم ظل مستخفيا بدعوته ثلاث سنين يقول : « **وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين — فيما بلغنى — من مبعثه** ». ثم قال الله تعالى له : (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**) وقال تعالى (**وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**) .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى هذه الفتره السرية — إذا صلوا ، ذهبوا فى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم » [١٢] .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمارس الاعلام برسالة الله عز وجل سرّا فى مكه فى بداية الأمر . تمشيا مع الظروف الزمانيه والمكانيه المحيطه به و بالذين آمنوا معه . وقد اتخذوا من دار الأرقم بن أبى الأرقم مقرا لهم . وبذلك كانت دار الأرقم أول مؤسسه إعلاميه إسلامية انتشرت منها رسائل الهداية للبشريه الى كل مكان . وتعلم فيها الجيل الأول من الإعلاميين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتربى فيها الجيل الأول من القاده . فتعلموا فيها ما هى الرساله . وآمنوا بها . وتعمق إيمانهم و بدأ والعمل الاعلامى برساله الله ولها . بالطريقه السريه ايضا حتى أذن الله عز وجل لرسوله بأن يمارس الاعلام جهرا فى مكه .

وكان أول من أسلم وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم و برسالته بعد آل بيته وهم خديجه وعلى بن أبى طالب الذى تربى فى بيته . ومولاه زيد بن حارثه . كان بعدهم مباشرة أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وفى إسلامه يقول النبى صلى الله عليه وسلم « ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوه وتردد ونظر . إلا أبا بكر ما عكم حين ذكرته . ولا تردد فيه » [١٣] .

---

(١٢) ابن هشام ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦٥ .

(١٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٢٧ .

وهناك فارق بين قيام النبى صلى الله عليه وسلم بالاعلام برسالة الله عز وجل فى المرحلة السرية . وبين علم أهل مكه بما يدعو إليه محمدا من عيب دينهم وسبّ آلهتهم . فليس المقصود بالمرحلة السرية أن الدعوه ذاتها لم تكن معروفه لدى المجتمع المكى وأهله . ولكن المقصود بالممارسة السرية للإعلام فى هذه السنوات الثلاث . هى عمليه شرح الرسالة واهدافها لأحداث التأثير فى المستمع . بالتالى استجابته لها . وايمانه بها وبأهدافها . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمارس هذا الجهد الاعلامى بطريقه سرية فى بداية الأمر . وخلال هذه السنوات الثلاث من بداية بعثته مع من يتوسم فيهم الخير . وفى قلوبهم الرحمة . ومع من يراهم منكرين لبعض تقاليد وطقوس المجتمع المكى . فقد مارس هذا الجهد مع أبى بكر على سبيل المثال . وقد كان أبو بكر من المعروفين فى المجتمع المكى بعدم معاقرتهم للخمور ولا للنساء وكراهيتهم للأصنام .

وقد كانت هذه المرحله من مراحل الاعلام التى مارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقوى دعوته . ويتزايد عدد المؤمنين برسالته فيمكنهم الاستمرار. ومع ذلك لم يخل الأمر من تعذيب هؤلاء . فقد كان أهل مكه يتبعون أخبار محمد والمؤمنين برسالته باهتمام بالغ . وكانوا يذيقونهم الوان العذاب طوال هذه السنوات الثلاث . فقد تعرض ابوبكر وعمر وبلال وأبو ذر للتعذيب الجسدى والنفسى من كفار مكه . ومع ذلك استمروا . مسلمين ورجال إعلام للإسلام .

« لقد ارتفع المسلمون الأوائل بدعوة الإسلام إلى أرفع مستوى تهون دونه الحياة . نفيسها وجليلها . لقد كانت غايتهم القصوى هى الله وحده وقائدهم المعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم . لا غيره . وكان القرآن دستورهم المقدس .

ولقد استعذبت أرواح هؤلاء الأوائل رسالة الإسلام . فمنحوها النفس والنفيس . وآثروها على كل الوجود . وسموا بأنفسهم فوق المجتمع الجاهلى بمادياته ومعنوياته » (١٤) .

---

(١٤) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص٣٠٣ .

وكان من خصائص الاعلام الاسلامى فى هذه المرحله السر يه فى مكه . أنه تنوع فى الجمهور الذى وُجّه إليه . حيث كان جمهوره الحر والعبد . والمكى والغفارى والدوس والجهينى . فأسلم أبو بكر و بلال . وهم حر وعبد من أهل مكه واسلم بعدهم غيرهم وعلى يديهم الكثيرون من أهل مكه . واسلم الطفيل من عمرو الدوس من قبيلة دوس وذهب رجل اعلام بالاسلام الى قومه واسلم أبو ذر الغفارى . و بعد أن عُذب فى مكه ذهب رجل اعلام بالاسلام الى قبيلته بنى غفار . واسلم عمرو بن مره الجهينى وذهب رجل اعلام بالاسلام الى قومه . وأسلم عمرو بن عبسة السلمى وأرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى قومه .

وهكذا أراد الله عز وجل أن يتنوع الجمهور الذى مارس معه النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام فى هذه المرحله السر يه . حتى يكتب للإسلام الانتشار والذيوع اكثر إذ ما بدأت المرحلة الجهر ية .

« هذه القيادة التى رباها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . لتتحمل نشر الدعوه الإسلاميه — أوجهد الاعلام الإسلامى — أر يد لها أن تنتشر فى ربوع الجز يزه . والإسلام مازال فى مكه يسير وئيدا بين الأصفياء المختار ين حتى إذا ماظهرت الدعوه جهرا . وأذن للنبى صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بها ، كانت القيادة فى شتى أنحاء الجز يره العربية وخارجها أعلام هداية . تساند وتؤ يد وتصدق وتنشر دعوة الله . فتظهر رقعه العمل للدعوة على مساحة شاسعة مترامية الأطراف . وقد وجدت فى كل ناحية منها داعية يثق بصدق فى رسالته . ويجاهد فى صدق لنشر دعوته . فتشتعل الجز يره ساعتئذ بمشاعل من النور والإيمان . تتلاقى مع صوت الحق الذى يصدع به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكه « أم القرى » ومركز الارشاد لتجميع — الاعلاميين برساله الله عز وجل .

وهنا نجد قياده الدعوه بعد أن أعدت القياده كمنهج للعمل مع الجماعة أمرت بعضهم بالتوجه الى ديارهم يدعون إلى الاسلام . حتى يسمعوا بظهور النبى صلى الله عليه وسلم فيلحقوا به » (١٥) .

---

(١٥) المرجع السابق ، ص٣٠٣ ، ٣٠٤ .

وسوف نتعرض لبعض النماذج من قيام المسلمين الأوائل بالجهد الإعلامي برسالة الله عز وجل في المرحله التي مارس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا في مكه . وهي السنوات الثلاث الأولى من بعثته صلى الله عليه وسلم .

كان من أبرز رجال الاعلام الاسلامي في هذه المرحله وعلى الدوام أبوبكر الصديق رضي الله عنه . فما إن أسلم وتفهم الإسلام . حتى بدأ يمارس الإعلام بدين الله سبحانه وتعالى وله . فأسلم على يديه كثير من المسلمين الأوائل .

قال الطبري في تاريخه « ثم أسلم أبوبكر بن أبي قحافة الصدّيق . فلما أسلم أظهر إسلامه . ودعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله . وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا . وكان أنسب قريش لقريش . وأعلم قريش بها . وبما كان فيهم من خير أو شر . وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف . وكان رجال قومه يأتون إليه و يألفونه لغير واحده من الأمر . لعلمه ، وتجاربه ، وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه . وجلس إليه . فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله . فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين استجابوا له . فأسلموا وصلوا . فكان هؤلاء الخمسه من الثمانيه ، النفر الذين سبقوا إلى الإسلام . فصلوا وصدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم »(١٦) .

وكان أبوبكر رضي الله عنه شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان شديد الإيمان بدين الله . جنّد كل ماله وجاهه ونفسه للاسلام ورسوله . وظل كذلك حتى آخر أيام حياته . فقد تحمل في مكه العذاب من أجل الرساله . وظل ينفق و يبذل في كل موقع حتى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم « إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبوبكر» .

كان أبو بكر يتحمل مؤنة الضيوف الذين يفدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كانت له ضيافات لا يفعلها أحد . وعندما سمع قصة أبي ذر الغفاري وأنه بات عديدا من الأيام يعيش على ماء زمزم . استأذن رسول الله صلى الله عليه

---

(١٦) الطبري ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٧ .

وسلم فى أن يستضيفه عنده . قال أبوذر: فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف . فكان ذلك أول طعام أكلته(١٧) .

وقد قام أبوبكر رضى الله عنه بجهد الإعلام لرساله الله عز وجل فى مكة فى المرحله السرية ،حتى لجموع المشركين فى المسجد الحرام . وكان لإعلامه الأثر فى اسلام بعض السابقين إلى الاسلام . ولقى فى سبيل ذلك الأذى مما دفع بعض المشركين الى التعاطف مع المسلمين حتى من غير أن يدخل هؤلاء المشركون فى الاسلام . وبذلك كان لجهده الإعلامى الأثر فى كسب تعاطف الرأى العام أو جزء منه على الأقل فى المجتمع المكى للاسلام والمسلمين .

«عن عائشه رضى الله عنها قالت : خرج أبوبكر يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان صديقا له فى الجاهلية . فلقيه فقال : ياأبا القاسم . قدمتُ من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ من كلامه أسلم أبوبكر. فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما بين الأخشبين أحد أكثر سرورا منه باسلام أبى بكر. ومضى أبوبكر. فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام. وسعد بن أبى وقاص فأسلموا . ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبى عبيدة بن الجراح وعبدالرحمن بن عوف وأبى سلمة بن عبد الاسد . والأرقم بن أبى الأرقم فاسلموا رضى الله عنهم .

ولما اجتمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا . ألح أبوبكر رضى الله عنه فى الظهور. فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته . وقام أبوبكر خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس . فكأن أول خطيب دعا إلى الله والى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين . فضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديدا . ووطىء أبوبكر وضرب ضربا شديدا . ودنامنه الفاسق عتبه بن ربيعة

(١٧) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥ .

فجعل يضرب به بنعلين مخصوفتين ويحرفها لوجهه . ونزا على بطن أبى بكر حتى مايُعرف وجهه من أنفه . وجاء بنوتيم يتعادون . فأجلت المشركين عن أبى بكر . وحملت بنوتيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته . ثم رجعت بنوتيم فدخلوا المسجد . وقالوا والله لئن مات أبوبكر لنقتلن عتبه بن ربيعة . فرجعوا إلى أبى بكر. فجعل أبوقحافة و بنوتيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب . فتكلم آخر النهار فقال : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: أنظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه . وجعل يقول : مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مالى علم بصاحبك . فقال : إذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه . فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله . فقالت : ماأعرف أبا بكر ولامحمد بن عبدالله ، وان كنت تحبين أذهب إلى ابنك . قالت : نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا . فدنت أن جميل وأعلنت بالصياح . وقالت : والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر. وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال :فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالم صالح . قال : أين هو؟ قالت : فى دار ابن الأرقم . قال : فإن لله علىّ ألاّ أذوق طعاما ولاأشرب شرابا أوآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسُكن الناس . خرجتا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله . واكبّ عليه المسلمون . ورقّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديده . فقال أبوبكر: بأبى وأمى يا رسول الله . ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى . وهذه أمى برّة بولدها . وأنت مبارك فادعها إلى الله . وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت . وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا . وقد كان حمزه بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبوبكر» (١٨) .

---

(١٨) ابن كثير، البداية والنهايه ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٠ ، ٣١ .

ومـن هـذه القـصه يتضح مدى أنشغال أبوبكر بالجهد الإعلامى للدعوة . فقد كـان أول خـطـيب فى الاسلام . يبّلغ الناس هذه الرساله . ولاق الأذى ومع ذلك كـان لا يشغله إلا السؤال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما يلقاه يطلب منه أن يـدعـو أمـه لـلإسـلام . وكان من نتائج جهد أبوبكر الاعلامى للاسلام فى هذا الـيـوم أن تعاطف بنوتيم معه . وخافوا عليه . وأخافوا المشركين . ولعل أنه كان من نـتـائـجـه أيـضـا أن أسـلـم حمـزه بـن عبدالمطلب فى هذا اليوم . وهذا نصر للاسلام والمسلمين .

وكـان مـن الـذين قاموا بالجهد الاعلامى للاسلام من هؤلاء الذين أسلموا فى الـبـدايـة . ومـا رسـوا ذلـك فى المـرحـلـه الـسـر ية أيضا بعض أهل القبائل المتباعدة والمـتـناثره حول مكه . أمثال الطفيل بن عمرو والدوس . وأبو ذر الغفارى . وعمرو بن مرّة الجهينى . وعمرو بن عبسه السلمى .

أسـلـم الطفيل بن عمرو الدوس . وكان من ساده دوس . ومن المطاعين فيها . ومـا إن أسـلـم حـتـى حـمّـل نفسه مسئولية الإعلام برسالة الله عز وجل إلى قومه . حـيـث طـلـب ذلـك مـن رسـول الله صلى الله عليه وسلم . ورجع إلى قومه يخبرهم و يُعْلمهم ، و يَعلّمهم الإسلام . ومارأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد حدّث الـطـفـيل عن نفسه وماحدث له فى ذلك فقال : « قدمت مكه ورسول الله صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم بها . فمشى إلىّ رجال من قريش . فقالوا : يا طفيل إنك قـدمـت بـلادنـا . وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا . وقد فرّق جماعتنا . وشـتـت أمرنا . وإنما قوله كالسحر يفرّق بين الرجل و بين أبيه . و بين الرجل و بين أخيه . و بين الرجل و بين زوجته . وإنانخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا . فـلا تـكـلـمـه ولا تـسـمعنّ منه شيئًا . فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شـيـئـا ، ولا أكـلـمـه . حـتـى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا — قـطـنـا — فـرقا من أن يبلغنى شىء من قوله . وأنا لا أر يد أن أسمعه . فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبه . فقمت منه قـر يـبـا . فـأبـى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله . فسمعت كلاما حسنا . فقلت فى نفس : واثكل أمى . والله إنى لرجل لبيب شاعر مايخفى علىّ الحسن من القبيح .

فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل مايقول ! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته . وإن كان قبيحا تركته .

قال الطفيل : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فتبعته . حتى إذا دخل بيته دخلت عليه . فقلت : يامحمد إن قومك قالوا الى كذا وكذا . للذى قالوا ، فوالله مابرحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك . ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعته قولا حسنا . فاعرض علىّ أمرك . فعرض علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الإسلام . وتلا علىّ القرآن . فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهاده الحق .

قال الطفيل : قلت يارسول الله : إنى امرؤ مطاع فى قومى . وأنا راجع إليهم . وداعيهم إلى الإسلام . فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال : اللهم اجعل له آيه . فخرجت إلى قومى . حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر . وقع نور بين عينّى مثل المصباح . فقلت اللهم فى غير وجهى . إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثله وقعت فى وجهى لفراقى دينهم . فتحول فوقع فى رأس سوطى . فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق . وأنا أهبط إليهم من الثنية . حتى جئتهم فأصبحت فيهم . فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخا كبيرا . فقلت إليك عنى يا أبت . فسلت منك ولست منى . قال : ولم يابُنّى ؟ فقلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم . قال : أى بُنّى ، فدينى دينك فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك . ثم تعال حتى أعلمك ماعلمت . فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم ثم حدث مثل ذلك مع زوجة الطفيل . حيث أمرها أن تتطهر . فسألته . أتخشى على الصبيه من ذى الشرى ــ صنم دوس ــ شيئا ؟ فقال لها الطفيل : لا ، أنا ضامن لذلك فذهبت فاغتسلت . ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت .

ثم دعا الطفيل دوسا إلى الاسلام . فأبطئوا عليه . فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكه فقال : يا نبى الله . إنه قدغلبنى على دوس الزنا ــ وهواللهو مع شغل القلب . فادع الله عليهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا . ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم . فلم يزل بأرض دوس يدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى المدنيه فلحق به ومعه سبعين أوثمانين بيتا من دوس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر . فأسهم لهم مع المسلمين »[19] .

و يتضح من قصة الطفيل بن عمرو الدوسى هذه . أن كفار قريش أنفسهم قد قاموا بلفت نظر الطفيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وما يدعو إليه فرغم تحذيرهم . إلا أن هذا التحذير كان دافعا للطفيل إلى أن يسمع و يفكر فيا يسمع فهو رجل شاعر ولبيب و يثق فى عقله وفكره . وكان هذا التحذير أيضا مفيدا فى أن ينتظر الطفيل حتى ينصرف محمد من المسجد الى بيته فيتبعه حتى يدخل عليه بيته . وكانت هذه فرصه لأن يسمع الطفيل من محمد فى هدوء وسكون . ثم لا تتحرش به قبائل مكه من أعداء محمد . وكان هذا من كمال عقل الطفيل . أن يفعل ذلك ثم إن الله عزوجل أبى إلا أن يسمع الطفيل كلام محمد صلى الله عليه وسلم . ورأى الطفيل برجاحة عقله أنّ هذا من علامات صدق محمد ودعوته .

و يطلب الطفيل العوده إلى قومه لإعلامهم بالرسالة التىّ آمن بها.. وانشرح لها صدره . و يطلب آية تعينه على ذلك . ولصدق نيته يعطيه الله الآية . بل ولما يطلب تحوّلها عن وجهه تتحول إلى سوطه . ليكون ذلك من عوامل جذب الانتباه ولفت الأنظار إليه . ثم يبدأ مهمته الإعلاميه بأهل بيته ليكون أكثر اقناعا وتأثيرا . فيبدأ بأبيه ثم زوجته . وهكذا حتى يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكه فيبلغه بمشقه المهمة وما يلاقيه من عراقيل حيث القوم مشغولون باللهو ونحوذلك . فيدع النبى صلى الله عليه وسلم لهم بالهدايه . و يأمره بالعوده وممارسه الإعلام بالدعوة . والرفق بقومه أثناء ذلك . و يعود فيفتح الله له . و يدخل الكثيرون من قومه فى الإسلام . نتيجه لجهده وإخلاصه .

وكان من هؤلاء الأوائل الذين تحملوا عبء الإعلام بالإسلام فى مكة وفى قومهم . فى هذه المرحلة السرية من حياة الدعوة . أبوذر الغفارى رضى الله عنه « فقد ذكر البيهقىّ عن أبى ذر رضى الله عنه قال : كنت ربع الإسلام . أسلم قبلى ثلاثه نفروأنا الرابع . وروى البخارى أن أبا ذر لما بلغه مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل يزعم أنه نبىّ يأتيه الخبر من السماء

---

(١٩) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٦١ ، ٣٦٤ .

فاسمع من قوله . ثم ائتنى فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه . ثم رجع إلى أبى ذر . فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ما هوبالشعر . فقال ما شفيتنى مما أردت . فتزود وحمل شنة فيها ماء . حتى قدم المسجد فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه . واختلف الرواة فى أن أبا ذر مكث ثلاث ليال بمكه مستخفيا أوثلاثين ليله قبل اسلامه . حتى يمكنه أن يتأكد من الخبر و يفكر فيه ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » فقال أبوذر . والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد . فنادى بأعلا صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله . ثم قام فضربوه حتى أضجعوه ، فأتى العباس فأكبّ عليه فقال : و يلكم ألستم تعلمون أنه من غفار . وأنه طريق تجارتكم إلى الشام . فانقذه منه . ثم أتى الغد بمثلها فضربوه . وثاروا إليه . فأكب العباس عليه .

وفى روايه لمسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر لما دخل الاسلام : « إنى قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب . فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك و يأجرك فيهم » قال أبوذر : فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا . فقال ما صنعت ؟ قلت : صنعت أنى أسلمت وصّدقت . ثم أتينا أمنا فقالت ما بى رغبة عن دينكما فإنى قد أسلمت وصدّقت . فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار . فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدنيه وكان يؤمهم خفاف بن إيما بن رخصة الغفارى . وكان سيدهم يؤمئذ وقال بقيتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . وقدم رسول اله صلى الله عليه وسلم فأسلم بقيتهم . وجاءت قبيلة أسلم فقالوا يا رسول الله إخواننا — أى قبيله غفار — نسلم على الذى أسلموا عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غفار غفر الله لها . وأسلم سالمها الله » (٢٠) .

وتوضح قصه اسلام أبوذر أنه أعمل فكره قبل الدخول فى الاسلام . وتحرّى الحقيقة تماما . حيث ظل كما تذكر بعض الروايات ثلاثين ليله بمكة مستخفيا لا طعام له إلا ماء زمزم . حتى أطعمه أبوبكر من زبيب الطائف فكان أول طعام أكله بمكه . وهذا التحريه الدقه واستقصائه الحقيقه . بعد ذلك أسلم ولم يعد إلى قومه إلا بعد أن جهر بذلك وتحمل

---

(٢٠) ابن كثير، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٤ ، ٣٦ .

الأذى بمكه من كفارها حتى أنقذه العباس منهم . ثم يعود إلى قومه ويمارس جهد الإعلام برسالة الله عز وجل فيدخل بعضهم الاسلام و يؤجل بعضهم ذلك لحين قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه .

ومما يدل على أن أبى ذر لم يكن يطلب سياده ولا مجدا من جرّاء القيام بهذا الجهد الإعلامى ، أن الذى كان يؤم المسلمين فى قبيلة غفار هوسيدهم يومئذ خفاف بن إيما . ولم يكن أبوذر . ومن بركه جهده واخلاصه لدعوه الله عز وجل وتبليغها أن أسلمت قبيله غفار كلها . بل وقبيله أسلم أيضا .

وكان من هؤلاء السابقين إلى الاسلام . والذين أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم إعلاميون إلى أقوامهم أيضا . عمروبن عبسه السلمى رضى الله عنه ، « ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة عن عمروبن عَبسة السلمى رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فى أول ما بعث وهو بمكة . وهوحينئذ مستخفى . فقلت : ما أنت ؟ قال أنا نبى . فقلت وما النبى ؟ قال رسول الله : قلت : الله أرسلك ؟ قال نعم . قلت : بما أرسلك ؟ قال بأن تعبد الله وحده لا شر يك له . وتكسر الأصنام . وتوصل الأرحام . قال قلت نِعْم ما أرسلك به فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد — يعنى أبا بكر و بلالا — أو هواسم جنس يعنى الأحرار والعبيد مطلقا .

فكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأنا ر بع الإسلام . فأسلمت وقلت : فاتبعك يا رسول الله . قال لا ولكن الحق بقومك . فإذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى » (٢١) .

ولما كانت هذه المرحلة من الدعوة تتسم بالسر ية فإن من كان يدخل الإسلام من هؤلاء الوافدين يحسب أنه لم يدخل فيه غيرمن رآهم فقد أخبر أبوذر مثلا أنه ر بع الإسلام . وأخبر عمرو بن عبسه أنه ر بع الاسلام . وأخبرسعد بن أبى وقاص أنه ثلث الإسلام . وكان هذا بحسب علم كل منهم عن عدد المسلمين فهم صادقون بحسب علمهم . ولكن الحقيقه تختلف لأن المسلمين الأوائل هم خديجه وعلى وز يد وأبوبكر ثم من أسلموعلى يد أبى بكر فى البداية . وكان هؤلاء الوافدون بعدهم من حيث العدد .

---

(٢١) المرجع السابق ، ص ٣١ .

ومن هؤلاء الصحابة الذين سبقوا إلى الاسلام . حملوا جهد الإعلام برسالة الإسلام . عمرو بن مرة الجهني . « روى الطبراني باسناد عن عمرو بن مره الجهني قال : خرجت حاجّا في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في نومي وأنا بمكه . نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب . وأشعر جهينه . فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء . وسطع الضياء . بعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء إضاءة أخرى . حتى نظرت إلى قصور الحيرة ، أبيض المدائن . وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الإسلام . وكسرت الأصنام . ووُصلت الأرحام . فانتبهت فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحي من قريش حدث — وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءني أن رجلا يقال له أحمد قد بعث . فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال « يا عمرو بن مره : أنا المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام . وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام . وعبادة الله . ورفض الأصنام . وحج البيت . وصيام شهر رمضان من اثنى عشرا شهرا . فمن أجاب فله الجنه . ومن عصى فله النار . فآمن يا عمرو يومنك الله من هول جهنم » فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . آمنت بما جئت من حلال وحرام . وإن رغم ذلك كثيرا من الأقوام . ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به . وكان لنا صنم . وكان أبي سادنا له . فقمت إليه فكسّرته . ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وأنا أقول :

شهدت بأن الله حق وانني لآلهة الاحجار أول تارك
وشمرت عن ساق الإزار مهاجرا إليك أجوب الفقر بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفسا و والدا رسول مليك الناس فوق الحبائك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مرحبا بك يا عمرو بن مره » فقلت يا رسول الله : ابعثني إلى قومي . لعل الله يمن عليهم بي كما منّ عليّ بك . فبعثني إليهم وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظا . ولا متكبرا . ولا حسودا » فذكر أنه أتى قومه . فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا كلهم . الا رجل واحد منهم . وأنه وفد بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرحب بهم وحيّاهم . وكتب لهم كتابا » (٢٢) .

---

(٢٢) المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

وقد اتبع عمرو بن مرة الجهنى دعوه الحق . لما أبلغه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . و بدأ تنفيذها بصورة فعليه . فكسّر الصنم الذى كان أبوه سادنا له . والتزم أمر النبى صلى الله عليه وسلم تبليغ الرسالة ، وأثناء ممارسته للإعلام بها لقومه . قبيله جهينه . حيث امره النبى صلى الله عليه وسلم بالرفق والقول السديد . و بأن يكون رحيا متواضعا غير حسود . فكان من بركة ذلك أن أسلم قومه كلهم إلا رجلا واحدا .

« هكذا تبدو أهمية نشر القياده ـــ ورجال الاعلام ـــ فى أنحاء الجز يره العربية . وتبدو أهمية مساهمتها فى العمل للدعوة الإسلامية . فقد خفف الطفيل بن عمرو الدوس وأبوذر الغفارى ـــ وأمثالهم ـــ عن مركز الإرشاد فى مكة أعباء ثقل العمل فى تلك الديار . وكانوا رصيدا بشر يا قو يا عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم المدنيه . فكانوا بذور شجر يترعرع فى سرعة . و ينمو بقوه فى ظلال النبوه الكريمة . عندما أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ليستبدل منهجا جديدا بعد أن وُضعت لبنة البناء العظيم للأمة الإسلامية فى مكه المكرمه .

وهكذا يبدأ التبليغ بإعداد القيادة فى مدة أعوام ثلاثة من العمل السرى للدعوة . و يتم فيها تواؤم الدعوة مع الطبيعة الإنسانية . فلا يبقى لمعترض تعلة . فقد آمن بيت رسول اله صلى الله عليه وسلم جميعا . وآمن صديقه أبوبكر وغلامه ز يد . والمنتظرون لبعثته الشر يفة منذ زمن مثل : ورقه وبحيرا ونسطيرا وعلماء النصارى . فلم يبق لواحد من بعد ذلك شبهة اعتراض بأن لوكان مايدعو إليه محمدا حقا لكان أولى الناس به زوجه . وغلام بيته وصديقه و بذلك فقد اكتمل للدعوة فى كل موطن قيادة تعمل وتجاهد فى سبيل نشر الإسلام الحنيف وهى تثق فى لحظة الظهور التى وعدهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢٣) .

و بذلك نرى أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب أروع الأمثله فى تار يخ البشر ية كلها . لما يجب أن يكون عليه رجل الإعلام القدير خاصة فى مثل هذه الظروف الصعبة . وعلم رجال الإعلام فى كل زمان ومكان . كيف يبدأون العمل الإعلامى تحت أى ظروف . وفى مواجهه أى مجتمع . وتجاه أى فكر يقابلهم

---

(٢٣) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

فلا مجتمع أقسى بكل المعايير من المجتمع المكى . كما رأيناه بمعتقداته ومقدساته وعاداته وتقاليده . وصلابة الرأى لدى قادته ، وقوه الشكيمه والعزيمة التى كانوا يتصفون بها . ومع ذلك كله يبدأ رسول الله صلى اله عليه وسلم الإعلام برسالته وسط كل هذه الظروف . معلما البشرية كلها كيف يكون التخطيط الإعلامى . وكيف يكون التنفيذ تحت أى ظروف . وبأى وسائل متاحه . وبالأساليب المحببه والمرغبة فى الرسالة والرسول واصحابه .

وقد تعلم المسلمون الأوائل من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمارسوا الإعلام بالرسالة العظيمة كل فى موقعه . وكل حسب استطاعة فمنهم من مارسها فى مكه . ومنهم من مارسها خارج مكه ومنهم من مارسها فى مكه وخارجها . وهم يعملون . والرسول صلى الله عليه وسلم يعمل والاعلام بالإسلام يسير فى كل هذه المحاور . و يسلك كل هذه الطرق . و يتخذ كل الأساليب الممكنه بكل الوسائل المتاحة .

« لقد كان الصف الأول من أصحاب سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم أروع صوره لما يجب أن يكون عليه رجال الدعوة . من وحدة فى الكلمه وإيمان بالهدف . وطاعة للقيادة . ولذلك كانوا رغم قلتهم يملكون من القوه الكامنة ما مكنهم بعد قليل من الجهر بالدعوة . فى وجه مجتمع فاسد شديد التعصب لضلالاته . عميق التعلق بجاهليته . بل ما مكنهم من مقاومة ذلكم المجتمع المضادلهم . حتى تغلبوا على عناده وأخرجوه عن كفره . وطهروه من رجسه وآثامه » (٢٤) .

وقبل أن نتعرض للحديث عن ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للاعلام بالرساله فى المرحلة الجهرية . نؤكد مرة أخرى أن مفهوم الدعوة الاسلاميه يقترب من مفهوم الإعلام الإسلام كما رأينا .

« فالدعوة الإسلامية هى الجانب التبشيرى بالعقيده . وهى تكاد توازى مفهوم الإعلام . لأن الدعوة هى الإعلام بالإسلام والتعريف به . وهذا العمل هو فرض الكفاية فى الفقه الاسلامى الذى إذا لم يقم به نفر من المسلمين أثموا جميعا . والدعوة جزء من الإعلام الاسلامى . أو هى الجزء الأيدلوجى (العقائدى) فيه .

(٢٤) حسين محمد يوسف ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

علما بأن الدعوة لاتشمل وسائل الإعلام فحسب بل تشمل القدوة الحسنة والإجراءات الاقتصادية المشابهة لدعم المؤلفة قلوبهم وما شابه ذلك . وليس فى قولنا بأن الدعوة إلى الإسلام جزء من الإعلام الإسلامى تضخيم للاعلام الإسلامى أو تصغير للدعوة الاسلامية . ولكن شبيه بهذا الموقف قولنا بأن العلاقات العامه تستخدم كافة وسائل الاعلام لتحقيق أهدافها . الى جانب الاتصال الشخصى . والحلول الادارية وتنظيم الحفلات برغم أن علم العلاقات العامه جزء من علم الإعلام . وأن التخصص فى العلاقات العامه فرع من الاعلام وهوالأصل » [٢٥] .

(٢٥) محمد سيد محمد ، المسئولية الإعلامية فى الاسلام ، الطبعة الأولى (القاهره : مكتبه الخانجى ومكتبه الرفاعى بالرياض ، ١٩٨٣) ص ٤٥ ، ٤٦ .

ثالثا : الرسول يمارس الإعلام جهرا فى مكه :

حينما نبدأ الحديث عن ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام برساله الله عز وجل بصورة جهرية . يثور تساؤل . هل بدأت هذه المرحلة بقوله عز وجل « **وأنذر عشيرتك الأقربين** »(٢٦) ؟ أم بقوله عز وجل « **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين** »(٢٧) . ؟ .

فالآية الأولى تأمر بإنذار عشيرته الأقربين . وما سبق من حديث يدلنا على أن أسرته الصغيرة قد استجابت للدعوة وأسلمت ، وهم أهل بيته . خديجه وعلى ومولاه زيد . فالأمر إذن فى الآيه ينصب على عائلته بالمفهوم الأوسع أو الأشمل وهم بنو عبد المطلب أو نبو هاشم . والآية الثانيه : تأمر النبى صلى الله عليه وسلم بإبلاغ الدعوة إلى الناس أجمعين .

وهناك تسلسل منطقى بين هاتين الدعوتين من الله لنبيه حسب نزول الآيات . فالآية الأولى من سورة الشعراء والثانيه من سوره الحجر والسوره الأولى أسبق من الثانيه فى النزول . فكما يتضح من ترتيب السور القرآنيه حسب النزول والمدوّن فى المصحف الشريف . أن سورة الشعراء ترتيبها الخامسه والأربعين أى نزلت قبلها أربعة وأربعين سوره من سور القرآن . أما سوره الحجر فترتيبها الثانيه والخمسين . أى نزلت قبلها واحد وخمسين سوره من سور القرآن . منها سوره الشعراء بطبيعة الحال . ولعل الفاصل الزمنى بينهما قليل .

وحيث أن الأمر قد خرج من طور الخاصه إلى العامه . ومن طور الأتباع إلى غيرهم . فقد خرج من طور السرية الى طور العلانيه . وعلى هذا فيمكن اعتبار دعوه بنى عبد المطلب . وهم العشيرة الأقربين هى بداية المرحلة الجهرية من الإعلام بالرسالة . حيث يتفق ذلك مع ترتيب الآيات فى النزول . وحيث هو

---

(٢٦) سوره الشعراء (٢١٤) .

(٢٧) سوره الحجر (٩٤ — ٩٥) .

اعلام على ملأ من القوم وليس لخاصه الأفراد كما كان فى المرحلة السرية .. فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم فى المرحلة السرية يمارس الإعلام بصوره خاصه ، أى لأفراد محدودين حتى أن المسلمين من الوافدين . أى من غير أهل مكه مثل أبى ذر وعمرو بن عبسه السلمى يظن الواحد منهم أنه رابع من دخل الإسلام . بينما يكون قد دخل غيره قبله الكثيرون كما ذكر من قبل . وعلى هذا فالمرحلة الجهرية من الإعلام النبوى بالرسالة تبدأ من دعوته صلى الله عليه وسلم لعشيرته الأقربين الذين هم بنو عبدالمطلب .

« عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لمانزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (**وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**) قال رسول الله صلى اله عليه وسلم « **عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره . فصمتّ . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يامحمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار**» قال : فدعانى فقال : « **ياعلى إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتى الأقربين . فاصنع لنا ياعلى شاة ، على صاع من طعام . وأعد لنا عسّ لبن . ثم اجمع لى بنى عبدالمطلب** » ففعلت . فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبوطالب وحمزة والعباس . وأبولهب الكافر الخبيث فقدمت إليهم تلك الجفنة . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حذية فشقها بأسنانه ، ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا باسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه . مانرى إلا آثار أصابعهم . والله إن كان الرجل ليأكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسقهم ياعلى » فجئت بذلك العقب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا . وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبولهب لعنه الله فقال : لَهَدّ ماسحركم صاحبكم . فتفرقوا . ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان من الغد قال رسول صلى الله عليه وسلم « **عُدّ لنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدر إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم** » . ففعلت ثم جمعتهم له . وصنع رسول صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس . فأكلوا حتى نهلوا عنه . وأيم الله إن كان الرجل

ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسقهم ياعلى » فجئت بذلك العقب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا . وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم . بدره أبولهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهذا سحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« ياعلى عُدْ لنا بمثل الذى كنت صنعت بالأمس ، ومن الطعام والشرب . فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ما سمعت قبل أن أكلّم القوم »** ففعلت ثم جمعتهم له ، فصنع رسول الله صلى الله عليه كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك العقب حتى نهلوا وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« يابنى عبد المطلب : إنى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتكم . إنى جئتكم بأمر الدنيا والآخره »** هكذا رواه البيهقى وقد روى جعفر بن جرير هذا الحديث وزاد عليه قوله **« وإنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخره . وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه . فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر . على أن يكون أخى »** وكذا أو كذا قال فأحجم القوم عنها جميعا قال على بن أبى طالب ولأنى لأحدثهم سنا . وأرمصهم عينا . وأعظمهم بطنا . وأحمشهم ساقا . أنا يانبى الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتى فقال : **« إن هذا أخى . كذا وكذا . فاسمعوا له وأطيعوا »** قال فقاه القوم يضحكون . ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع »(٢٨) .

وتوضح هذه القصة أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ الجهد الإعلامى برسالة الله عزوجل إلى عشيرته الأقربين . بعد أن فكر فى الوسائل والأساليب المناسبة لذلك . فلم يكن همّه تنفيذ الأمر فقط . إنما كان يريد بالفعل أن يقوم بجهد إعلامى مؤثر . يؤدى الى الاستجابة . والدخول فى الاسلام . لذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا أن يصنع طعاما وأن يدعوهم إليه . وقد أمر على بن أبى طالب بذلك لأنه من أهل بيته حيث تربى فى بيته . لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذه من عمه أبى طالب ليقوم بتربيته عنه لكثره عيال أبى طالب وقلة ماله .

---

(٢٨) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٩، ٤٠ .

وكان ذلك قبل البعثه . ولأن على بن ابى طالب أيضا كان من المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث هومن السابقين الى الاسلام فقد أسلم بعد خديجه مباشرة وأسلم دون أن يستشير أبا طالب فى ذلك لذلك أمره النبى أن يصنع الطعام وأن يدعوا له بنى عبدالمطلب .

وقد جمعهم النبى صلى الله عليه وسلم على الطعام بالذات لعده أسباب . تتعلق كلها بمعرفة نفسيات هذا الجمهور المدعو على هذا الطعام فقد كان من هذه الأسباب أن العرب كانت تجتمع على الطعام فى المناسبات الهامه . كما لمثل هذه الدعوات أهمية بل وقدسية فى نفوسهم . ومن هذه الأسباب أن الإنسان حينما يُطعم إنسانا فى بيته من النادر أن يرفض له طلبا . أويرد له كلاما . ومن هذه الأسباب أيضا أن معظم بنى عبدالمطلب كانوا فقراء من حيث المال ، فدعوتهم على الطعام تعنى شيئا هاما من حيث الطعام للفقراء منهم . وتعنى شيئا هاما من الناحية المعنوية للأغنياء منهم .

كما أن دعوة بنى عبدالمطلب معا . والتحدث إليهم ، له عده مميزات من حيث الرد المتوقع . فإن كان الرد قاسيا من بعضهم . تعاطف البعض الآخر. وربما استجاب البعض فأدى ذلك إلى تحمس الكثيرين منهم للأستجابة . وبالجمله فقد ظهرت نتائج ذلك سريعا . فهم وإن لم يستجيبوا إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد ضمن حياد بعضهم وتعاطف بعضهم . خاصة الأقوياء والكبراء منهم . أمثال أبوطالب والعباس والحمزه . بل ولما كان رد أبولهب قاسيا وتخوف البعض من الرد عليه . بادرته أخته صفيه بنت عبدالمطلب بالرد عليه .

فقد ذكرت بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم فى المرة الثانية : « إن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم . ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الذى إله إلا هوإنى لرسول الله اليكم خاصة . وإلى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون . ولتبعثن كما تستيقظون . ولتحاسبن بما تعملون . ولتجزون بالاحسان إحسانا وبالسوء سوءا . وإنها لجنة أبدا ، أو لنار أبدا . والله يابنى عبدالمطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخره . وتكلم القوم كلاما ليّنا غير أبى لهب . فإنه

قال : يابنى عبد المطلب هذه والله السوأه . خذوا على يده ، قبل أن يأخذ على يده غيركم . فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم . وإن منعتموه قتلتم .

فقالت أخته صفية بنت عبد المطلب — عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم — اى أخى : أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله مازال العماء يخبرون أنه يخرج من بنى عبد المطلب نبى . فهو هو قال : هذا والله الباطل والأمانى وكلام النساء فى الحجال . إذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب . فما قوتنابهم فوالله مانحن عندهم إلا أكلة رأس . فقال أبوطالب : والله لنمنعه ما بقينا » (٢٩) .

وقد استخدم النبى صلى الله عليه وسلم هنا الاتصال الشخصى بآل عبد المطلب . وحاول محاورتهم إثر إطعامهم . لكن أبولهب حال بينه وبين هذا الحوار . وأدى هذا إلى دفع صفية وأبوطالب لإعلان حمايتهم لابن أخيهم وأن لم يكن أبوطالب مؤمنا كما وقف الباقون بين التعاطف والحياد . غير أنه لم يعلن العداء له غير أبى لهب كما حاول على بن أبى طالب إحراج أعمامه ليعلن بعضهم الدخول فى الاسلام ومؤازرة النبى صلى الله عليه وسلم ومؤاخاته لما طلب منهم ذلك . حيث سكت علىّ أولا لحداثه سنه . ولوجود أعمامه . ولكن لما كرر النبى صلى الله عليه وسلم مقولته . اعلن على أنه وزيره . وأعلن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخوه . وأمرهم بالسمع والطاعة له . وانه يومها لأحدثهم سنا . وأسوأهم هيئه .

يقول علىَ بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم و بعد أن تكلم قال لقومه بنى عبد المطلب « أيكم يقضى عنى دينى . و يكون خليفتى فى أهلى ؟ فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله . وقال على : سكتّ أنا لسن العباس . ثم قالها مرة أخرى . فسكت العباس . فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله قال : أنت ؟ وإنى يومئذ لأسوأهم هيئة . وإنى لأعمش العينين . ضخم البطن حمش الساقين » (٣٠) .

---

(٢٩) رؤوف شلبى ، مرجع ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٣٠) ابن كثير ، البدايه والنهاية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

وبذلك نفذ النبى صلى الله عليه وسلم، أمر ربه عز وجل فى أن يمارس الإعلام بالرسالة جهرا . و بلغ ذلك إلى عشيرته، بنى عبد المطلب . وقد نفذ ذلك بأسلوب يدل على حرصه وحماسه لرسالته . وضمن بذلك تعاطف وحماية عشيرته وأهله له . كما علم موطن الخطر من أهله . وهو عمه أبولهب . حيث تبين إصراره على عداوته وعداوة رسالته .

وبذلك بدأ النبى صلى الله عليه وسلم ينتقل من هذه المرحلة إلى مرحلة إعلامية اكثر إتساعا . فى طمأنينة، وثقة . حيث هوقد دعا اسرته وآمنت . ثم كان له أصحاب آمنوا فى المرحلة السرية . وبدأوا و ينشرون الاسلام فى مكة وفى بعض القبائل المجاوره . ثم بدأ جهره الإعلامى العلنى ببنى عبد المطلب فضمن تعاطفهم وحمايتهم . أو على الأقل ضمن حياد غير المتعاطفين منهم . وهذا الجهد الاعلامى الذى مارسه النبى صلى الله عليه وسلم يتسم بالتسلسل المنطقى . من الأسره إلى الأصدقاء والأصحاب فى المرحلة السرية . ثم إلى عشيرته الأقربين فى بداية المرحله العلنيه . مما مهد الانطلاق فى ثقه إلى الإعلام لمكه كلها . ولكل بطونها وقبائلها . و بذلك بدأ الإعلام برسالته إلى كل مكه .

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « **وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون** » .

« هذه النذارة الخاصه لا تنا فى النذاره العامه . بل هى فرد من أجزائها . كما قال تعالى : « **لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون** » وقال تعالى « **لتنذر أم القرى ومن حولها** » وقال تعالى « **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم** » وقال تعالى : « **لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا** » وقال تعالى « **لأنذركم به ومن بلغ** » . وقد وردت أحاديث كثيرة فى نزول هذه الآية الكريمة . منها مارواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عزوجل « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى « ياصباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء إليه ورجل يبعث رسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر . يا بنى لؤى . أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟** » قالوا : نعم . قال : « **فإنى نذير لكم بين يدى عذاب**

شديد » فقال أبولهب : تبالك سائر اليوم . أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله « **تبت يدا أبي لهب وتب** » .

ويروى الأمام أحمد أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآيه : « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال : « **يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار. يامعشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار يامعشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار. يامعشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار. يافاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار. فإنى والله لا أملك لكم من الله شيئا . إلا أن لكم رحما سأبلّها ببلالها** » [٣١] .

وربما ماحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأ بدعوة بنى عبد المطلب على الطعام وابلاغهم . ثم النداء على الصفا بعد ذلك . ومايهمنا فى هذا المجال هو أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بدأ الإعلام برسالة الله عز وجل جهرا وانتقل من مرحلة الإعلام السرى إلى مرحلة الاعلام الجهرى . بطريقة فيها تسلسل منطقى، وسلامه تدل على كياسته وفطنته . واستفادته من الإعداد الذى سبق أن أعدّه الله عز وجل به قبل البعثه وفى بدايتها حيث تجسّد كل ذلك فى الطريقة التى مارس بها النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام سواء فى المرحله السرية أو بعدها فى المرحلة الجهرية .

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخبر الناس بدعوته ورسالته و يشرح لهم أهدافها . و يعلّمهم طريقها و يرشدهم و يوجههم إلى فوائدها . انطلق بكل قوته وحماسه داخل مكه وخارجها . ووسط تجمعات أهلها . فى المسجد ، وفى الأسواق . يقرأ القرآن و يدير الحوار والنقاش . و يصد الأذى عن نفسه وعن أصحابه ذلك أن أهل مكه من الكفار لم يكونوا تاركيه يفعل ذلك دون أن يتصدوا له ولأصحابه . مدافعين عن عقائدهم واصنامهم وعاداتهم وتقاليدهم . وسكرهم ومجونهم .

---

(٣١) ابن كثير، تفسير القران العظيم ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص٣٤٩ ، ٣٥٠ .

يقول ابن كثير: « استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهارا . وسرا وجهارا . لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يرده عن ذلك راد . ولا يصده عن ذلك صاد . يتبع الناس فى انديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفى المواسم . ومواقف الحج . يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى . وغنى وفقير . جميع الخلق فى ذلك عنده شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركى قريش بالأذية القوليه والفعلية . وكان من أشد الناس عليه عمه أبولهب وامرأته أم جميل .

أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الديل وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى المجاز — من أسواق الجاهليه — يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله . ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه . وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت من هذا ؟ قيل هذا أبولهب . وفى روايه أخرى عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : « **يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا** » وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب . إذا هو أبوجهل . وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم . فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال أبوجهل . والظاهر أنه أبولهب » (٣٢) .

هكذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ رسائله الإعلامية برسالة الله عز وجل فى كل مكان . فيه تجمع لقريش وغيرها . هو يوجز رسالته الإعلاميه فى كلمات مركزه واضحة عميقه المعنى . تجمع كل ما يريد ابلاغه وقوله . ودعوة الناس إليه كما أن قريش تفهمه جيدا فقد كان يعلم أنهم على درجه من الذكاء . والقدره على الفهم لهذه العباره الموجزه « **يا إيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا** » فهى رسالة اعلاميه مركزه تثير الفكر وتدعوا الى اعمال العقل . كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يدرك منذ البداية . أن هذا الجمهور سوف يتصدى له . و يقطع عليه كلامه لذا لإبد من رسالة قصيره مركزة . تجمع كل ما يريد قوله . وفى ذات الوقت لابد أن تكون واضحة ومفهومة وهى المعادلة الإعلاميه الصعبه .

---

(٣٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٤٠، ٤١ .

كيف نعطى الجمهور اكبر قدر من المعلومات فى أقل حيز من الزمان أو المكان بأوضح أسلوب وعلماء الإعلام فى العصر الحديث قد حاولوا حل هذه المعادله ويحاولون عن طريق المؤلفات المطوله فى فنون الخبر والتحرير الإعلامى بأشكاله المختلفه صحفيه كانت أو إذاعية أو غيرها .

وهنا نرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم بممارسته الإعلاميه الواعية والمستنيره . فقدم رسالته الإعلامية بما يناسب الزمان والمكان . وجمع بين التركيز والقصير والوضوح . وإثاره الفكر . فهو يعلم أنه لن يستطيع إطالة الكلام فى بداية أمره ولذا يركز ما يريد فى جمله واحده «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» . فهو يفهم جمهوره جيدا . يفهم الظروف المحيطه برسالته .

و يفهم أنه لا يستطيع الاطاله والشرح . وإلا لو فعل ذلك لقطع عليه المعاندون من الأعداء ا الحديث . ولما تفهم الناس فى السوق أو فى المسجد أو فى موسم الحج ماذا يريد هذا الرجل أن يقوله . لكنه كان يقولها جمله واحده . حفظها الكثيرون . وفهمها الكثيرون . وانفعلوا بها . وفكر بعضهم فيها فاسلم بعد ذلك .

و بذلك نرى أن النبى صلى الله عليه وسلم يرسى قواعد الاعلام وأسسه و يعلمها للناس جميعا . كيف يواجهون الجمهور كيف يفهون الجمهور . ما هى الأساليب والوسائل المناسبة لكل موقف . كيف تصاغ الرسالة الإعلامية المناسبة للجمهور وللموقف . وللزمان وللمكان .

وننتقل إلى أسلوب آخر من الأساليب الإعلامية التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم فى ابلاغ رسالته . إنه أسلوب قراءه القرآن فى المسجد لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس فى المسجد الحرام . و يقرأ القرآن . فلماذا لا يقرأه فى بيته . أو فى مكان آخر . إن المسجد الحرام هو مكان تجمع زعماء مكه فهو ناديهم . ومكان جلوسهم المفضل . وهم أعداؤه . وهو لا يشك تعرضه للأذى منهم . فلماذا يقرأ جهرا فى هذا المكان ؟

لقد كان يعلم صلى الله عليه وسلم أنهم يتذوقون الأسلوب الجميل . و يفهمون ما يحمل من معان . كان النبى يعلم أنهم وإن أظهروا العداء إلا أنهم فى حقيقه أمرهم يحبون سماع هذا الكلام . فهو جميل الأسلوب . رصين العباره .

عميق المعنى . يتسم بالإبداع الفنى فى عباراته وجمله . والتسلسل والمنطقى فى معانيه . لذا كان يجلس فى المسجد و يتلو القرآن جهرا . أو يصلى به جهرا . فضحيّا بأن يتعرض لأذى المشركين من أهل مكه وجبابرتها فى سبيل أن يسمعهم القرآن . حتى يتفكروا فيه . وقد شهد الكفار فى غير موضع واكثر من مره بأن هذا الذى يتلوه محمدا ليس من كلام البشر .

وليس هناك أدل على مدى أهمية هذا الأسلوب وفائدته مما حدث من خروج ألد أعداء محمد ذات ليلة . كل منهم يحاول أن يتسمع القرآن من محمد خلسه أو خفية من قومه . حتى لا يلومونه . أو حتى لا يكون ذلك دافعا للبعض للدخول فى دين محمد والاستجابة لدعوته .

« قال ابن اسحاق : إن أبا سفيان بن حرب . وأبا جهل بن هشام . والأخنس بن شريق . خرجوا ذات ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل . فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه . كل لا يعلم بمكان صاحبه . فباتوا يستمعون له . حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . جمعهم الطريق . فتلاوموا . وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا . فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا . ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانيه . عاد كل رجل منهم إلى مجلسه . فباتوا يستمعون له . حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق . فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة . ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثه . أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق . فقال بعضهم لبعض . لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك . ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذه عصاه . ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبه والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها . وسمعت أشياء ما عرفت معناها . ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا والذى حلفت به .

ثم خرج الأخنس من عند أبى سفيان حتى أتى أبى جهل . فدخل عليه بيته . فقال : يا أبا الحكم . ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت . تنازعنا

نحن وبنو عبدمناف الشرف . أطعموا فأطعمنا . وحملوا فحملنا . وأعطوا فأعطينا . حتى إذا تحاذينا على الركب . وكنا كفرس رهان . قالوا : منا نبىّ يأتيه الوحى من السماء . فمتى ندرك مثل هذه . والله لانؤمن به أبدا ولانصدقه . فقام عنه الأخنس وتركه » (٣٣) .

فلولا انشغال فكر أمثال هؤلاء بما سمعوه من محمد من قرآن أثناء قراءته فى المسجد نهارا . فما الذى يدفعهم للسهر والتخفى للاستماع . ثم التفكير فيما سمعوا وسؤال بعضهم بعضا عن ماسمعوه . وعن معناه . ورأيهم فيه . وهذا يدل على مدى نجاح هذا الاسلوب الاعلامى النبوى العظيم . فإذا كان هذا حدث من هؤلاء الجبابره المعاندين لمحمد ورسالته . فماذا عن غيرهم .

وكان من الأساليب الإعلامية التى ما رسها النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الفتره . ما كان يلقاه من الأذى ورده على من يؤذونه لا بالسب والشتم . أو القتال . أو بمثل أساليبهم السلبية . وإنما كان يرد عليهم بأساليب مختلفه تماما حيث كان يرد عليهم بدعوته ورسالته . فهو بذلك يقابل السيئه بالحسنه . لأن الله أعده بالخلق الحسن . وهذا يفيد فى امتصاص غضبهم من ناحيه . و يفيد فى جذب الأنتباه إلى مثل هذا الأسلوب الذى يردبه محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى يستطيع الرد عليهم بأساليب السباب والقتال . لأنه من أبناء سادتهم ولأنه يضمن حمايه أهله وعشيرته له . وعدم تفريطهم فيه . كما ذكرنا من قبل ومع ذلك يرد بالحكمه والموعظه الحسنه . و بذلك يضمن تعاطف البعض . واعجاب البعض به و برسالته . فإن لم يستحيبوا على المدى القصير . تأثروا واستجابوا على المدى الطويل . وسنضرب أمثله لذلك .

« روى البيهقى عن يحيى بن عروه عن أبيه قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيما كانت تظهر من عداوته ؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما فى الحجر. فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط . سفه أحلامنا وشتم آباءنا . وعاب ديننا . وفرّق جماعتنا . وسب

---

(٣٣) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

آلهتنا وصرنا منه على أمر عظيم قال فبينا هم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله علي وسلم . فأقبل يمشى حتى استلم الركن . ثم مرّ بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول . فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مر بهم الثانيه غمزوه بمثلها فعرفتها فى وجهه . فر بهم الثالثه فغمزوه بمثلها . فقال « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذى نفس بيده لقد جئتكم بالذبح » . فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طير واقع . حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه . حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشدا فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم . فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم . وما بلغكم عنه . حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوثبوا إليه . وثبة رجل واحد . فأحاطوا به . يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم أنا الذى أقول ذلك » ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه . وقام أبوبكر ينكى دونه و يقول : و يلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط »(٣٤) .

وهنا نجد أنهم يستعملون أساليب الغمز وهو الكلام المعيب مره . و يستعملون محاولة الأذى الجسدى مره أخرى ، وفى الأولى يرد النبى صلى الله عليه وسلم برسالة موجزه مخيفه . يجعلهم يصمتون فجأه . ثم يحاولون تهدأته بكلام لين و يصفونه بأنه صاحب خلق حسن . وفى المره الثانيه . يقوم أبوبكر بهذا الدور حيث يقول لهم : أتقتلون رجلا أم يقول ربى الله ؟

وفارق بين الأسلوبين كبير . فالنبى صلى الله عليه وسلم يقوم بالاعلام للدعوه وعنها حتى أثناء إيذائه . يقوم باعلامهم وتخويفهم وانذارهم وتحذيرهم علهم يرجعون . و يفيقون من غفلتهم . ونرى مدى تأثير ذلك الأسلوب عليهم حيث أخذت القوم كلمته فجأه فجعلتهم وكأنما على رؤسهم الطير . لشده وقع كلمته عليهم . ولورد عليهم بالغمز أوالسباب لأصبحت معركه . وتطور الأمر الى حد

---

(٣٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٤٦ .

القتال بين القبائل . ولكنه صلى الله عليه وسلم يخيفهم و يُعْلمهم فى آن واحد «أتسمعون يا معشر قريش» وعندما يلتفتون يقسم لهم «أما والذى نفس بيده» وبعد أن يشدهم القسم إلى الاستماع وهم لا يشكون فى مدى صدقه «لقد جئتكم بالذبح» . وكانت هذه الكلمات السريعه المتلاحقة أقوى من السيوف على رقابهم . لقد أسكنتهم وأخافتهم . حتى هدأوه باحسن ما يجدوا من القول . ثم تلاوموا . وعادوا لا يذائه أو محاوله ايذائه فى اليوم التالى . ولما حاولوا ذلك كان الدور الاعلامى لأبى بكر فلم يقم دونه مقاتلا . ولا سابًا ولم يرد بمثل اسلوبهم . وانما بمثل اسلوب النبى صلى الله عليه وسلم . حيث يقول لهم «اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله» ولم يجدوا عندهم ردا عليه ولا على أبى بكر . فيتركونه وشأنه وهم الأكثر عددا وقوه . وهم المليئه قلوبهم بالغيظ والحقد والكمد منه صلى الله عليه وسلم ومن رسالته وعليها .

والأمثله فى ذلك كثيره . فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يلقى الأذى . ولا يرد بأذى مثله . وانما كان يرد بآيات القرآن الكريم . فقد حدث هذا حينما رد القرآن بآياته على أبى جهل لما تهكم بشجره الزقوم . وعلى أبى بن خلف لما فتت العظام فى يديه وقال : «يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم ؟ ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله : نعم أنا أقول ذلك . يبعث الله وإياك بعدما تكونان هكذا . ثم يدخلك الله النار . و ينزل قول الله عز وجل رادا عليه . ومعلنا لهم جميعا الحقيقه التى لامراء فيها « **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مره وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون** »[٣٥] وهكذا رد عليه القرآن كما رد على غيره من الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وكان من أساليب النبى صلى الله عليه وسلم الاعلاميه لنشر دعوته أنه كان يقوم بمواساة أصحابه الذين كانوا يلقون الأذى والتعذيب فى مكه . فمع كونه صلى الله عليه وسلم يلقى الأذى و يتصدى له . إلا أنه كان يقوم ﷺ الطمأنينة فى

(٣٥) ابن هشام ، السيره النبوية ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٤٨ .

نفوس أصحابه . وكان لذلك الأسلوب أهميه كبرى لدى أصحابه . حيث يرون فيه الحماية والمنعة ، و يلمسون منه الرحمة والرأفه عليهم . والرقه لحالهم مما يجعلهم يستنز يدون صلابة فى الدفاع عن الاسلام ونشره . وبث رسالته الى كل الناس . ويمسح جراحهم حيث يرفع روحهم المعنوية . فمن كان يسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم و يدعو له كان يرى فى ذلك خيرعميم وفضل كبير . ورحمة ما بعدها رحمة .

كما كان لهذا الأسلوب أهمية أخرى أيضا أمام أعداء الاسلام . فقد كان هذا الأسلوب يعرض صورة المسلمين — النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه — فى صوره متماسكه . وحالة نفسية مرتفعة . فهم لايبالون بمايلقون من الأذى والتعذيب . وهم يمسح جراح بعضهم البعض . و يواسى بعضهم بعضا . و يقف كل منهم الى جوار الآخر . مؤزرا ومساندا . و يؤدى هذا إلى يأس الكفار أيضا من ابطال دعوه الإسلام ورسالته . فها هومحمد رغم الأذى صامدا مدافعا بل و يواس أصحابه . وهاهم اصحابه يتحملون فى صبر وصمت . و يرون فى مواساته لهم مايمسح جراحهم . و يدفعهم الى الاستمرار .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمارس هذا الأسلوب مع أصحابه بطرق مختلفه . فتراه يرق لحال البعض . و يمسح رأس البعض . و يدعو للبعض و يشتد فى الكلام على البعض منهم . فكل منهم له أسلوب فى المواساه و بث الطمأنينة فى نفسيته ورفع روحه المعنويه وسنضرب أمثله لذلك أيضا .

« قال ابن اسحاق : كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بأبيه وأمه — وكانوا أهل بيت اسلام — إذا حميت الظهيره يعذبونهم برمضاء مكه . فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول « **صبر آل ياسر فإن موعدكم الجنه** » (٣٦)

وفى روايه أنه صلى الله عليه وسلم كان يمر بال ياسر . وهم يعذبون فى الشمس الحارقة ليرتدوا عن الاسلام . فيقول له ياسر : يارسول الله . الدهر هكذا . فيقول : « **صبر آل ياسر . اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت** » (٣٧) .

---

(٣٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٥٨ .

(٣٧) محمد يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة ، الجزء الأول (مجهول البلد والناشر ، ١٣٧٨ هـ) ص ٢١٠ .

وذكر بن كثير فى تفسير قول الله عز وجل «**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**» عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم . فوافقهم على ذلك مكرها . وجاء معتذرا إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله هذه الآيه .

وفى روايه عن أبى عبيده محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر . فعذبوه حتى قاربهم فى بعض ما أرادوا . فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم «**كيف تجد قلبك**» قال : مطمئنا بالإيمان . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «**إن عادوا فعد**»(٣٨) .

وهكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم فى مواساته لأصحابه الذين يلاقون التعذيب والأذى . يستعمل أسلوبا إعلاميا فريدا . وقد ذكرنا من قبل رقته لحال أبى بكر رضى الله عنه يوم أن جهر بالدعوه فى المسجد الحرام وسط جموع الكفار وآذوه أذا بالغا . رقّ النبى صلى الله عليه وسلم لحاله رقه شديده .

وكان هذا الأسلوب فى حد ذاته بليغا . فى ابلاغ الرسالة . فهو اعلان للكفار أن جهد الاعلام بالدعوة مستمر من جانب محمد صلى الله عليه وسلم . وجانب أصحابه مهما بلغ التعذيب . والأذى ، حتى ولوا استشهد بعضهم كما حدث لسميه زوجة ياسر والتى كانت أول شهده فى الاسلام . حتى ولو استشهد ياسر بصوره بشعه حيث ربط أعداء الله رجلاه فى حبلين . وربطوا كل حبل فى بعير وسيقا فى إتجاهين متضادين فشق نصفين . حتى لو خلع ذراع سلمه الطفل . وحبست أم سلمه فلم تهاجر مع زوجها . حتى ولو حدث ما حدث مع بلال وخباب وأبى ذر ومصعب بن عمير . فقد لاقوا جميعا الأذى سادة وعبيدا . ولاقاه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه . وهو قائم يرد السيئه بالحسنه . و يواسى أصحابه و يعلمهم . بل ويمارس الاعلام بالرسالة للكفار ذاتهم . و ينضم من يؤمن منهم الى صفوف المسلمين كما حدث لعمر بن الخطاب وغيره .

وكان من أمثله هذا الأسلوب الاعلامى الذى مارسه النبى صلى الله عليه وسلم فى تخفيف الأذى عن أصحابه ومواساتهم . ورفع روحهم المعنويه أنه كان

(٣٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الثانى، ص٥٨٧ .

يعضد بعضهم بذكر أمثله المعذبين من المؤمنين فى الأمم السابقه و بيان أن مايلاقونه هم أقل من غيرهم . فهو بحكمته وأسلوبه ، يرق و يواسى أحيانا . و يشتد أحيانا . فى كلتا الحالتين يرفع الروح المعنو يه لأصحابه . و يفتّ فى عضد اعدائه و يدفعهم الى اليأس من عداوة هذه الرساله .

« روى البخارى عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد ببردة فى ظل الكعبة . وقد لقينا من المشركين شده . فقلت ألا تدعو الله ؟ فعقد وهو محمر وجهه فقال : « **قد كان من كان قبلكم يمشط بأقشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب مايصرفه ذلك عن دينه . و يوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين مايصرفه ذلك عن دينه . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت مايخاف إلا الله عز وجل أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون** » (٣٩) .

فالنبى صلى الله عليه وسلم وإن كان يشتد على أحد أصحابه لشكواه وطلب الدعاء لعلمه بنفسيه خباب . ثم يذكره بما كان يحدث للمؤمنين فى الأمم السابقه وثباتهم رغم ذلك على دينهم . ثم يطمئنهم و يطمئن الأمه كلها فى النهايه الى أن هذا الأمر سيتمه الله عز وجل لا محاله . حتى تصير جميع البلاد أمنا . ولا تكون هناك فتن ولا يكون أذى . ولكنكم تستعجلون .

كان من الأساليب الإعلامية التى مارسها النبى صلى الله عليه وسلم أيضا . أسلوب محاوره الكفار والمشركين . والرد على أسئلتهم واجابة كل منهم بما يقنعه مز أسلوب . فبعضهم يرد عليه بالقرآن . و بعضهم يرد عليه باجابات مختصره . و بعضهم يرد عليه بالحجج والمنطق . و يضيّق عليه الخناق حتى يقتنع كما فعل مع الحصين بن عمران . وهكذا كان رده وجواره مع المشركين أسلوبا اعلاميا فريدا ومتميزا . يدل على مدى فهمه لرسالته وجمهوره . وكيفيه صياغته للرساله فى الأسلوب المناسب للمتحدث إليه ومن ثم كان إحداث التأثير . و بعضهم تأثر ثم تمادى فى عناده كما حدث لعتبه بن ربيعه . و بعضهم تأثر واستجاب فآمن كما حدث مع عمران بن الحصين .

---

(٣٩) عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ، مرجع ، الجزء الثانى ، ص ٢٨١ .

وقد مارس النبى صلى الله عليه وسلم هذا الاسلوب مع بعض الأفراد فرادى ومع اكثر من فرد ومع جماعة من الكفار. كل موقف حسب ما يقتضى وكل حالة من تلك الحالات . لها عند النبى صلى الله عليه وسلم ما يناسبها من الأسلوب . وما يلائمها من الوسيلة . وهو فى كل الحالات . حسن الخلق . حلو الحديث . بديع المنطق . جميل اللفظ . يصغى إلى محدثه باهتمام بالغ . ولو كان كلامه غير مفيد . وهو يعلم ذلك . ومع ذلك يستمر مصغيا إليه فى اهتمام بالغ . . ليشعره بأن له أهميه ما . وأنه لا يحقّر من شأنه ولا من شأن كلامه ، حتى إذا فرغ تحدث إليه . فاختار ما يناسبه من حديث . واجبره بأدبه وحسن خلقه على الإنصات . لأنه أنصت أولا . وهو بذلك يعلمنا صلى الله عليه وسلم فنون الأحاديث والحوار الإعلاميه . و يرسم أسسها . و يرسى دعائمها لرجال الاعلام فى كل زمان وكل مكان . حتى يستفيد الناس . و يتعلموا طريقه إداره الحوار الإعلامى . وطرق الإقناع والتأثير. والدفع الى الاستجابه بالحجه والمنطق العقلانى . الذى لا يندم عليه من تأثر به . بل هو نفسه يصبح مدافعا . لأنه استجاب بعقله لا بعاطفته . ولا تحت تأثير القوه ولا الإثاره . لأن هذه المؤثرات وقتية فى حد ذاتها . ينتهى مفعولها بانتهائها و يعود صاحبها الى ما كان عليه . ولم نسمع قط عن مسلم دخل الإسلام بعد مثل هذا الحوار العقلانى المقنع ثم تراجع عن الإسلام أو ندم على الدخول فيه .

ولو كانت القضية . قضية كلمه تقال . أو تأثر وقتى لما ظل النبى صلى الله عليه وسلم ينشر إعلامه ليقنع المجتمع المكى بكلمه واحدة هى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » طوال الثلاثة عشر عاما فى مكة . وانما هى قضيه اقناع . ولم يكن مهما عدد المستجيبين . ولا عدد المؤمنين . وإنما المهم هو الثبات على الإيمان بعد الاقتناع الصادق . فهى قضية كيفية . وليست قضية كميه .

وسنضرب أمثله لممارسة النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الأسلوب الإعلامى المتميز. لنرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اعلاميا قديرا . ولنرى ونستفيد من طريقته صلى الله عليه وسلم فى إداره فنون الحوار الإعلامى المختلفه .

« روى ابن اسحاق أن عتبه بن ربيعة — كان سيدا — قال يوما وهو جالس فى نادى قريش — ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده —

يا معشر قريش : ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا . لعله يقبل بعضها . فنعطيه أيها شاء . و يكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزه . ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون و يكثرون . فقالوا بلى يا أبا الوليد . قم إليه فكلمه . فقام إليه عتبه حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال يا ابن أخى . إنك منا حيث قد علمت من السطة — الشرف — فى العشيرة . والمكان فى النسب . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم . فرقت به جماعتهم . وسفهت به أحلامهم . وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم . فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . قل يا أبا الوليد أسمع قال : يابن أخى . إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا . وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا . وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه . لا تستطيع رده عن نفسك . طلبنا لك الطب . و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه . حتى إذا فرغ عتبه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه . قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فاسمع منى الآن . قال عتبه : أفعل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « **بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيلٌ من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرًا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنَّة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقرٌ ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ...** » ثم مضى رسول صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبه أنصت لها . وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه . ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد . ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . (وفى روايه أن عتبه لما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل « **فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** » أمسك عتبه بفمه وناشده الرحم أن يكف . وقال له حسبك ما عندك غير هذا . قال لا فرجع الى قريش) .

رجع عتبه إلى أصحابه . فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم . قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد

قال : ورائى قد سمعت قوله . والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش : أطيعونى واجعلوهابى . وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم . وإن يظهر على العرب فملكه ملككم . وعزه عزكم . وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك يا أبا الوليد بلسانه قال : هذا رأيى فيه . فإصنعوا ما بدالكم » (٤٠) .

وفى روايه أخرى « عن جابر بن عبدالله . أن قريشا اجتمعت يوما فقالوا : انظروا أعملكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا . فليكلمه . ولينظر ماذا يرد عليه ؟ . فقالوا ما نعلم أحد غير عتبه بن ربيعه . فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه عتبه » (٤١) .

وقد اختارت قريش مبعوثها لمحاوره محمد صلى الله عليه وسلم . أختاروا أعلمهم بالسحر ، والكهانة ، والشعر . لعلمهم بمنطق محمد صلى الله عليه وسلم . وحديثه وقوة حجته وقدرته على الاقناع . لذا لم يرسلوا إليه أىّ مبعوث . وإنما تخيّروا مبعوثهم . ليكون قادرا على تفهم رد محمد . وليكون قادرا على الرد عليه . ومجادلته واقناعه . وذلك لّما أسلم حمزه وكثر أتباعه .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم أقدر فى فهم محدّثه . فهو يعلم مدى علمه بالكلام وفنونه . من شعر إلى سحر الى كهانة إلى غيرها . كما كان يعلم أنه يستطيع أن يتفهم معانى القرآن العظيم ، وما فيه من عظات وعبر . وتحذير وتخويف وانذار .

بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بطبيعته وخلقه الذى أعده الله عز وجل به يسمع من عتبه بن ربيعه . ولم يصده . ولم يعرض عنه لأنه كافر أو مشرك . هذا من حكمه النبى صلى الله عليه وسلم حتى لا يخسر القضيه من بدايتها . ومن ذلك يجب أن يتعلم رجال الإعلام الاسلامى فى المؤسسات الإعلاميه . وفى المساجد . وكل من أخذ على عاتقه أن يتحدث باسم الاسلام أن يسمع من جميع الناس . فمها

---

(٤٠) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٤١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٦٢ .

كان المتحدث فلن يكون أكثر كفرا من عتبه بن ربيعه . فلا نرفض الاستماع للبعض بحجه أنهم يخالفون بعض قواعد الاسلام مثلا . أولاتها مهم بكذا أو كذا . فهذا هو النبى صلى الله عليه وسلم يُعلّم . و يسمع من عتبه وهو يعلم أنه كافر و يظل يسمعه وهو يعرض عليه الباطل . فلا يثور ، ولا يحتد . ولا يقطع كلامه . ولا يرده ردا غير جميل ولا يكشّر فى وجهه . وانما يسمع إلى النهايه ، ثم يقوله له فى أدب ربانى عال : أقد فرغت يا أبا الوليد . مكنيًا إياه بالكنية التى يحبها . فيقول عتبه نعم . فيقول له النبى : فاسمع منى . فيقول عتبه : أفعل .

هكذا يكون فن الحوار الإعلامى . بكل أشكاله وفنونه . فمن الأشياء المعيبه على الاعلاميين مثلا فى العصر الحديث . أن الاعلامى فى إجرائه للحوار يتحدث اكثر من المتحدث نفسه . أو يظهر علمه وثقافته . و يتعالى عليه أونحو ذلك . مما يؤذى شعور المتحدث . بل قد يصل الأمر من بعض الاعلاميين أنهم يسألون ويجيبون . والمتحدث يكتفى بالتأمين على كلامهم . وكأنه جاءه ليأخذ منه الموافقه على مثل هذا الحديث .

و يبدأ النبى صلى الله عليه وسلم فى الرد على عتبه . لا بكلامه ، ولكن بكلام الله عز وجل . و يتخير له سورة من القرآن . تهتز لها الأفئده والعقول . وتنخلع لها القلوب فيقرأ عليه سورة فصلت . و يقول البعض أن عتبه لم يستطيع سماع السوره حتى نهايتها . وخاف من الصاعقة . ورجع مخلوع القلب إلى قومه . محذرا ومنذرا ، وقائلا . اطيعونى هذا اليوم واعصونى فيما بعده . وماتركت شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته .. خلوا بين هذا الرجل وماهو فيه . فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم . وان يظهر على العرب فعزه عزلكم . وملكه ملك لكم . وكنتم أسعد الناس به .. قالوا سحرك يا أبا الوليد .

كان **هذا تأثير القرآن** . و بالتحديد تأثير سوره فصلت على عتبه . وكان دور النبى صلى الله عليه وسلم الإعلامى القدير . هو تخير الرد . وتخير القرآن بالذات فى الرد على عتبه . وتخير سوره فصلت بالتحديد .. ثم فى نهاية قراءتها يقول النبى صلى الله عليه وسلم لعتبه . قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

وبهذا يترك النبى صلى الله عليه وسلم لعتبه بعد أن أسمعه القرآن . ورأى تأثيره عليه وهو جالس . حيث ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها . يترك له

حرية الرأى والاختيار. فهو يعلم صلابة رأى عتبه. واعتزازه برأيه و بشخصيته. فلا يملى عليه رأيا حتى لا يتكون لديه رأيا مضادا. وحتى لا يصم أذنيه ولا يغلق عقله عن التفكير فيقول له «أنت وذاك» لك حرية الأختيار. و يؤثر هذا فى عتبه. فيرجع الى أصحابه معلنا رأيه. ويحاولا اقناعهم. على الأقل باعتزال محمد وانتظار نتيجه أمره. فإن اصابته العرب فقد كفيتموه. وإن ظهر فعزه عزلكم وملكه ملك لكم.

وبهذا أيضا يعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم مبدءاً إعلاميا هاما. سبق به اساتذه العصر الحديث. وهو فصل الرأى الخاص عن الرسالة الإعلامية. حتى لا يتأثر المستقبل تأثرا قد يكون ضارا. وحتى لا يمُلى عليه رأى غيره. فكل انسان يحب أن يكون قد تأثر نتيجه تفكيره ورأيه. و يكفى الإعلامى هنا ابلاغ الرسالة الإعلامية.

ويحاول أساتذه الاعلام المناداة بهذا. فيذكرون أنه لابد من الفصل بين الرأى والخبر على سبيل المثال وكذلك فى سائر فنون التحرير الإعلامى المختلفه والمتنوعه.

«ففى تحرير الأخبار يجب الحرص على الدقة وعدم إعطاء الأخبار لونا معينا. وكذلك عدم إبداء الرأى الشخصى فى صلب الخبر. فللرأى مكانه فى الجريده أو المجله. فالصحف المحترمة لاتحور الحقائق بما يتمشى مع أهدافها. ولكنها تبرز الأخبار لتأكيد سياستها. أما تحوير الخبر فهو خروج على مبدأ الصحافة» (٤٢).

ومن أمثله ماحدث مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال. ماحدث حينما جاءه الحصين بن عمران. وكان شيخا عظيما فى العرب. وجاء لمحاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الحوار يعرض لنا قدرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم الإعلامية. وقدرته على الاقناع وقدرته على السيطره على الموقف، وادارة الحديث بما يؤدى إلى الاستجابه عن اقتناع «جاءت قريش إلى الحصين — وكانت تعظمه — فقالوا له: تكلم لنا هذا الرجل. فإنه يذكر آلهتنا و يسبّهم. فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى صلى الله عليه وسلم. فقالو: آوسعوا للشيخ. وعمران وأصحابه متوافرون.

(٤٢) عبدالعزيز شرف، فن التحرير الإعلامى (القاهره، الهيئه المصريه العامه للكتاب، ١٩٨٠) ص ٢٤٢.

فقال حصين للنبى صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذى بلغنا عنك . انك تشتم آلهتنا وتذكرهم . وقد كان أبوك حصينه([٤٣]) وخيرا ؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياحصين : كم تعبد من إله ؟

قال الحصين : سبعا فى الأرض و واحد فى السماء .

قال النبى : فإذا أصابك الضر من تدعو؟

قال الحصين : الذى فى السماء .

قال النبى : فإذا هلك المال من تدعو؟

قال الحصين : الذى فى السماء .

قال النبى : فيستجيب لك وحده وتشركهم معه . أرضيته فى الشكر؟ أم تخاف أن يغلب عليك ؟

قال الحصين : لا واحده من هاتين . قال : وعلمت أنى لم أكلم مثله .

قال النبى : ياحصين أسلم تسلم .

قال الحصين : إن لى قوما وعشيرة فماذا أقول ؟

قال النبى : قل : اللهم استهديك لأرشد أمرى . وزدنى علما ينفعنى .

فقالها الحصين . فلم يقم حتى أسلم فقام إليه عمران ابنه ــ وكان مسلما جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم ــ فقبل رأسه و يديه ورجليه . فلما رأى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم بكى وقال : « بكيت من صنيع عمران . دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران . ولم يلتفت ناحيته . فلما أسلم قضى حقه . فدخلنى من ذلك الرقه . فلما أراد حصين أن يخرج قال النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(٤٣) الحصينه : كما يذكر صاحب لسان العرب فى ص ٩٠٢ أنها الدورع الأمينه . ولعل المقصود أن أباه كان قويا وأمينا .

لأصحابه : قوموا فشيعوه إلى منزله . فلما خرج من سدة الباب . رأته قريش . فقالوا : صبأ وتفرقوا عنه »(٤٤) .

وتقدم هذه القصه . نموذجا آخر من حوار النبى صلى الله عليه وسلم بعض شيوخ العرب الموقرين لديها . كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أن الحصين رجلا عقلانيا . يفكر بعقله ، لا بعاطفته . ولا هو حاقد ولا معاند . لذلك استخدم معه أسلوب الاقناع والمنطق ، وليصل الى الهدف من أقرب الطرق المقنعه ولما سأله الحصين ماذا يقول لقريش : لم يلقنه حجه ولا كلاما . بل لقنه دعوات مباركه . تشبت قلبه وفؤاده . وليعلم أن الأمر من الله لا من محمد ولا من غيره . وثبت الحصين على اسلامه وصار من كبار الصحابه . وهكذا نرى أن لكل جمهور رسالته التى تناسبه . وطريقه تصاغ بها تلك الرسالة لتصل الى الهدف من أقرب الطرق . دون حشو أو تطويل . ودون غموض أو اختصار مخل بالرساله الإعلاميه ذاتها .

ولنقدم مثالا فى مجال ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الأسلوب الاعلامى المتميز والفريد . لنقدم مثالا من محاورته مع مجموعة من الأعداء من مشركى قريش . بعد أن قدمنا مثالين للحوار مع الأفراد عتبه بن ربيعه والحصين بن عمران . وكيف تأثر الأول إلى درجه أن طلب من قومه اعتزال محمد وما هو فيه ورغم ذلك لم يستجب ولم يدخل الاسلام . لأن الله لم يكتب له الهديه . والثانى تأثر ودخل الاسلام بعد حوار منطقى مقنع وقصير ومركز .

بعد أن رأت قريش أن الحوار الفردى مع محمد غير مقنع . اتفقوا على أن يلتقوا به فى صوره جماعية . هم مجموعة من القرشيين الأفذاذ فى اللغه والشعر والسحر والكهانه . وهو وحده يرد عليهم وعلى أسئلتهم . ويحاورهم إما أن يقنعهم وأما أن يقنعوه . ولننظر أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم فى محاوره هؤلاء المكيين المعاندين . وكيف أنه صلى الله عليه وسلم ضرب المثل الأعلى كرجل اعلام قدير برسالة الله عز وجل . فهم وإن كانوا أهل الشعر واللغه ونحوها إلا أنه صلى الله عليه وسلم قد أعدّه الله عز وجل منذ ولادته لحمل أعباء الإعلام بخير رسالة إلى البشر به .

---

(٤٤) سعيد حوى ، الرسول ، الطبعه الرابعه (مجهول البلد والناشر ، ١٩٧٧) ص ١١٥ . نقلا عن الاصابه ج ١ ص ٣٣٧ .

« اجتمع عتبه بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعه بن الأسود ، والوليد ابن المغيره ، أبوجهل بن هشام ، عبدالله بن ابى ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأميه بن خلف . اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة . ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد وكلموه . وخاصموه حتى تعذروا فيه . فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد أجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم . فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا . وهو يظن أن قد بدالهم فيما كلمهم فيه بداء . وكان عليهم حريصا . يحب رشدهم . و يعز عليه عنتهم . حتى جلس إليهم . فقالوا له : يامحمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك . وإنا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ماأدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء . وعبت الدين . وشتمت الآلهة . وسفهت الأحلام . وفرقت الجماعة . فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك . فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا . وإن كنت تريدبه ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه غلبك ــ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ــ فربما كان ذلك . بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : مابى ماتقولون . ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم . ولاالشرف فيكم . ولاالملك عليكم . ولكن الله بعثنى إليكم رسولا . وأنزل علىّ كتابا . وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا . فبلّغتكم رسالات ربى ونصحت لكم . فإن تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخره ، وإن تردّوه علىّ أصبر لأمر الله . حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : يامحمد فإن كنت غيرقابل مناشيئاً مماعرضناه عليك . فإنك قدعلمت أنه ليس من الناس أحدا أضيق بلدا . ولاأقل ماءً . ولاأشد عيشا منا فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به . فليسيرعنا هذه الجبال التى قد ضيّقت علينا . وليبسط لنا بلادنا . وليفجر لنا أنهاركأنهار الشام والعراق . وليبعث لنا من مضى من آبائنا . وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصىّ بن كلاب . فإنه كان شيخ صدق .

فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل . فإن صدقوك وصنعت لنا ماسألناك صدقناك . وعرفنا به منزلتك من الله .. وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بعثت اليكم من الله . إنما جئتكم من الله بما بعثنى به . وقد بلّغتكم ما أرسلت به إليكم . فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدينا والآخره . وإن تردّوه على أصبر لأمر الله تعالى . حتى يحكم الله بينى و بينكم .

وقالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا . فخذ لنفسك . سل ربك أن بأن يبعث معك ملكا يصدّقك بما تقول . و يراجعنا عنك . وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضه يغنيك بها عما نراك تبتغى . فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم. وتلتمس المعاش كما نلتمسه . حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل . وما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا . ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا . فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخره . وإن تردّوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم .

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا . كما زعمت أن ربك إن شاء فعل . فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله . إن شاء الله أن يفعله بكم فعل .

قالوا : يا محمد . أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه . ونطلب منك ما نطلب . فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به . ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا . فقد اعذرنا إليك يا محمد . وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكه وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا آسفا لما كان يطمع به من قومه حين دعوه . ولما رأى من مباعدتهم إياه » (٤٥) .

هكذا كان الحوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا العدد من المشركين . وجاءهم وكله أمل فى اسلامهم . ولما لم يجد ذلك منهم . لم يعتذر عن محاورتهم . بل بدأ يسمع بآذان صاغيه وعقليه واعيه . فنفى أعذارهم التى التمسوها له . و بيّن دعوته . ثم بيّن أنهم مخيّرون فى قبولها أو عدم قبولها .

ولما رأى المشركون ذلك أرادوا أن يدخلوه فى متاهات الحوار حتى لا يستطيع الرد . فطلبوا المطالب التى تدل على عدم اتجاههم للتصديق . بدليل طلب من مضى من الآباء لسؤالهم . و يتخلص النبى من هذه المتاهات ولايخوض فيها من بعيد ولا قريب . معلّما رجال الاعلام أنه من الكياسه والفطنة ألا يقحم الإعلامى نفسه فى مثل هذه المتاهات التى تبعده عن هدفه الرئيسى ولكنه يعود بهم الى الهدف الأساس . مبينا دعوته .

ويحاولون ذلك مره أخرى . أن يبعدوه عن الهدف الأساسى . لكن لنفسه هو هذه المره . علّه ينسى هدفه أمام حاجاته الشخصيه التى ذكروها له ، محاولين شراء ذمته . ولكنه يعود إلى الهدف الرئيسى . وهى دعوتهم الى رسالته .

وهكذا وفى كل مر يرد النبى صلى الله عليه وسلم مكررا كلمات تكاد تكون موحده فى نهاية ردّه مستخدما أسلوب التكرار . فربما أهملوا إعمال الفكر مره . فلا يفوتهم ذلك فى المره الثانيه . وهو اسلوب الاعلامى القدير . حيث يكرر لهم قوله بعد الرد على كل سؤال : « ما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا . فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخره . وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى و بينكم » .

---

(٤٥) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٩٤ — ٢٩٦ .

هكذا مارس النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام فى مكه سرا وجهرا . وما تحدثنا عنه . إنما هى نماذج ومجرد أمثلة تبين أن النبى صلى الله عليه وسلم رجل إعلام قدير . سبق وتفوق على كل رجال الإعلام . فيجب أن نستمد منه طرق واساليب ممارسة الاعلام . ليكون إعلامنا بالفعل إسلاميا . مفيدا فى الدنيا لإصلاح حال البشر . وفى الآخره لرضى الله عز وجل .

* * *

الرسول يمارس الإعلام خارج مكة

ــ أساليب النبي فى ممارسة الإعلام بنفسه خارج مكة فى العهد المكى .

أولا : استقبال وفد النصارى بمكة .

ثانيا : ذهاب النبى إلى الطائف .

ثالثا : الرسول يعرض نفسه على القبائل فى الأسوق ومواسم الحج .

رابعا : الرسول يقابل وفد الأنصار و يبايعهم .

خامسا : أحداث الهجرة النبوية إعلام عن الدعوة .

ـ أساليب النبى فى ممارسة الإعلام بنفسه خارج مكه فى العهد المكى:

لم يقتصر الجهد الإعلامى الذى بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى. على داخل مكه ذاتها. وإنما انطلق إلى خارج مكة. فى القبائل المجاوره لها. وفى أماكن متفرقه. ومتعدده. وقد ذكرنا من قبل أن البنى صلى الله عليه وسلم قد أوفد بعض من دخلوا الإسلام فى المرحلة السر ية. أو فى السنوات الثلاث الأولى من البعثه الى قبائلهم للقيام بالجهد الاعلامى من أجل الدعوه. مثل أبى ذر الغفارى. والطفيل بن عمرو الدوسى. وعمرو بن عبسة السلمى. وعمرو بن مُرة الجهنى.

غير أن الجهد الإعلامى الذى نتحدث عنه فى هذا الفصل والذى مارسه النبى صلى الله عليه وسلم خارج مكه فى العهد المكى. نقصد به جهده العملى والشخصى صلى الله عليه وسلم بصوره علنية واضحه. كما سنتحدث فى الفصل القادم عن جهد الصحابة فى حمل عبء الإعلام عن الدعوة إلى الحبشه والى يثرب. وهذا الجهد من الصحابة يختلف عن جهد من حملوها فى المرحلة السر ية أمثال الطفيل بن عمرو وعمرو بن مرة، لأن هؤلاء الأخير ين قد حملوها الى اقوامهم. أما المقصود بحديثنا فى هذا الفصل فهومن حملوا الجهد الاعلامى بالرسالة. إلى أماكن أخرى بعيده وهم عرباء عنها كالحبشه و يثرب مثلا.

وقبل أن نتعرض لجهد النبى صلى الله عليه وسلم الإعلامى فى خارج مكه فى العهد المكى. والذى مارسه بنفسه. نوضح أن هذا الجهد الذى مارسه النبى صلى الله عليه وسلم منذ بداية بغثته. لنشر الاسلام وتعليمه والدعوه إليه انما هوعمل اعلامى بكل المقاييس. وأن لم يكن مصطلح الإعلام فى حد ذاته معمولا به ذلك الوقت من الزمان اذ لم تكن له صفه الشيوع والانتشار مثل لفظ الدعوه.

يقول الدكتور عبداللطيف حمزه «انتشرت دعوه الإسلام بالوسائل المعروفة فى ذلك الوقت ولكن كان القدماء منذ ظهور الإسلام. لا يعرفون هذا المصطلح

الحديث . مصطلح الإعلام . والاتصال بانواعه الثلاثه . الشخصي والجمعي والجماهيري . واستخدموا مكانه ، المصطلح المعروف عندهم وهو مصطلح الدعوه . والدعوة الى شيء هي الترغيب في هذا الشيء . ونحن لانسيىء إلى الدين إذا قلنا إن العمل الذي قام به الرسول صلى اله عليه وسلم من أجل هذا الدين هودعاية طيبة . مادامت الدعاية في ذاتها لها معنيان على الأقل : الدعاية الطيبه أو البيضاء . والدعاية الخبيثة أو السوداء ونحن نعلم علم اليقين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مسئولا أمام ربه عن عمل واحد فقط هو الإعلام أوالتبليغ . وقال تعالى « **إن عليك إلا البلاغ** »[1] وقال تعالى « **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** »[2] والخلاصة أننا مع القدماء في إطلاق اسم (الدعوة) على الجهود التي بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم . ولسنا نمتل إلى تسمية هذه الجهود النبوية بغير هذا الاسم وهو (الدعوة) بمعنى الاتصال والدعاية لهذا الدين حتى يعرفه الناس »[3] .

وربما اعترض البعض عن تسمية الجهود الإعلامية النبويه في بعض أجزائها بالدعايه . أو اطلاق اسم الدعاية بصفه عامه . على أي جهد يتعلق بنشر الإسلام . وذلك لأنهم يرون أن الإسلام أرقى من أن يُطلق عليه لفظ الدعايه . تلك التي استخدمت أسوأ استخدام في عهد هتلر وجوبلز وغيرهما . فهم يرون أن نرقى بالاسلام عن شبهات هذه الكلمه .

والحقيقة أن هذا الرأى مردود عليه بشيئين :

الأول : أن كلمه دعاية في حد ذاتها . كلمه لاغبار عليها من الناحية اللغويه حيث يرى ابن منظور أن كلمه الدعوه والدعايه متراد فان . حيث يقول « وفي كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل (أدعوك بدعاية الإسلام)أي بدعوته . وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها اهل الملل الكافره . وفي روايه ـ بداعية الإسلام ـ

(١) سوره الشورى (٤٨)

(٢) سوره البقره (٢٧٢)

(٣) عبداللطيف حمزه ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة . ودعا الرجل دعوا ودعاءً . ناداه . والاسم الدعوه ودعوت فلانا أى : صحت به واستدعيته » (٤) .

الثانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قد استخدم كلمه الدعاية بذاتها . أثناء ممارسته لجهده الإعلامى ـ الرسالة ـ وإن كان هذا الحديث فى العهد المدنى ـ الا أننا نسوقه كدليل على أنه لاغبار من استخدام كلمة الدعاية جاء فى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم : « بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام .

أسلم تسلم . يؤتك الله أجرك مرتين .

فإن توليت فإنما عليك اسم الأريسيين » (٥) .

ثم يضيف الدكتور عبد اللطيف حمزه ملخصا كل ذلك فى قوله « والذى نريد أن نخلص إليه من هذا الحديث هو أن ماقام به الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام (إعلاما) صرفا بلغه العصر الحاضر . و (دعوة) صادقة بلغة المسلمين فى العصور التى سبقتنا » (٦) .

وعلى هذا فقد مارس النبى صلى الله عليه وسلم الاعلام برسالة الله عزوجل كخير ماتكون الممارسة . فضرب لنا المثل الأعلى فى كيفيه صياغه الرسالة الاعلاميه المناسبة للجمهور وللوسيلة . وللموضوع ذاته . وللظرف الا تصالى . الذى تتم فى اطاره العمليه الاعلاميه . فلوتأملنا رسالته السابقه الى هرقل لوجدناها مثالا لكيفيه صياغه الخبر الاعلامى . من عنوان . إلى مقدمه . إلى جسم الخبر ،

---

(٤) ابن منظور ، لسان العرب مرجع سابق ، ص١٣٨٦ .

(٥) عون الشريف قاسم ، نشأه الدَولة الاسلاميه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الطبعة الثانيه (القاهره ـ بيروت : دار الكتاب المصرى . دارالكتاب اللبنانى ، ١٩٨١) ص٢٩٩ .

(٦) عبد اللطيف حمزه ، الاعلام فى صدر الاسلام ، مرجع سابق ، ص١٠٦ .

وسوف نتعرض لذلك فى حينه عند الحديث عن الممارسه التطبيقية للإعلام الاسلامى فى العهد المدنى أن شاء الله فى كتاب آخر.

وحينما نتحدث عن الجهد الإعلامى الذى بذله النبى صلى الله عليه وسلم فى مكه وخارجها . بنفسه وعن طريق ايفاد أصحابه فى المهمات الإعلامية . فإنما نستعرض ذلك لاستخلاص القيم الاعلاميه . لا لعرض السيرة النبويه كناحية تاريخيه فقط . فهذا ليس مجال تخصصنا وانما وانما لاستنباط واستخلاص الأسس الإعلاميه السليمة والقويمة للاستفاده بها ومنها لرجال الإعلام فى العصر الحديث .

مارس النبى صلى الله عليه وسلم الاعلام خارج مكة فى العهد المكى من خلال استقباله لوفد نصارى نجران وحواره معهم . ومن خلال ذهابه الى الطائف . ومن خلال عرض نفسه على القبائل فى الأسواق وفى مواسم الحج . ومن خلال بيعة العقبه ثم هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينه .

أولا : استقبال وفد النصارى بمكة :

استقبل النبى صلى الله عليه وسلم وفد النصارى حين قدموا عليه فى مكه . وقد قدموا لمعرفة حقيقته . فهم أهل كتاب . لديهم علم من علم الأولين السابقين . ويجدون فى كتبهم صفة نبى آخر الزمان ، واسمه ، وهيئته . لذا قدموا عليه يريدون التأكد من ذلك . ومطابقه ماعندهم فى كتبهم من أوصاف . على هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى .

وهذا الوفد من النصارى الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا طلاب حقيقة . ولم يكونوا غير ذلك . فقد جاءوا مناقشين لامجادلين وسائلين بصدق واخلاص . ولايحملون روح التحدى ولاالحقد ولاالغيظ من النبى صلى الله عليه وسلم ولامن رسالته .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم هذه الحقائق عن هذا الوفد . حيث يعلم أنهم أهل كتاب . وأن صفاته واسمه وهيئته ومكان بعثته ، وموجودة فى كتبهم . وأنهم طلاب حقيقه . ويريدون عباده الله عز وجل على حق . وإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أحسن استقبال وحوار كفار مكه ومشركيها . وهم المجادلون بالباطل . الذين كانوا يعلمون الحقيقة . ومع ذلك تمنعهم العصبية والحمية الجاهليه من اتباعه والايمان به . فكيف باستقباله للنصارى أهل الكتاب . الذين يسألون عن الحقيقة . ويريدون عبادة الله عز وجل على حق .

« قال ابن اسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا . أو قريب من ذلك من النصارى . حين بلغهم خبره من الحبشه فوجدوه فى المسجد . فجلسوا إليه . وكلموه . وسألوه . ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم — عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — إلى الله عز وجل . وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع . ثم أستجابوا لله . وآمنوا به وصدقوه . وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبوجهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتا دون لهم . لتأتوهم بخبر الرجل . فلم تطمئن مجالسكم عنده . حتى فارقتم دينكم . وصدقتموه بما قال : ومانعلم ركبا أحمق منكم .

فقالوالهم : سلام عليكم لانجاهلكم . لنا ما نحن عليه . ولكم ما انتمَ عليه . لم نأل أنفسنا خيرا .

و يقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران . فالله أعلم أى ذلك كان » (٧) .

ومايدل على أن هؤلاء الوفد طلاب حقيقه بالفعل . وهو استجابتهم لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورقتهم لما سمعوه من القرآن حتى أن اعينهم فاضت من الدمع . لشده التأثر . وأنهم لما آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقوا رسالته . ولم تؤثر فيهم الدعاية المضادة التى قام بها أبوجهل ومشركى قريش . فقد كانت دعايتهم مبنيه على استثارة العاطفه حيث بدأوا يذكروهم بأنهم آمنوا واستجابوا لمحمد من مجلس واحد . وماذا يقولون لأقوامهم إذا عادوا إليهم .

ولكن ينتصر الإعلام النبوى على دعاية المشركين . فالنبى صلى الله عليه وسلم قد أجاب على أسئله النصارى أولا . ثم بدأ يدعوهم و يقرأ عليهم القرآن . فلم يدعهم أولا . حتى لا تظل أسئلتهم حائره فى صدورهم . تشغل عقولهم . وتصرفها عن ما يقوله . ولكنه تركهم يسألونه أولا . وأجابهم عن أسئلتهم . ولما بدا عليهم الارتياح لاجاباته على أسئلتهم بدأ يدعوهم . و يعلمهم الاسلام . و يقرأ عليهم القرآن . فسمعوا وانصتوا . وتأثروا واستجابوا .

وهنا نجد النبى صلى الله عليه وسلم يركز على مبادىء إعلاميه هامه تتركز فى إراحة الجمهور أولا من الناحية الناحية النفسيه . وعدم القاء رسالته الإعلامية على قلب أو عقل مشغول . وأيضا تركيزه على الحجه والمنطق وقوة الاقناع . ثم مراعاته للاطار الدلالى أو الظرف الا تصالى الذى يرسل فيه رسالته الإعلاميه حتى تؤدى الى التأثير المطلوب و بالتالى الاستجابه المطلوبه .

(٧) ابن هشام السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرحانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

فقد استقامت العمليه الاعلاميه النبو يه من بدايتها الى نهايتها مع وفد النصارى . حيث لاحظ النبى صلى الله عليه وسلم وهو (المرسل) الظروف الا تصالية . وصاغ رسالته الاعلاميه بصوره تتلاءم مع الجمهور المستقبل حيث شرح لهم دعوته أولا . ثم قرأ عليهم القرآن . فكان التأثير . وتحقق الهدف المطلوب وهو اسلامهم .

ولأن الإعلام النبوى مع هذا الوفد ارتكز على كل هذه الأسس فقد انتصر على الدعاية المضاده التى قام بها كفار قريش بقياده ابى جهل بن هشام فلم يتأثروا بما سمعوا . من هؤلاء المشركين علما بأن دعايه أبى جهل المضادة . كانت بعد أن سمعوا من محمد . ومعلوم لدى الاعلاميين أن الحداثه لها دورها وأهميتها من حيث التأثير . فما يتعرض له الإنسان أخيرا يكون أكثر تأثيرا .

ولكن لأن الاعلام النبوى ارتكز على قوه الاقناع والحجة والمنطق . فلم تؤثر دعاية المشركين التى استخدمت المداخل العاطفيه التى تتسم بالإ ثاره . والتخو يف من قومهم إذا رجعوا إليهم . حيث قالوا لهم : « خيبكم الله من ركب . بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم . لتأتوهم بخبر الرجل . فلم تطمئن مجالسكم عنده . حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال . ما نعلم ركباأحمق منكم » .

وكان خير دليل على نجاح الإعلام النبوى ما قاله النصارى الذين أسلموا لأبى جهل : « **سلام عليكم لانجاهلكم لنا مانحن عليه ولكم وما أنتم عليه . لم نأل أنفسنا خيرا** » .

وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره أن فى هؤلاء القوم نزل قول الله عز وجل فى سوره القصص « **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا . و يدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغوا أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين** »(٨) .

---

(٨) ابن كثير، تفسير القران العظيم ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٩٤ .

ثانيا : ذهاب النبى الى الطائف :

أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يوسع رقعه عمله الإعلامى . إلى الأماكن المجاوره لمكه . واستقر رأيه على الخروج بنفسه الكريمة إلى الطائف . وهى من قبائل العرب العرب المجاوره لمكه . وعرة الطريق . يسكنها قوم من العرب يعتزون بآبائهم ودينهم . و يتمسكون بما هم عليه . لذا لم يرسل النبى صلى الله عليه وسلم إليهم أحدا من أصحابه . حتى لا تخسر الدعوة مكانا ربما وجدت فيه جوّا صالحا بعد ذلك . إذا لم يتحمل بعض من يرسلهم رد أهل الطائف . فخرج بنفسه . وصدقت توقعاته صلى الله عليه وسلم . فرغم حلاوة حديثه . وحسن خلقه . واتسام حديثه إلى سادة الطائف بالمنطق نجد ردهم عليه جافا غليظا . و يعود صلى الله عليه وسلم . ودون أن يفكر فى ردهم . ولكن يفكر فى دعوته واتصاله بر به دائم متواصل . صلى الله عليه وسلم .

ولأنه يعرف ساده الطائف . أبناء ثقيف وفلسفتهم وغلبتهم لذا يذهب إليهم بنفسه . ثم يتحمل منهم ما حدث .

ويحلوا لبعض المؤرخين أن يسموا ذهاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف هجره ، و يسمونها أول هجره . ويحلوا لآخر ين أن يصفوا ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف بأنه كان يبحث عن مكان مستقر لدعوته والمؤمنين بها . ليخرجوا و يستقروا فيه بدلا من مكه .

غير أن هذه الآراء مردود عليها . بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم جيدا منذ بداية الدعوه أن هجرته . ومستقر دعوته سينتقل من مكه إلى يثرب لا إلى مكان آخر . بل كان هذا مكتوبا فى كتب السابقين من اليهود والنصارى . وقد علمه وعلم صفته سلمان الفارسى الذى كان يتبع الحقيقه على أيدى الرهبان قبل البعثه . و وصف له آخر هؤلاء الرهبان النبى صلى الله عليه وسلم ومكان هجرته . ولما وصل سلمان إلى يثرب تفقد الأوصاف فتأكد أنها هى .

والأكثر دلاله على علم النبى صلى الله عليه وسلم بمكان هجرته . ومستقر دعوته ما قاله لأبى ذر الغفارى لما أسلم وأرسله إلى قومه ليدعوهم إلى الاسلام :

« إنى قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب . فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك و يأجرك فيهم »(١) .

كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم مكان هجرته . فلم يكن ذهابه إلى الطائف إذن هجرة . ولابحثا عن مستقر لدعوته . ولالأصحابه . وإنما كان إعلاما عن دعوته ورسالته . وكان توسيعا للرقعه المكانيه التى ينشر فيها إعلامه حول مكه لأنه رأى أن مكه قد أصبحت رقعه مكانية ضيقة . ولأن مكة أصبحت كلها تعلم أمر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم . لذا فكر فى الانطلاق برسائله الإعلاميه إلى الأماكن المجاورة والقريبه . وكان ذلك إلى جوار قيامه بالجهد الإعلامى فى مكه . وإرسال أصحابه ومن يدخلون الإسلام إلى الأماكن والقبائل المتفرقه . أما الطائف فقد آثر أن يذهب إليها صلى الله عليه وسلم بنفسه .

وقد كان لذهابه شخصيا إلى الطائف لنشر وبث رسالته الاعلاميه بها . بُعدٌ إعلامى آخر . وهو أن يضرب المثل لأصحابه بنفسه . فليس هو بالذى يأمرهم و يرسلهم . و يراهم يتحملون الأذى . وهو فى مكه فى منعة من أهله وقومه ــ رغم ما كان يلقاه فى مكه من أذى لكنه كان أقل من غيره من أصحابه ــ لذا أراد أن يكون قدوه لأصحابه فى الذهاب بنفسه لنشر الإسلام . والقيام بالجهد الإعلامى له بعيدا عن مكه . وليعلموا أنه يقوم بهذا الجهد مثلهم . فلا يروا غضاضه من أن يذهبوا إلى أى مكان . و يروه يتحمل الأذى . فلا يرون بأسا فى أن يتحملوا فى سبيل الإعلام بالرسالة ما يلقون . وحينما يرونه وقد لاقى الأذى وهم يحبونه ويحبون دعوته . و يفتدونه بأنفسهم عندئذ يندفعون مدافعين عنه وعن رسالته بكل حماس وقوه واقدام . وهوبهذا يدفع العمليه الإعلامية الخاصه بدعوته لتمضى قُدما . ولتستمر بكل حماس واخلاص . فهو قائم بالاعلام بنفسه فى مكه . وخارج مكه . وهو يلقى الأذى داخل مكه وخارج مكه . وهو يصبر و يقابل السيئه بالحسنه . وهو يرد الرد الجميل . وهو يناقش ويحاور . والأصحاب يكثرون . والأعداء تحط روحهم المعنوية . و يدب اليأس إلى نفوسهم . ولنذكر قصه ذهابه إلى الطائف لنرى ما فيها من قيم إعلاميه قيّمه .

---

(١) ابن كثير، البدية والنهايه، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٦ .

« قال ابن اسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف . يلتمس من ثقيف النصرة ، والمنعة بهم من قومه . ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى . فخرج إليهم وحده .

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف واشرافهم . وهم اخوة ثلاثة . عبدياليل . ومسعود ، وحبيب . بنو عمرو بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأه من قريش من بنى جمح . فجلس إليهم . فدعاهم إلى الله . وكلمهم لما جاءهم له من نصرته ، على الإسلام والقيام معه على من خالفه . من قومه .

فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبه إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا . لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم . وقد يئس من خير ثقيف . وقال لهم : « إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا على » . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم — يحرش بينهم — ذلك عليه . فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم . يسبونه و يصيحون به . حتى اجتمع عليه الناس . وألجأوه إلى حائط — بستان — لعتبه بن ربيعة وشيبه بن ربيعه وهما فيه . ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد الى ظل حبله من عنب » فجلس فيه . وابنا ربيعة ينظران إليه . و يريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمرأة التى من بنى جمح فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك .

فلما اطمأن النبى صلى الله عليه وسلم — فى ظل البستان بعد رجوع السفهاء — قال « اللهم إليك اشكوا ضعف قوتى . وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى .

أم إلى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع لى . اعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدينا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك . أو تحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى . لا حول ولا قوه إلا بك » .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ومالقى . تحركت له رحمها . فدعوا غلاما لهما نصرانيا . يقال له عداس . وقالا له : خذ قطفا من هذا العنب . فضعه فى هذا الطبق ثم أذهب به إلى ذلك الرجل . فقل له يأكل منه . ففعل عداس . ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل . فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه قال « بسم الله » ثم أكل . ثم نظر عداس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن أهل أى البلاد أنت ياعداس ؟ ومادينك ؟

قال : نصرانى . وأنارجل من أهل نينوى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى .

فقال له عداس : ومايدريك مايونس بن متى ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أخى كان نبيا . وأنا نبى . فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقبل رأسه و يديه وقدميه .

فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقدأ فسده عليك .

فلما جاء عداس قالا له : و يلك ياعداس . مالك تقبل رأس هذا الرجل و يديه وقدميه ؟

قال عداس : ياسيدى مافى الأرض خير من هذا . لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبى .

قالا له : ويحك ياعداس . لايصرفنك عن دينك فإن دينك خير منه »

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

وجه النبى صلى الله عليه وسلم رسالته الإعلاميه هذه المرة إلى الطائف . وهو يعلم الجمهور الذى يواجهه . فقد شرح دعوته . ثم أراد أن يثير نخوتهم . و يبين لهم أنهم أهل مروءة وأهل قوه . فطلب نصرتهم . فلم يكن يطلب النصرة لعلمه أنه مغلوب على أمره أو لأنه يشك فى نصر الله . بل لقد كان يثق تماما فى نصر الله عز وجل له ولرسالته . وأن الله غالب على أمره . فقد سبق أن أقسم لخباب ابن الأرت — كما ذكرنا — فى الحديث الذى رواه البخارى قائلا « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت . مايخاف إلا الله أو الذئب على غنمه . ولكنكم تستعجلون » .

فلم يكن طلب النبى صلى الله عليه وسلم النصره من أبناء ثقيف وسادتها . لأنه يشك فى نصر الله . أو لخوفه على نفسه أو على دعوته . أو من أجل النصرة ذاتها . ولكنه يطلب نصرتهم . كنوع أو اسلوب من أساليبه الاعلاميه فهو يشبع حاجاتهم النفسيه . و يرضى غرورهم . و يشبع ميولهم و يبين لهم أنهم على قدر من الأهمية .

ومما يدل على مدى معرفته صلى الله عليه وسلم لهذا النوع من الجمهور وهم أبناء ثقيف — سادة الطائف — ردهم عليه . حيث رد عليه المتحدى منهم قائلا : أنه يمرط ثياب الكعبه إن كان الله أرسلك . فهو يتحدى بأن يفعل أكبر الكبائر أن كان الله أرسله .

ورد عليه المعاند منهم : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟!

ورد عليه الفيلسوف منهم : أن كنت رسولا كما تقول . لأنت أعظم خطرا من أن أكلمك . ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن أكلمك .

فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم لأنه تيقن من عدم أهمية الاستمرار فى التحدث إليهم .

ومن القيم الاعلاميه التى يعلمها لنا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال وهو ذهابه الى الطائف ايضا . أنه عمد مباشره إلى ابناء عمرو بن ثقيف لسببين .

أولها : انهم ساده القوم . و بالتالى فهم قادة الرأى فيهم . فإن آمنوا فإن ايمانهم يؤدى إلى إيمان بقيه القوم . وان كذبوا فلا فائدة من الجهد مع بقيه القوم . خاصه

انه غريب عن هذا الحى ولن يستطيع الإقامه فيه طويلا . بعد تكذيب هؤلاء السادة له ، وهو هنا يعلمنا أهميه اقناع قاده الرأى ، ودورهم . ومدى تأثيرهم فى أى المجتمات . وهذا ماتؤكده وتأخذ به الدراسات الإعلامية الحديثه . فقد سبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيها : أن أحد هؤلاء الساده زوجته من قريش . وربما كان لذلك تأثير . فى استقبالهم له . أو تأثيرها عليهم مثلا . لكنه لم يحدث فقد قال لها صلى الله عليه وسلم لما لقيها « ماذا لقينا من احمائك » كما ذكرنا من قبل .

وقد ألقى النبى صلى الله عليه وسلم رسالة اعلاميه مركزه وقويه ومؤثره فى أهل الطائف . فهى وإن لم تؤد دورها فى الحال إلا أنها تركت أثرا ظهر بعد ذلك . وهو مايسميه أساتذه الاعلام فى العصر الحديث . بالأهداف الآجلة للاتصال . فالاتصال له أهداف عاجله . واهدف آجله . قد تتحقق العاجله . وقد تتحقق الآجله . وقد يتحقق الهدفين معا .

فقد ذكر « عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن أبى جبل العدوانى عن أبيه . أنه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشرق ثقيف . وهو قائم على قوس أوعصى . حين أتاهم يبتغى عندهم النصر . فسمعته يقول : « **والسماء والطارق** » حتى ختمها . قال فوعيتها فى الجاهليه . وأنا مشرك . ثم قرأتها فى االاسلام قال فدعتنى ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم » [11] .

وقد تضمنت إذن رسالته الإعلاميه ، أو بيانه الاعلامى اليهم سوره قصيره مركزه واضحه من القرآن حفظها من سمعها وهو مشرك . وظل يحفظها بعد ذلك وفى هذا دلالة على قوة تاثير رسالته الآجله . فهى وان لم تحقق هدفا عاجلا . فقد حققت أهدافا آجله .

وترك النبى صلى الله عليه وسلم ثقيف . ولم يكن همه التفكير فى الأذى أو الانتقام منهم . بل همه الدعوة والدعاء . والاتجاه الى الله . بل لقد عرض عليه أن ينتقم الله له منهم فأبى ذلك مؤملا هدايتهم .

---

(11) المرجع السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

ولما جلس النبى صلى الله عليه وسلم يستريح . ناجى ربّه عز وجل . شاكيا إليه ضعفه . وسائلا إياه أن يقويه على نشر رسالته وتبليغها . وتحدث الاستجابه من الله عز وجل . لتثير فى نفسه الطمأنينه . وتبث فى روحه العزيمه وتعيد إليه ثقته فى نفسه وليعلم أن الله عز وجل معه . حيث يجيئه جبريل مبلغا إياه أن معه ملك الجبال ولو شاء لأطبق عليهم الجبلين . ولكنه تعود الطمأنينه والسكنيه والنفس الصافيه . المرتفعه فوق الآلام . التى من شيمتها العفو. فيطلب لهم الهدايه .

« ثبت فى الصحيحين عن عائشه رضى الله عنها قالت : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قل : « ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبه . إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال . فلم يجيبنى إلى ما أردت . فانطلقت على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب . فرفعت رأس فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى . فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام . فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك . وما ردوا عليك . وقد بعث الله لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . ثم نادانى ملك الجبال فسلم على . ثم قال : يا محمد : قد بعثنى الله . إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال . قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بما شئت . إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » (١٢) .

هكذا يكون الإعلامى القدير. ينسى نفسه . وما يتعرض له شخصه من أجل الرسالة التى يحملها . و يريد ابلاغها . لا يهمه ما يتعرض له بصفه شخصيه . من أذى نفسى أو جسدى . بل يهمه ابلاغ الرسالة . واحداث التأثير وحدوث التأثير . إنه يذوب فى رسالته حتى تصبح أعز عليه من ذاته .

« فعماد كل دعوة صادقة : فرد يؤمن بها . إيمانا يملك عليه مشاعره و يسيطر على وجدانه . و يظهر أثره فى كل ناحية من حياته . حتى يكون صورة كاملة لما يؤمن به . وقدوة طيبة لما يدعو إليه . فإذا ما اكتملت فى أعماقه عوامل الإيمان .

---

(١٢) المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

فاض بدعوته على أهله وعشيرته . ثم انتقل بها إلى الى دائره إخوانه وجيرانه . ثم اتسع بها حتى تشمل عامة الناس . وتبلغ المدى المقدر لها فى قدره الله .

وكذلك كان الشأن فى الدعوة الإسلاميه . بدأت بسيد الدعاة صلى الله عليه وسلم والذى تعهده ربه بالتأديب والتهذيب »(١٣) وبلغت العالم كله على امتداد الزمان . واتساع الأماكن كلها .

استراح النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما حدث معه فى الطائف . إلى جانب بستان عتبه بن ربيعة وشيبه بن ربيعة . وأرسلا إليه قطفا من العنب مع غلامهما وتناسى متاعبه الشخصيه . وآلامه النفسيه . و بدأ يمارس مهمته الر يئسيه . إنها الإعلام بخير رساله . تلك التى ملكت عليه نفسه وروحه . فنسى كل شيء دونه ، حتى الآلام والمتاعب والمشاق . وحتى مطاردة السفهاء له . حتى اجتماع الناس عليه . بعد أن طلب من سادة ثقيف — بفطره الإعلامى القدير — أن يكتموا عليه أمره حتى لا تنتشر عدوى التكذيب وتعم موجة العصيان له ولدعوته .

سأل الغلام الذى حمل إليه العنب . لم يكن همه الراحة والمأكل والمشرب والظل . وانما سأله عن اسمه ودينه . ولم يسأل عن اسمه فقط وإنما سأل عن دينه . ان الدين كل همه واهتمامه .

أخبره عن دينه أنه نصرانى . هو من أهل الكتاب إذن . ولما سأله الغلام عن سبب ذكره لله قبل الأكل . فلأنه من أهل الكتاب فقد أثاره ذكر اسم الله . مع أن أهل هذه البلاد يذكرون الأصنام و يقدسون الأوثان .

ولما يعلم النبى صلى الله عليه وسلم أنه من نينوى . يتجه إليه بالسؤال المباشر . الذى يصيب الهدف من أقرب وأيسر السبل . من قريه الرجل الصالح يونس بن متى . ثم يخبره إنه نبى ودليل صدقه معرفته بيونس ابن متى . و يصدقه الغلام . و يقبل رأسه و يديه ورجليه .

وهكذا يضرب لنا النبى صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى تبليغ الدعوة والإعلام بها . ومن حيث الأسلوب وصياغته . ومعرفه الجمهور . والتضحية من أجلها .

---

(١٣) حسين محمد يوسف ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

ثالثا : الرسول يعرض نفسه على القبائل فى الأسواق ومواسم الحج :

كان للعرب أوقات وأماكن يجتمعون فيها فى كل عام . وكان أشهر هذه التجمعات هى الأسواق ومواسم الحج . وقد كانت هذه الأسواق . أسواق أدبية أكثر منها أسواق بيع وشراء . فقد كانت قبائل العرب تجتمع فى هذه الأسواق فى لقاءات أدبيه للاستماع الى قصائد الشعر والنثر ونحوذلك كما كانت لقاءات اجتماعيه . أولها أهميه اجتماعيه « حيث كانت تتخذ هذه الأسواق وسيلة للخطبة والزواج . وكانت القبائل تتبرأ من بعض الأشخاص الخارجين عليها فى هذه الاسواق . ومن كان له دين على آخر أنظره إلى عكاظ . ومن كان له حاجه استصرخ القبائل بعكاظ . ومن كان داعيا الى إصلاح إجتماعى أو انقلاب دينى . يرى أن خير فرصة له سوق عكاظ ، والقبائل من انحاء الجز يره مجتمعه . وكثيرا ما كانوا يرون قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو بدعوته . ويخطب فيها خطبته المشهوره على جمل له . فيرغب و يرهب ويحذر و ينذر» (١٤) .

وكان للعرب أسواق كثيره فى أماكن متفرقه وأوقات مختلفه . مثل ذى المجاز ومجنه والمربد وغيرها . غير أن أشهر هذه الأسواق جميعا كانت سوق عكاظ . ولا يخفى أيضا أهمية موسم الحج . حيث كانت تجتمع قبائل العرب كلها فى ذلك الموسم . أو مندوبون منها . يقدمون للحج وللتجاره .

وكان كل إنسان يقدم هذه الأسواق للحاجات التى يريدها . حيث كانت أغرضها متعدده . وكان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاغل هو الإعلام برسالته . وتعريف القبائل بها . ورأى فى هذه الأسواق ومواسم الحج فرصه عظيمه للقيام بمهمته . حيث القبائل مجتمعه . ويمكنه أن يرسل رسالته مع وفد كل قبيله إلى قومهم . لأن الوفد إذا عاد إلى القبيله . فسوف يُحدّث ويخبر بأهم ما كان من أحداث و وقائع حدثت فى سوق هذا العام . أو فى موسم حج هذا العام . لذلك بدأ النبى صلى الله عليه وسلم جهده الاعلامى فى هذه الأسواق . عارضا نفسه .

---

(١٤) عمر ابو النصر ، مرجع سابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

ومعرفا وظيفته . وشارحا رسالته . وطالبا نصرته ونصرة دينه . ومبينا جزاء ذلك واجره من الله عز وجل .

« قال ابن اسحاق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب يدعوهم إلى الله . يخبرهم أنه نبى مرسل و يسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به .

يقول ربيعة بن عباد : إنى لغلام شاب مع أبى بمنى . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب . فيقول : يا بنى فلان : إنى رسول الله إليكم . يأمركم أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا . وأن تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الأنداد . وأن تؤمنوا بى . وتمنعونى وتصدقوا بى . حتى أبيّن عن الله ما بعثنى به .

قال ربيعه : وكان خلفه رجل أحول وضىء ، له غديرتان — ذؤابتان من شعر — عليه حلة عدنية . فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه . قال ذاك الرجل : يا بنى فلان : إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم . وحلفاؤكم من الجن من بنى مالك بن أقيش . إلى ما جاء به من البدعة والضلالة . فلا تطيعوه ولاتسمعوا منه .

قال ربيعه : فقلت لأبى : من هذا الذى يتبعه و يرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب . أبولهب .

قال ابن اسحاق : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كندة فى منازلهم ، وفيهم سيد يقال له مليح . فدعاهم إلى الله عز وجل . وعرض عليهم نفسه فأبوا .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلبا فى منازلهم . إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله . فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . حتى إنه ليقول لهم : يا بنى عبد الله : إن الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى حنيفة فى منازلهم . فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه . فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم .

وأتى بنى عامر بن صعصعة . فدعاهم إلى الله عز وجل . وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له : بيحرة بن فراس . والله لو أخذت هذا الفتى من

قريش ، لأكلت به العرب . ثم قال : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك . ثم أظهرك الله على من خالفك .أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : الأمر إلى الله . يضعه حيث يشاء .

فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك . فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لاحاجه لنا بأمرك . فأبوا عليه .

فلما صدر الناس . رجعت بنوعامر الى شيخ لهم قد كانت أردكته السن . حتى لايقدر أن يوافى معهم المواسم . فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون فى ذلك الموسم . فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم ؟ فقالوا : جاءنا فتى من قريش . ثم أحد بنى عبدالمطلب . يزعم أنه نبى يدعونا إلى أن نمنعه . ونقوم معه . ونخرج به إلى بلادنا .

فوضع الشيخ يده على رأسه . ثم قال : يابنى عامر . هل لها من تلاف . هل لذناباها من مطلب . والذى نفس فلان بيده ماتقوّلها اسماعيلى قط . وإنها لحق . فأين رأيكم كان عنكم .

قال ابن اسحقاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم . أتاهم . يدعو القبائل إلى الله والى الاسلام . و يعرض عليهم نفسه . وماجاء به من الله من الهدى والرحمة . وهو لا يسمع بقادم يقدم مكه من العرب : له اسم وشرف إلا تصدى له . فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده .

قدم سويد بن صامت . أخو بنى عامر بن عوف مكه حاجا أو معتمرا . وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، لجلده وشعره وشرفه ونسبه . فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به . فدعاه إلى الله وإلى الاسلام .

فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟

قال سويد :مجلة لقمان . يعنى حكمة لقمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ . فعرضها عليه .

فقال له : إن هذا كلام حسن . والذى معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى على هو هدى ونور. فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودعاه إلى الاسلام . فلم يبعد منه . وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه . فلم يلبث أن قتلته الخزرج . فإذا كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم . وكان قتله يوم بعاث .

قال ابن اسحاق : ولما قدم أبوالحيسر ، أنس بن رافع . مكه ومعه فتيان من بنى عبدالأشهل . فيهم إياس بن معاذ . يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج . سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتاهم فجلس إليهم . فقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له . فقالوا له : وماذا ؟

وقال : أنا رسول الله بعثنى الى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا . وأنزل علىّ الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام . وتلا عليهم لقرآن .

فقال إياس بن معاذ . وكان غلاما حدثا . أى قوم هذا والله خير مما جئتم له . فأخذ أبوالحيسر أنس بن رافع حفنه من تراب البطحاء . فضرب بها وجه إياس بن معاذ . وقال دعنا منك . فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس . وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينه .

وحين مات إياس سمعوه يهلل الله تعالى و يكبره ويحمده . و يسبحه حتى مات . فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع » (١٥) .

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إعلاميا قديرا . يلتمس مواقع وأماكن تجمع القبائل . و يذهب إليها و يعرض دعوته عليهم . و يقرأ القرآن ولم يكن المقصود هو الوفد الموجود فى حد ذاته بل كان المقصود من وراءهم من اقوامهم . الذين يستمعون الأخبار. كما حدث مع بنى عامر بن صعصعه فقد أخبروا شيخهم لما عادوا . فأخبرهم أنهم قد أخطأ واحينا لم يغتنموا هذا الفرصه . كما ذكرنا من قبل .

---

(١٥) ابن هشام ، السيرة النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٤ ، ٢٨ .

كما كـان المقصود من هذه الحملات الإعلاميه التى كان يوجهها النبى صلى الله عـليـه وسـلـم الى وفـود هـذه القـبائل . انتشار ذكر الاسلام بين هذه القبائل و بعضها وإثاره الرغبه عند من لم يكن حاضرا أن يحضر الى مكه فيسمع .

وكـان المـقـصـود ايضا من هذه الحملات الاعلامية النبو يه لهذه لهذه القبائل أيـضـا أن يـفـكروا فى دعوته على مهل . وقد حدث هذا فا سلم الكثيرون فيما بعد . بـعـد أن تـأثـروا بمـا سـمعوا من كلماته حينما دعاهم . كما حدث لإياس بن معاذ ، وحدث لسو يد بن الصامت . الذين حكى عنهم بعض ذويهم أنهم ماتوا مسلمين .

وحـدث مـثل ذلك أيضا لميسرة بن مسروق العبسى الذى كان فى وفد من قومه بمنى . وسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وترددوا فى قبول دعوته ثم سألوا عـنه يهود فدك . فأخبروهم بصفته . فعرفوه أنه هو . فأسلم ميسرة بعد ذلك فى حجة الوداع .

وكـان رسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم يـكرر الحملات الاعلاميه للوفود بـالأسواق والمواسم كل عام حتى قال له بعضهم . أما آن لك تيأس منا . من طول ما يعرض نفسه عليهم . و يسمى هذا بأسلوب التكرار من الناحية الاعلاميه .

« كـان رسـول الله صـلـى عـلـيه وسلم يوافى المواسم كل عام . يتبع الحاج فى مـنـازلهـم فى مـوسـم بعكاظ وذى المجاز ومجنة يدعوهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربـه . ولهـم الجـنـه . فـلا يجـد أحدا ينصره ولا يجيبه . حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيله . و يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . وتملكوا بها العرب . وتذل لكم العجم . وإذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنه . »(١٦) .

كـان أسـلـوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حملاته الاعلاميه هذه حسنا حـتـى انـه ليقول لقوم يسمون بنى عبدالله . لقد أحسن الله اسم أبيكم . ومع ذلك كـان مـعتزا بنفسه و بربه . يأبى أن يعطى شيئا لا يملكه فى سبيل الاستجابه . وهو رفـضـه لـطـلـب بـنى عامر أن يكون الأمر لهم من بعده . حيث يقول : أن الأمر لله يـضـعـه حـيـث يـشـاء . فهو يعرض رسالته الإعلاميه . لا بذلة . ولا بأى ثمن وإنما

---

(١٦) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .

يعرضها برفعه وعزه . فهو كما ذكرنا لايطلب نصرة قبيلة أو أحد من الناس لعدم ثقته فى نصرة الله له ولرسالته . ولكن ليدفع هؤلاء للاستجابه ولثير فيهم النخوة والمروءه والشجاعه . هذه الصفات التى كانوا يعتزون و يفخرون بها .

كان النبى صلى الله عليه وسلم يلتقى بالقادمين الى مكه فرادى وجماعات . فقد عرض نفسه ودعوته . و بلغ رسالته . لوفود القبائل . كما بلغها للأفراد ذوى الشرف الذين كان يسمع بمقدمهم إلى مكه . مثل سو يد بن الصامت .

وقد كان أسلو به صلى الله عليه وسلم مع سو يد بن الصامت . نموذجا إعلاميا رائعا . حين قال له سو يد لعل الذى معك مثل الذى معى . فمع كون النبى صلى الله عليه وسلم يعلم يقينا أنه لا أحد على وجه الأرض معه مثل الذى معه هو . إلا أنه يسأل عما معه . ثم يقول له فى أدب وحسن خلق اعرضها علىّ . و بعد أن يسمع . لا يقبّح ما سمع . ولا ينكره . ولكنه يقول له : هذا كلام حسن .

ثم يبدأ إبلاغ رسالته الإعلاميه فى ذات الوقت قائلا : هذا كلام حسن . والذى معى أفضل قرآن أنزله الله تعالى علىّ . هو هدى ونور . و يقرأ عليه القرآن . و يستحسن الرجل القول و ينصرف . و يقال انه مات مسلما ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضه منذ البدايه . وأنكر عليه مامعه . ورفض الاستماع إليه . لكان قد خسر هذا الرجل الحكيم . والذى كان يسمى فى قومه بالكامل . لجلده وشعره ونسبه وشرفه .

هكذا كانت أساليب رسول الله صلى عليه وسلم وحملاته الإعلاميه متزامنه . ومتكامله مع بعضها فى ذات الوقت . وعلى جميع المستو يات . و بكل الوسائل . فهو لا يترك فرصه يمكن فيها أو عن طر يقها القيام بالجهد الاعلامى للدعوة . إلاّ وقام بها . و بذلك كان هو فى مكه مركز الإرشاد والإشعاع . يرسل رسائله الاعلاميه بدعوته الى كل مكان . حتى إذا ماسنحت الفرصه لهجرته صلى الله عليه وسلم . جنى ثمار كل هذا الجهد المتواصل . وتحقق له ولرسالته ودعوته ما أراد .

رابعا : الرسول يقابل وفد الأنصار و يبايعهم :

ولم يكن جهد النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام برسالة الله عز وجل سهما طائشا . بل أصاب السهم قوما سعداء . سعدوا به فى الدنيا والآخره . أحبهم صلى الله عليه وسلم . وأحبوه . أقسم أنه لولا الهجره وفضلها لاختار أن يكون منهم . ولو سلك الناس شعبا وسلكوا شعبا لسلك شعبهم . ودافعوا عنه وعن رسالته بأنفسهم وأموالهم و بكل ما يملكون . إنهم الأنصار. أهل يثرب . قابلهم بين من كان يعرض نفسه عليهم من القبائل فى المواسم . فأحبوه واستحسنوا قوله . وتدبروا أمره . وتذكروا صفاته التى تذكرها اليهود الذين يجاورونهم فى بلادهم . فقد كان من رحمة الله بهؤلاء القوم أن اليهود كانوا يهددونهم بظهور هذا النبى . وأنهم سيقاتلونهم معه .

وشرح النبى دعوته لوفد الخزرج على مهل بعد أن أجلسهم ليكلمهم ودعاهم الى الله . وتلا عليهم القرآن . فأسلموا . وعادوا الى يثرب دعاة لدين الله عز وجل . وعادوا فى العام القادم بعدد أكبر بعد أن فشا الاسلام فى بيوتهم . فبايعوا رسوله الله صلى الله عليه وسلم . وعادوا الى بلادهم برجل يعلمهم .

قال ابن اسحاق : « فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه . وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم . خرج رسول الله فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الأنصار. فعرض نفسه على قبائل العرب . كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنتم ؟

قالوا : نفر من الخزرج .

قال : أمن موالى يهود ؟

قالوا : نعم .

قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟

قالوا : بلى .

فجلسوا معه . فدعاهم إلى الله عز وجل . وعرض عليهم الإسلام . وتلا عليهم القرآن .

وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام . أن يهود كانوا معهم فى بلادهم . وكانوا أهل كتاب وعلم . وكانوا أهل شرك وأصحاب أوثان . وكانوا قد عزروهم — غلبوهم — ببلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن . قد أظل زمانه . نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر . ودعاهم إلى الله . قال بعضهم : تعلموا والله ياقوم . إنه للنبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه من الإسلام . وقالوا إنا قد تركنا قومنا . ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم . فعسى أن يجمعهم الله بك . فسنقدم عليهم . فندعوهم إلى أمرك . ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . راجعين إلى بلادهم . وقد آمنوا وصدقوا .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله عليه وسلم . ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم . فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله عليه وسلم » (١٧) .

كانت هذه هى المرحله الأولى من دعوة الأنصار . عرض النبى صلى الله عليه وسلم لهم دعوته . وما فيها وتلا عليهم القرآن . وعادوا إلى بلادهم دعاة لدين الله عز وجل أو رجال إعلام بهذا الدين .

وكانت المرحلة الثانية فى العام التالى حيث أثمر جهد هؤلاء الذين أسلموا فى المرحلة الأولى . فعادوا بعدد أكبر فى العام المقبل . و بايعوه بيعة العقبة الأولى . وكان فيها اثنى عشر رجلا من الأوس والخزرج .

---

(١٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

«عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثنى عشر رجلا . فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . على بيعة النساء(١٨) وذلك قبل أن تفرض الحرب . على أن لانشرك بالله شيئا . ولا نسرق . ولانزنى ولانقتل أولادنا . ولانأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا . ولانعصيه فى معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة . وإن غشيتم من ذلك . فأمركم إلى الله عز وجل . إن شاء عذب وان شاء غفر .

فلما انصرف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم مصعب بن عمير . وأمره أن يقرئهم القرآن . و يعلمهم الاسلام . و يفقههم فى الدين فكان يسمى المقرىء .

وروى عاصم بن عمرو بن قتاده : أن مصعب بن عمير كان يصلى بهم وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض »(١٩) .

وهنا نجد التدرج الإعلامى مع هؤلاء القوم . فالمرحلة الأولى تركهم النبى صلى الله عليه وسلم يقومون بالجهد الإعلامى بأنفسهم فى بلدهم . ليكون دخول الدعوة إلى يثرب فى البداية عن طريق أناس منها . ليكون ذلك اكثر قبولا .

وفى المرة الثانية . يبايعهم على السمع والطاعه . وعدم الشرك . وعدم السرقه ولاالزنا ولاقتل الأولاد . ثم يبين أن أمر ذلك من طاعه أو معصية لهذه البيعه موكول الى الله عز وجل . فهو الذى يعلمه . ويحاسب عليه . وفى هذا تخويف اكثر من محاسبة البشر .

ثم يرسل معهم معلما . ليجمع الأوس والخزرج . وليقوم بأمر الإعلام بنفسه فى هذه الأرض الخصبة أمام الدعوه . وسنتحدث عن جهد مصعب بن عمير الإعلامى فى المدنيه . فى الفصل التالى إن شاء الله .

---

(١٨) تسمى بيعه النساء لقوله تعالى فى سوره الممتحنه « ياايها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين . ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهنّ ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستعفر لهن الله . أن الله غفور رحيم » .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

وفى العام الثالث عاد مصعب إلي مكه فى موسم الحج ومعه مسلمون ومشركون من أهل المدينه . بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانيه بعد أن حددوا لها زمانا ومكانا اتفقوا عليه سرا . حتى يظل الأمر محكما . مخافة قتال مشركى مكه لهؤلاء اليثربيين أن علموا منهم ذلك .

وقد حدث فى هذه البيعة الثانيه حوار بين العباس بن عبد المطلب والأنصار . ورد الأنصار وتكلموا . ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ لنفسه ولربه ماشاء من العهد . ثم انطلق الأنصار الى رحالهم تحت جنح الظلام . وبعدها عادوا الى بلادهم رجال إعلام مزودين بالعلم والبيعة .

« روى كعب بن مالك وكان ممن شهدوا العقبة و بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال : خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين . وقد صلينا وفقهنا . ومعنا البراء بن معرور . سيدنا وكبيرنا .

قال كعب : ثم واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبه من أوسط أيام التشريق . فلما فرغنا من الحج . وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا . وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا . فكلمناه وقلنا له : ياأباجابر . انك سيد من سادتنا . وشريف من أشرافنا . وانا نرغب بك أن تكون عما أنت فيه . أن تكون حطبا للنار غدا . ثم دعوناه إلى الإسلام . وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّانا العقبة . فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

فنمنا ليلتنا تلك فى رحالنا مع قومنا . حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين . حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة . ونحن ثلاثه وسبعون رجلا . ومعنا امرأتان من نسائنا هما : نسيبه بنت كعب وأسماء بنت عمرو .

فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه . إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه و يتوثق له .

فلما جلس . كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال :

يا معشر الخزرج : ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا . ممن هو على مثل رأينا فيه . فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده . وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم . واللحوق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه . ومانعوه ممن خالفه . فانتم وما تحملتم من ذلك . وأن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم . فمن الآن فدعوه . فإن فى عز ومنعة من قومه و بلده .

فقلنا له : قد سمعنا ما قلت . فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتلا القرآن . ودعا إلى الله . ورغّب فى الإسلام . ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق ، لنمنعك مما نمنع أزرنا . فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة . ورثناها كابرا عن كابر .

فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ، أبوالهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله . إن بيننا و بين الرجال حبالا . وإنا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك . ثم أظهرك الله . أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : بل الدم الدم . والهدم الهدم — أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم — أنا منكم وأنتم منى . أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

قال كعب بن مالك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا . ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم . اثنى عشر نقيبا تسعه من الخزرج . وثلاثه من الأوس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء : أنتم على قومكم بمن فيهم

كفلاء . ككفالة الحوار بين لعيسى بن مريم . وأنا كفيل على قومي — يعني المسلمين قالوا : نعم » (٢٠) .

وفي هذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يعود الى ممارسة الاعلام سرّا مرة أخرى . حسب اقتضاء الحال لذلك . فقد واعد أهل يثرب أن يلقاهم سرّا . في مكان وزمان محدد . لا يعلمه غيرهم . ويحضر الأنصار سرّا مع كثره عددهم . ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس .

و يبدأ الحوار بين الرسول والانصار . و يتسم الحوار الاعلامي الاسلامي . بالعزه والقوة والصراحه والحر يه التامه .

فأما اظهار العزه والقوة . فقد بدت على لسان العباس بن عبد المطلب . حيث ذكر للأنصار أن محمدا في منعة من قومه . وأنه رغب فيهم وفي اللحوق بهم . فإن كانوا على استعداد لحمايته ونصرته فبها ونعمت . وإلا فمن الآن فدعوه . فهو في عز ومنعة من قومه و بلده . أي ليس مضطر اللخروج إليكم . ولكنه راغب في ذلك . وهناك فارق بين الراغب والمضطر .

وكان كلام العباس لاظهار القوه . وللتلو يح بالتهديد بالحرب إن أسلم الأنصار محمدا . أوخذلوه . لذا كان الكلام على لسان العباس . وهذه كياسة وفطنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهولا يستعمل التهديد ولايلوّح به . وانما ترك هذا للعباس . ودليل موافقتة عليه . أنه أحضر العباس معه لحضور هذا الأمر . وأنه لم يعترض على كلامه .

وقد قابل هذا شيئين أو كلمتين من الأنصار .

الكلمه الأولى لهيثم بن التيهان ، حين قال : ان بيننا و بين الرجال حبالا نحن قاطعوها . أي اليهود . فهل عسيت إن أظهرك الله بعد أن فعلنا ذلك ترجع الى قومك وتدعنا . أي للحرب مع هؤلاء . وهم أهل مال وقوه بالطبع .

و يؤكد له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنا منكم وأنتم مني . أحارب من حاربتم واسالم من سالمتم . والدم الدم والهدم الهدم . وقد وفىّ رسول الله صلى الله

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٤٢ .

عليه وسلم بذلك . فعاش بقيه حياته فى المدينه هو ومن هاجر قبله من أصحابه . ودعا الله أن يحبب إليهم المدينه كحبهم مكه أو أشد وحارب معهم اليهود . وأصبحت المدينة عاصمه أول دولة اسلامية .

الكلمه الثانيه من جانب الأنصار كانت من العباس بن عباده حين قال : « يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم قال : أنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس .

فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة . وأشرافكم قتلا أسلمتموه . فمن الآن . فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخره .

وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال — نقصها — وقتل الأشراف . فخذوه . فهو والله خير الدنيا والآخره .

قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال . وقتل الأشراف .

فمالنا بذلك يا رسول الله أن نحن وفينا ؟

قال : الجنه .

قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

قال البعض أن العباس بن عباده قال ذلك ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

وقال البعض إنه قال ذلك ليؤخر القوم تلك الليله . رجاء أن يحضرها عبدالله بن أبى سلول . فيكون أقوى لأمر القوم » (٢١) .

هكذا كانت الصراحه التامه هى أساس هذا البناء الاسلامى القويم لصرح الدعوه . وميدان الاعلام الاسلامى فى المدينه المنوره . من كلا الجانبين فالأنصار يستوثقون لأنفسهم . كما استوثق العباس . وكما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه منهم وأنهم منه . أخبروا أنهم يأخذوه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف .

---

(٢١) المرجع السابق ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

ثم يسألوا عن أجر ذلك عند الله — إن هم وفوا بذلك . فيقول لهم الجنه . وتتم البيعة .

بقى أن نعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم وضع أساسا إعلاميا قويا فى هذه البيعة مع الأنصار . وهو اختيار قادة الرأى . بين لهم أنهم على قومهم كفلاء ككفاله الحواريين لعيسى بن مريم . وهو صلى الله عليه وسلم كفيل على المسلمين .

وكان هذا الأساس الإعلامى . كتلخيص الموضوع . ووضعه مركزا فى عنق هؤلاء القاده .

بل إنه لم يختر هو هؤلاء القاده . فقد حدد المطلوب وهو اثنا عشر رجلا . ولم يختر هؤلاء من الثلاثه وسبعين الذين حضروا وإنما تركهم هم يختارون قادتهم . ليكون ذلك أحرى بطاعتهم لهم . وليشعرهم بالحريه منذ البداية . وإن الأمر شورى . وأن الاسلام مبنى على الحريه لا على الاستبداد فهم أحرار فى اختيار قادتهم . وهكذا أرسى النبى صلى الله عليه وسلم أسس الأعلام الاسلامى فى المدينه . مع هؤلاء الذين بايعهم أولا ثم بهجرته الى يثرب ثانيه .

خامسا : أحداث الهجره النبويه إعلام عن الدعوه :

ظل النبي صلى الله عليه وسلم يمارس الإعلام عن الاسلام فى مكه ثلاثه عشر عاما . ثلاث سنوات منها فى المرحلة السرية كانت فى بداية البعثه . وعشر سنوات فى المرحلة الجهرية . واتسمت هذه الفتره كلها بممارسة الإعلام بمختلف الوسائل . وبكل أنواع الاتصال . فكان كما ذكرنا يمارس الإعلام داخل مكه . وخارجها . ويرسل المسلمين من القبائل البعيده والقربيه إلى أقوامهم لنشر الإسلام فيها .

وبذلك لم يحدد النبى صلى الله عليه وسلم هجرته إلا بناءً على أمر الله عز وجل له . وبعد أن كان الاسلام قد أصبح معروفا فى الجزيره العربية كلها . وكان أمر محمد صلى الله عليه وسلم يعلمه البعيد والقريب . وتسمع به كل القبائل المجاوره . والدول المحيطه بالجزيرة العربية .

وكانت هجره النبى صلى الله عليه وسلم فى حد ذاتها إعلاما عن الدعوه . واعلاما عن انتقال قيادتها من مكه الى المدينة (يثرب) فقد كان فى قدرة الله عز وجل أن ينقله من مكه الى المدينه دون علم أحد من البشر . كما حدث فى ليلة الإسراء والمعراج . حيث نقله الله بقدرته من مكه إلى بيت المقدس بالشام . ثم عرج به الى السماء السابعة . ثم عاد من ليلته ثم أخبر قومه . وساق لهم من الأدلة والبراهين مالا يدع مجالا للشك فى أنه صادق .

لم تكن الأحداث التى حدثت فى الهجره إذن لمجرد الانتقال أو الارتحال من مكه إلى المدينة فقط . فقد كان فى قدرة الله أيضا أن يتم ذلك دون عناء ولامشقه . وفى وقت أقل مما إستغرقته . ولكن كان لذلك حكما كثيره ، يستفاد منها فى مجالات متنوعه . ويمكننا أن نستفيد منها فى مجال الإعلام على وجه الخصوص .

ولسنا هنا فى مجال سرد قصة الهجره وأحداث كناحية تاريخية . ولكننا نركز على بعض الأحداث الهامة منها . لاستنباط بعض القيم الإعلاميه وللاستفاده ببعض المواقف الهامه . التى تفيد فى التخطيط الإعلامى للأمور الهامه . والتى

تفيد فى ممارسة الإعلام أيضا بصورة مثلى حيث القدوة والأسوة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين . ينتظر أن يؤذن له فى الهجره . ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن . إلا على بن أبى طالب . وأبوبكر بن أبى قحافه رضى الله عنهما . وكان أبوبكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجره . فيقول له رسول الله : لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحبا . فيطمع أبوبكر أن يكون هو» (٢٢) .

وهذه من صفات القائد الناجح أنه لم يترك أحدا من أصحابه فى مكه إلا من حبسه أهله . أو عبدا حبسه سيده . أو من فتن . كما ترك على بن أبى طالب ليرد الودائع إلى أهلها .

فقد كان أهل مكه مع كونهم يحاربون محمدا ودعوته . إلا أنهم يرونه الأمين الذى لاتحفظ الودائع إلا عنده . فكانوا يحفظون ودائعهم عنده . فلما عزم الهجره وأذن الله عز وجل له فيها ترك عليا ليرد هذه الودائع لأصحابها . ولم يستحلها لأن المكيين قدناصبوه العداء ، وأخرجوه . ولكنه ردها إليهم . إعلاما عن دينه بأنه دين الأمانه والقناعه . وليس من مبادئه الخيانه ولا الطمع . فلعل ذلك يثير تفكيرهم مرة أخرى . فى هذا الدين . وليترك أثرا حسنا وذكرى طيبه عنه وعن دعوته فى نفوسهم وإن كانوا أعداءه .

ومن هذا يتعلم رجال الإعلام أنهم يجب أن يتركوا ذكرى طيبة . وأثرا حسنا . حتى مع من خالفهم فى الرأى أو المذهب أو نحو ذلك . فلعل ذلك يفيد فى موقف آخر . فهذه الذكرى والسمعة الحسنه والمواقف الطيبة التى تكون نهايه موقف . هى بذاتها تكون بداية لمواقف طيبه فى مرات قادمه . وهذا من الأسس الإعلاميه التى أرساها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن هاجر من مكه إلى المدينه .

---

(٢٢) المرجع السابق ، ص٦٩ .

لما أمر الله نبيه بالهجره . كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أنه يتمسك بكلمه الحق . وأنه سلك الطريق الصحيح لإبلاغها . فلم يكن متسرعا . ولا متهورا . بل كان يخطط لكل خطوه يخطوها . و يفكر فى كل أمر من أموره . فى رو ية وأناة وتؤدة وثقة لذلك حينا كانت الهجره ، خرج وهو يعلم أن على بابه أربعين شابا فى أيديهم أربعين سيفا كلها تستهدف شيئا واحدا هو أن تلتقى حول رقبته . ومع ذلك ولأنه يتمسك بكلمه الحق . يستهين بكل هذا . ويخرج ويحثوا على وجوههم التراب . قائلا « بسم الله شاهت الوجوه » وهو يتلو آيات من سورة يس . ومن هذا نعلم أن إلاعلام بكلمه الحق . طالما كان يتم من أجل الحق فعلا . و يسلك طريقا سليما . و بتخطيط محكم دقيق . فلنعلم أن الله عز وجل مؤيده وناصره على كل من وقف فى طريقه . ولو كانت اكبر القوى وأعتاها .

و يوم أن أخبر النبى صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا بكر بأنه سيهاجر . لم يخبره قبلها بأيام . وانما فى ذات اليوم . فى وقت : غير مألوف أن يذهب الى بيته فيه .

« عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان لايخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار . إما بكرة وإما عشية . حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكه بين ظهرى قومه . أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة . فى ساعة كان لايأتى فيها . فلما رآه أبوبكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الساعة إلا لأمر حدث . فلما دخل تأخر له أبوبكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد إلا أنا وأختى أسما بنت أبى بكر . فقال رسول الله لابى بكر « أخرج عنى من عندك » قال يارسول الله : انما هما ابنتاى . وما ذاك فداك أبى وأمى ؟ قال : « إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجره » فقال أبوبكر : الصحبة يارسول الله . قال : « الصحبة » قالت عائشه : فوالله ما شعرت قط قبل اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبابكر يومئذ يبكى » (٢٣) .

---

(٢٣) ابن كثير ، البداية والنهايه ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٨ .

إستعان النبى صلى الله عليه وسلم على أمر هجرته بالكتمان . فكتم الخبر. ليكون عنصر مفاجأة لأهل مكه . فأخبر ابا بكر فى ساعة لم يكن يحضر فى مثلها . وطلب ألا يسمعها أحد . ثم أبلغه أن الله أذن له بالهجره . و بصحبته .

وكان أبوبكر قد أعد راحلتين اشتراهما لذلك الأمر. ولم يركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحلة إلا بعد أن عرف ثمنها وابتاعها من أبى بكر . ليعلمنا أهميه عنصر التحويل وأثره . فالإعلامى لابد أن يكون قائما على أمر الإعلام بماله ومزودا بما يجعله حازما فى أمره . يمتلك زمام القرار . وعزه النفس . وشموخها .

« قال ابن اسحاق : فلما قرب ابوبكر رضى الله عنه الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداكَ أبى وأمى . قال : إنى لاأركب بعيراليس لى . قال : فهى لك يارسول الله فداك أبى وأمى ، قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها به . قال : هى لك يارسول الله ، فركبا وانطلقا . وأردف أبوبكر الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما فى الطريق »(٢٤) .

واستخدم النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته عنصر المفاجأة فى اكثر من موقف . وذلك إحكاما لخطته . فقد استخدم ذلك عندما خرج من خوخه فى ظهر منزل أبى بكر. واستخدم ذلك حينما خرج الى الغار. واستخدم ذلك حينما ظل فى الغار ثلاثه أيام . وأيضا حينما سلك طريقا غير مألوف الى المدينه .

ظل النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبوبكر فى غار ثور ثلاثه أيام . وكان هذا الغار موحشا . لا يظن أحد أنه مكان لمحمد ولا لصاحبه . واستخدم النبى صلى الله عليه وسلم المخبر الإعلامى . ليأتيه بأخبار مكه . وكان ذلك المخبر عبدالله بن أبى بكر. فلم يختر أى مخبر وإنما مخبرا أمينا . يخاف على رسول الله وعلى أبيه . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأيتها بالطعام « وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يرعى غنمه نهارا ثم يريحها إذا أمسى عليهما فى الغار. فكان عبدالله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم . يسمع مايأتمرون به . وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر. ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر

---

(٢٤) ابن هشام ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٧٥ .

بن فهيره يرعى فى رعيان أهل مكه . فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا فإذا غدا عبدالله بن أبى بكر من عندهما إلى مكه اتبع عامر أثره بالغنم يعفى عليه » (٢٥) .

ولم يكن اختفاء النبى صلى الله عليه وسلم وأبوبكر فى الغار لمده ثلاثه أيام لدواعى الأمن . فالدعوه ورسولها معلوم أن الله عز وجل كاتب لها النصر والغلبة مهما حدث من أمر . ولكنها كانت خطة إعلاميه . تضاف إلى ماسبقها من ممارسات إعلاميه فى العهد المكى . ليسمع عن محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته من لم يسمع من قبل . كما كانت خطه إعلاميه . للإعلام عن انتقال مركز الدعوة وعاصمتها ومقرها ورسولها من مكه إلى مكان آخر .

فالمعلوم يقينا أن أهل مكه حينما لايجدون محمدا ولاصاحبه أبا بكر سوف يجن جنونهم . و يطير صوابهم . و يركبون خيولهم منطلقين إلى كل طريق سائلين كل تجاره . وكل قبيله وكل مسافر وكل قادم إلى مكه . وكل غاد منها عن محمد وصاحبه . وما هذا السؤال عنهم بمثل هذه الأهميه والسرعه . إلا إثاره للانتباه . ولفت للأنظار . وإعلام للجميع . بأمر محمد صلى الله عليه وسلم . وهجرته وأهميه أمره . لولا هذا لما انزعج هؤلاء المكيون الذين هم فى نظر القبائل كلها أصحاب سياده ور ياسه . وأهل الحرم والكرم . واصحاب الشجاعه والفخر والمروءه . أمثال هؤلاء تعلم العرب جميعها انهم لاينزعجون لأمر هيّن . ولايثورون ولايسرعون ولايخرجون عن بكرة أبيهم . بكل قوتهم و بطونهم و بأسهم وعظمائهم إلا لأمر عظيم .

وهكذا جنّد النبى صلى الله عليه وسلم بعبقر يته الإعلاميه . جنّد أعداءه إعلاميين عنه وله . ولدعوته ورسالته . طيّروا خبرها إلى كل مكان . أرسلوا كل فارس . سألوا كل تجاره . أخبروا كل قبيله . رصد والجوائز لمن يأتى به حيّا أو ميتا . طار خبر محمد وخبر دعوته وهجرته إلى كل مكان فى الجز يره العربية وحولها ، بل وطار خبر فشل المؤامرات لقتله وامكان السيطره عليه داخل مكه . فكيف يمكن ذلك خارجها ؟

---

(٢٥) ابن كثير، البداية والنهايه ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٩ .

وكانت فتره الأيام الثلاثه كافية لوصول الخبر الى كل مكان . وبذلك تكاملت الحملة الاعلامية زمانيا ومكانيا . فقد أرسلوا سراقه بن مالك بن جعشم على سبيل المثال . وذهب مسرعا طامعا فى الجائزه . ووصل فعلا الى طريق رسول الله . ولكنه بعبقريته يكتب له كتاب أمان . يعده بسوارى كسرى . مما يدل على أن الأمر لم يكن فيه أدنى شك ولاخوف من جانب النبى صلى الله عليه وسلم . فهو يعد بسوارى كسرى . وفعلا يتحقق الوعد فى عهد عمر بن الخطاب . مما يدل على أن الأمر لم يكن فيه تخوف من جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن الاختفاء من أجل الأمن . أن كفار مكه وصلوا الى باب الغار فعلا . بل إنه يقال إن رزاز بول أبى جهل وصل إلى رجلى أبى بكر . والرسول صلى الله عليه وسلم ثابت صامد لايتزعزع ولا يهتز . فهو يعلم أن الله ناصره . وكيف لا وقد ظهرت المعجزات على باب الغار . وهو الشجره والعنكبوت والحمام الذى وضع بيضه . فظن الكفار انه لايمكن الدخول الى هذا المكان دون الاخلال بهذا النظام .

كان من خطط النبى صلى الله عليه وسلم الاعلاميه أيضا أنه سلك طريقا غير مألوف ليطيل فتره البحث على قريش . لتستكمل خطته الاعلامية بعد الأيام الثلاثه ومع كل ذلك يتخذون دليلا يدلهم على الطريق بالأجر . هو عبدالله بن أريقط ، وهذا من تمام الخطه حتى لا يضلا طريقهم . وهذا مما يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته . ألا يغفلوا اتخاذ دواعى الأمن دائما . مع الثقه فى الله عز وجل .

كان من تمام الخطه الإعلاميه التى قام بها النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجره . أنه رد إلى قريش سائلهم . الذى خرج يطلبهم طمعا فى الجائزه . ووصل ويخبرهم أنه سلك هذا الطريق ولاداعى لسلوكه .

لحق سراقه برسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . فعثرت به فرسه مرات . يقول : « فناديتهم بالأمان فوقفوا . فركبت فرسى . حتى جئتهم . ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الديّه . وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم . وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يردانى ولم يسألانى إلا أن قالا أخف

عنا . فسألته أن يكتب كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيره فكتب لى رقعه من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما رجع سراقة جعل لايلقى أحدا من الطلب إلا رده وقال : كفتيم هذا الوجه » (٢٦) .

ومع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظاهر الأمر يحبّ رد الناس عنه . إلا أنه يعلم الإعلاميين عدم الكذب فى روايه الخبر. وذلك حينما يرد سراقة . ويحمّله . رساله إعلاميه كاذبه . فلم يطلب منه أن يقول إنه لم يجدهم بهذا الطريق مثلا . ولكن قال له : أخف عنا . وترك له حريه التصرف فى صياغة الرساله . فرجع ورد من كان يريد سلوك هذا الطريق . قائلا : كفيتم هذا الوجه .

وبذلك يعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم الصدق فى الممارسه الاعلاميه . وفى الرواية الاخباريه . حتى فى أحلك الظروف . وأدق المواقف . وسبق أساتذه الإعلام بذلك .

ووصل النبى صلى الله عليه وسلم الى قباء . على مشارف يثرب . وفيها قابل الأنصار الذين طال انتظارهم . فاستقبلوه بالبشر والترحاب . وبدأ رسالته الاعلاميه فور قدومه . فخطب فيهم وبنى المسجد . سنبدأ الحديث عن الممارسه الإعلاميه التطبيقيه فى المدينه من وصول النبى صلى الله عليه وسلم الى قباء .

وبالجملة فقد كانت الهجره كلها اعلاما عن نصر الله عز وجل لدينه ولنبيه رغم قوه قريش وبأسها . وشجاعه كفارها . فمنذ خروج النبى صلى الله عليه وسلم على أربعين شابا يريدون قتله بأربعين سيفا ماضيا .حتى نزوله قباء وكل لحظه فيها إعلام عن هذه الدين وعن هذه الرساله .

وماسقناه هنا ماهو إلا نماذج وأمثله لكيفيه الممارسه الإعلاميه التى مارسها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه فى مكه . وسنتحدث أن شاء الله عن إرساله لأصحابه اعلاميين خارج مكه فى العهد المكى فى الفصل التالى .

---

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

الفصل السادس

الرسول يرسل الصحابة في مهمات إعلامية

ـ أهمية إرسال الصحابة فى مهمات إعلامية خارج مكة .

أولا : الهجرة إلى الجبشة .

ثانيا : إسال مصعب بن عمير إلى يثرب .

ثالثا : هجرة الصحابة إلى يثرب .

ـ أهمية إرسال الصحابة فى مهمات إعلاميه خارج مكه .

من المؤكد أن رجل الإعلام القدير لا يعمل بمفرده . فلابد من أن يتتلمد على يديه بعض من اعتنقوا فكره ، وآمنوا برسالته . هؤلاء يعلمهم العقيدة والفكر . كما يعلمهم كيفيه نشر هذا الفكر والعمل من أجله ، وبذلك يعمل هو فى طريق وبطريقته . ويعملون هم إلى جانبه فريقا مخلصا يعمل تحت قيادته . ويستمد روحه وحماسه وإيمانه وصلابته . من صلابة هذا القائد الإعلامى . وبقدر ما يكون القائد مؤمنا برسالته متمسكا بها . صلبا فى سبيل إبلاغها . بقدر ما يكون أصحابه على شاكلته .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد بدأ إعلاميا بالدعوة بنفسه كما رأينا . ثم أسلم بعض أصحابه . وفوراسلامهم . وتعلمهم الإسلام . أصبحوا دعاة لهذا الدين . إعلاميين به وله . فأسلم أبوبكر وأسلم على يديه الكثيرون من الصحابة . وهكذا كون النبى صلى الله عليه وسلم . فريقا اعلاميا متعاونا متآلفا متكاتفا ينشر الدعوة . ويرس قواعدها ودعائمها .

ولما انتقل الإعلام عن الإسلام من المرحلة السريه الى المرحلة العلنيه اتسعت الممارسة الاعلامية عن طريق الصحابة فى المرحلة العلنيه عنها فى المرحلة السرية . ففى المرحلة السرية . كان النبى صلى الله عليه وسلم يرسل من يدخل الاسلام من القبائل المجاوره أو البعيده إلى قومه كما ذكرنا . أما فى المرحلة العلنيه فقد أرسل أصحابه رضى الله عنهم فى مهمات إعلاميه خارج مكه . ومنها ما كان خارج حدود الجزيره العربية ذاتها .

وكان الناس يرون إرسال هؤلاء لتأمينهم . أولا بعادهم عن الأذى والفتنه . ولكن حتى وإن كان ذلك كذلك . إلا أننا نراه من منظور إعلامى له هدف آخر . وبُعدًا بعد ، وهو الإعلام عن هذا الدين فى تلك الأماكن التى يذهبون إليها . بل والتى يمرون بها . فضلا عن تلك التى خرجوا منها .

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرين الى الحبشه . أرسل مصعب بن عمير رضى الله عنه فى مهمة اعلاميه بحته الى المدينه لتعليم الأنصار ونشر الاسلام ثم أرسل أصحابه بعد تباعا مهاجرين إلى المدينه المنوره (يثرب) ولم يهاجر هو صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن هاجر أصحابه جميعا . فلم يترك أحدا من أصحابه وراءه إلا من حبس أوفتن . وترك على بن أبى طالب ليرد الودائع ولم يكن يخشى عليه شيئا . فهو وسط أهله . وهم يستطيعون منعه من الأذى والتعذيب . كما يستطعون تخليصه عندما يريد اللحوق بالنبى صلى الله عليه وسلم فى المدينه . فلا يحبسه أحد من المشركين . وكان هذا من صفاته كقائد إعلامى ناجح صلى الله عليه وسلم .

وكان الهدف الاعلامى من ارسال المهاجرين الى الحبشه . ثم المهاجرين إلى يثرب هو نشر الاسلام والاعلام عنه ، فى الطرق التى يسلكونها وفى البلاد التى يذهبون إليها . حيث يرى أهل هذه البلاد أنه لولا تمسك هؤلاء الناس بالحق . ورؤيتهم للحقيقه . ما تركوا أهلهم وأوطانهم وأموالهم وأولادهم . وهاجروا إلى هذه البلاد التى لا يعرفونها . وأصبحوا فيها غرباء فقراء . يعلمون و يكدون و يتعبون . وأيضا يمارسون المهمة التى خرجوا من بلادهم من أجلها وهى الإعلام عن الإسلام . وكان هذا فى حد ذاته مدعاة لأن يتساءل أهل هذه البلاد عن هذا الدين الذى يضحون من أجله كل هذه التضحيات العظيمة .

أما مهمتهم الاعلاميه فى الطرق التى سلكوها . فهو فى لقاءاتهم بالقبائل التى يمرون بها . أو قوافل التجاره أوغيرها . فالعرب كانت تنتقل أخبارهم أكثر ماتنتقل فى هذه الجزيره العربية عن طريق قوافل التجارة . حيث تناقلت هذه القوافل أخبار هؤلاء المهاجرين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وعرفوا أنهم هاجروا من مكه فارّين بدينهم . وأنه لولا محبتهم لهذا الدين لما فعلوا ذلك فما هو هذا الدين ؟ . كما عرفوا أن أهل مكه قد أصبحوا غلاظ الأكباد . قساة القلوب . حيث يضيقون الخناق على أهلهم من أجل عقيدة دينيه . وبذلك كان الاعلام إعلام عن الدين . وعن قسوة كفار مكه وجبارتها .

أما خروجهم من مكه ذاتها فقد أثار رقه بعض الكفار الجبابرة ذاتهم . وقد أثار دهشتهم . أنهم يعذبونهم ليرجعوا عن هذا الدين . فإذا بهذا الدين أغلى عليهم من المال والولد والأهل والبلاد . وأثار ذلك تفكيرهم . ودعا الكثيرين منهم الى مراجعة انفسهم . وأدى ببعضهم إلى الدخول فى الاسلام . كما سنرى .

أولا : الهجرة الى الحبشه :

كان التخطيط الإعلامى الذى يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام يتسم بالدقه والإحكام وبُعد النظر. فها هو فى المرحلة السرية يضع خطه إعلاميه للمرحله العلنية من حيث إرسال من أسلم من القبائل المحيطه بمكه– رجال اعلام– إلى أقوامهم لنشر الاسلام . فى ذات الوقت الذى اشتغل فيه بإعداد صف متكامل مترابط من الإعلاميين المسلمين– الذين آمنوا به للجهر بالدعوه .

وهو فى المرحلة العلنية يمارس الإعلام داخل مكه وخارجها بنفسه وعن طريق أصحابه . فيضع لذلك خطتين إعلامتيين .

الخطه الأولى : نشر الاسلام فى مكه جهرا وحولها فى الأماكن البعيده والقريبه فى الجزيره العربيه . مثل عرض نفسه على القبائل والذهاب الى الطائف . ومبايعة الأنصار والهجره الى المدينه . وماتحدثنا عنه فى الفصل السابق ثم بارسال المهاجرين من أصحابه داخل الجزيره العربيه أيضا . مثل ارسال مصعب بن عمير معلما وداعيا للاسلام فى المدينه . ثم إرسال اصحابه مهاجرين الى يثرب .

أما الخطه الثانيه : فقد كانت تتسم ببعد النظر. حيث هى تمهيد للإعلام الدولى أو العالمى بالاسلام . وذلك بارسال أصحابه مهاجرين الى دوله أخرى خارج الجزيره العربيه . وتمهيدا لبدء مرحلة الاعلام الاسلامى الدولى أوالعالمى بعدهجرته الى المدينه .

وبذلك كانت خطط رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعلاميه الاسلاميه مترابطه ومتداخله ومتزامنه ، تخدم الخطه الحاليه منها الخطه المستقبليه ، فخطه المرحله السريه . تخدم خطه المرحله القادمه وهى الجهريه فى ذات الوقت . وخطه المرحله الجهريه التى انتقل إليها زمنيا بعد المرحله السرية تخدم خطه المرحلة القادمه وهى العالميه بعد هجرته الى المدينه .

وهكذا يُعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال الإعلام فى كل مكان أن الإعلام الاسلامى يتسم بالتخطيط الاعلامى المحكم . لتحقيق الأهداف العاجله والآجله للاتصال الإعلامى . وأن التخطيط الإعلامى ليس وليد فكر رجال الإعلام فى العصر الحديث . وانما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه وقواعده . وأرسى دعائمه ، وعلمهم الترابط الإعلامى . والتزامن بين الخطوات الاعلاميه وبعضها . حتى تكون متسقه . لاتكرار فيها . ولا تناقض بينها . فكل خطوه تخدم هدفا وتمهد فى ذات الوقت للخطوه القادمه . وتفتح لها الطريق . وتعدلها المجال .

فالهجرة الى الحبشه على سبيل المثال . كانت هدفا اعلاميا للمرحله التى يعيشها المسلمون . للاعلام عن قسوه كفار مكه . وللإعلام عن أهميه الاسلام حتى أن المسلمين تركوا المال والأهل والوطن من أجله . اعلام بكل ذلك للمكيين وللجزيره العربيه كلها . فى ذات الوقت الذى كانت فيه الهجرة إلى الحبشه تمهيدا لخطوه اعلاميه قادمه . تمت فى العهد المدنى . وهو نشر الاسلام فى الدول المجاوره كلها ، مثل مصر ودوله الفرس . ودوله الروم والبحرين وغيرها من الدول المحيطه بشبه الجزيزه العربيه .

وبذلك كانت هذه الخطوه الاعلاميه ــ الهجره الى الحبشه ــ محكمه التخطيط لخدمه هدف عاجل وهدف آجل للإعلام الاسلامى . المحلى والعالمى .

وكان من أحكام هذه الخطه الاعلاميه النبويه . أنه اختار الحبشه . ولم يبعث أصحابه مهاجر الى الفرس أو الى الروم أو غيرها . وانما أرسلهم إلى الحبشه . مع أن طريقها يعد أصعب من غيره لوجود البحر فيه . وربما كانت طبيعه أهل الحبشه ولغتهم تختلف عن أهل الجزيره العربيه . ولكن النبى صلى الله عليه وسلم اختار الحبشه مع ذلك لعدة أسباب .

أولا : لأن أهلها من أهل الكتاب ــ النصارى ــ الذين كانوا يجدون فى كتبهم أن نبيا مبعوثا قد أطل زمانه وانهم ينتظرون بعثته . و يعرفون صفته واسمه وزمانه . ومكانه . فكانوا أقرب للتصديق من غيرهم .

ثانيا : أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم شيئا عن النجاشي ملك الحبشه وعدالته . بدليل انه قال لأصحابه أن بها ــ أى الحبشه ــ ملك لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه .

ثالثا : يذكر بعض الرواه أن وفد النصارى الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكه كانوا من الحبشه . وقال البعض انهم من نجران . فإذا كانوا من الحبشه . فهم قد أسلموا وصدقوا . ولم يرجعوا عن الإسلام . لما حاول أبوجهل وعصابته تبكيتهم وردهم عن الاسلام .

« يقول ابن كثير فى تفسيره لقول الله عز وجل فى سوره القصص « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا و يدرءون بالحسنة السئيه ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين » قال وسألت الزهرى عن هذه الآيات فيمن نزلت . قال مازلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن فى النجاشى وأصحابه رضى الله عنهم والآيات اللاتى فى سورة المائده **« ذلك بأن منهم قسسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ــ الى قوله ــ فاكتبنا مع الشاهدين »**(١) .

لكل هذه الأسباب وغيرها أرسل النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه مهاجرين إلى الحبشه . ولم يرسلهم إلى بلد آخر أودولة أخرى . حتى لاتحدث لهم معارضة . أو أذى . مما يعوق مهمتهم الإعلاميه فى الدولة التى يذهبون إليها و يبدد جهودهم . و يؤدى الى خفض روحهم المعنو يه . فقد تركوا الاضطهاد والأذى والتعذيب فى مكه ليجدوه فى مكان آخر . إنْ حدث هذا فإنما يؤدى إلى خذلانهم .
أمّا أنْ يحدُث ماحدث فى الحبشه من ترحيب النجاشى و بطارقته وأهل الحبشه

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٩٤.

بهم وبدعوتهم فإن هذا يزيدهم إيمانا بدينهم . ويجعلهم يزدادون ثقه فى الرساله ورسولها صلى الله عليه وسلم . كما يريهم أن أهل مكه فى ضلال وعناد وطغيان بالفعل . مما يجعلهم لايندمون على هجرتهم ولاخروجهم من مكه ولاتركهم لأوطانهم فى سبيل هذا الدين .

كما أن تصديق أهل الحبشه للاسلام والمسلمين يؤدى الى استمرارهم فى حملاتهم الإعلاميه للاسلام . فهو بمثابة رد الفعل . والإعلامى يهمه كثيرا أن يتعرف على رد الفعل الخاص برسالته الاعلاميه . وما أثمرت عنه . فإن كانت نتيجتها ايجابيه فإن ذلك يشجعه و يدفعه الى مزيد من العمل الإعلامى . أما إذا كانت نتيجة العمل الإعلامى — أو رد الفعل — سلبية فإن ذلك يؤدى الى تثبيط الهمم وخفض الروح المعنوية . وربما كان هذا من الأسباب التى أدت إلى أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يهاجروا إلى الحبشه لا إلى غيرها من الدول .

وقد كانت هجرة الصحابة إلى الحبشه هجره إعلاميه بالاسلام وله بكل المقاييس فلم يكن الهدف منها الفرار بالدين . ولم يكن الهدف منها ناحية الأمن أو التأمين للمهاجرين . فهى كهجرة النبى صلى الله عليه وسلم . من هذه الزاوية — إعلامية تماما — فلم تكن هجرة النبى ولا اختفائه فى الغار لدواعى الأمن وانما لدواعى الإعلام كما ذكرنا من قبل .

فلو كانت الهجرة إلى الحبشه الفرار بالدين لهاجر الصحابة جميعا والرسول صلى الله عليه وسلم معهم حفاظا على الدين متمثلا فى هؤلاء الرجال . ولكن سنرى أنها بدأت بعدد قليل من المهاجرين . ثم ازداد عددهم . وبقى معظمهم فى مكه . فهى إذن لم تكن فرارا بالدين .

ولو كانت الهجرة الى الحبشة لدواعى الأمن والبعد عن الأذى والتعذيب فى مكة . لكان أولى بالهجرة أولئك الذين يعذبون من العبيد والمستضعفن . أما أن يهاجر عثمان بن عفان وزوجته رقيه بنت محمد صلى الله عليه وسلم وجعفر بن أبى طالب بن عبدالمطلب وغيرهم من السادة وذوى المنعة فى مكه . ويهاجر أبوموسى الأشعرى من اليمن الى الحبشه مباشره وهو لايقاسى أذى ولاتعذيبا فى بلاده . فى ذات الوقت الذى يبقى فيه بلال وهو حبشى أصلا . وخباب وآل ياسر وغيرهم

من المستضعفين الذين يلقون الأذى والعذاب . فهذا يدعونا الى القول بأن الهجره الى الحبشه لم تكن فرارا بالدين ولابعدا عن الأذى والتعذيب . وانما كانت اعلاما بالاسلام . ونشر الرسالته فى مكه ذاتها تلك التى خرجوا منها . وفى الطرق التى سلكوها . وفى البلاد التى ذهبوا إليها . وعاشوا بين أهلها ، حتى السنه السابعه من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينه . ولم يرجعوا فور هجرته الى المدينه . ولو كانت الهجره فرارا أو خوفا لرجع المهاجرون إلى المدينه فور استقرار الأمور بها . حيث استتب الأمن وأصبحت الدولة الاسلاميه قو يه منيعة . هزمت المكيين فى بدر . وحاصرت اليهود وأصبحت دولة قو يه بكل المقاييس والمعانى .

وفى هذا يقول الأستاذ محمد شديد : « الواقع أن هذه الهجرة — الى الحبشه — لم تكن لمجرد الفرار والنجاة — إنما كانت أولى محاولات الرسول المتكرره . التى بذلها فى البحث عن مكان آمن . عن قاعدة جديدة . يتجمع فيها المؤمنون . وتصلح مركزا جديدا لدعوته يقيم فيها مجتمعه ودولته » (٢) .

و يقول الدكتور رؤوف شلبى أيضا مؤكدا ذلك « وفى هجرة سيدنا جعفر بن أبى طالب فى المرة الأولى دليل واضح على أن الهجرة أر يد منها كذلك أن يسمع الناس عن الإسلام بالاضافه إلى بعد المسلمين عن مواطن الأذى .

إذ أن جعفر بن أبى طالب أخ على بن أبى طالب . وعلى لم يهاجر . وأبوهما أبوطالب يدافع عن الدعوة . ما قصر يوما فى حمايتها . ولاآذى عليا يوم أن رآه يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خفية . بل قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه » .

وإن فلماذا يهاجر جعفر بن أبى طالب فى السنة الخامسة من المبعث ووالده مازال حيا . ومازال منافحا مدافعا عن الدعوة ؟

إن أمر هجرته هو أمر تبليغ الدعوة بالطر يقة الذاتية لها . وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم . أعلم الناس به وأعرفهم بأحواله وأحقهم بحمل رسالته . ولهذا كان هو المتحدث مع النجاشى فى شأن الفتنة التى تودها قر يش . لما أرسلت رسوليها فى طلب المهاجر ين إلى الحبشه » (٣) .

---

(٢) محمد شديد ، الجهاد فى الاسلام (القاهره : مؤسسه المطبوعات الحديثه ، مجهول السنه) ص ٤٧ .

(٣) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .

وما يذكره البعض من أن أمر النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشه إنما كان لابعادهم عن الأذى مثل قول ابن اسحاق : « فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايصيب أصحابه من البلاء . وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ، ومن عمه أبى طالب . وأنه لايقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لوخرجتم إلى أرض الحبشه فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد . وهى أرض صدق . حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه . فخرج المسلمون عند ذلك من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . إلى أرض الحبشه . مخافة الفتنه . وفرارا إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت فى الاسلام »(٤) .

إذا صح هذا الرأى — علما بأنه رأى مؤرخ — أى ليس نصّ حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذا صح هذا فإنما كان لتشجيع الصحابة على الهجرة . وطمأنة نفوسهم وقلوبهم الى أن البلاد . التى سوف يهاجرون إليها لاعناء فيها ولاتعب ولامشقه . فهى أرض صدق . وملكها لايظلم عنده أحد . وهذا وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمسلمون يعلمون صدقه . لايشكون فى ذلك مطلقا لذا أعتقد أن هذا كان لطمأنه نفوسهم . ولتشجيعهم على الهجرة الى هذه البلاد التى لايعرفون أحدا فيها . فهى تجربه جديدة وقاسيه بحق — وكان الاقدام عليها . يحتاج الى تشجيع وحث من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يكن نص حديث النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن قال لهم هاجروا فراراً بدينكم . أو ابتعدوا عن الأذى . وإنما هذا رأى كتاب السيرة والمؤرخون . أما نص كلام النبى صلى الله عليه وسلم فهو « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد . وهى أرض صدق . حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » .

فقد قال « حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » . وربما كان المقصود بكلامه صلى الله عليه وسلم فى هذه الجملة أى حتى يجعل الله لكم فرجاً فتنتشر الدعوة بهجرتكم وجهدكم فى هذه البلاد . حيث أن انتشارها فى مكة وحول مكة كان بطيئا . وان فهم منها كتاب السيرة مافهموا فلاحرج . ولكننا نرى ذلك من

(٤) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٥ .

منظور اعلامى . ان هذا كان تخطيطا اعلاميا لنشر الدعوة . والاعلام عنها ، بدليل ان المهاجرين الأوائل لم يكونوا من المستضعفين ولامن العبيد . ولا ممن يؤذون فى مكة . وإنما كانوا من ذوى المنعة والعزة فى أقوامهم حيث خرج مهاجرا عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وأبوحذيفة بن ربيعة بن عبد شمس وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو . والزبير بن العوام . ومصعب بن عمير بن هاشم . وعبد الرحمن بن عوف . وأبوسلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة . وعثمان بن مظعون . وعامر بن ربيعة . وامرأته ليلى بنت أبى حثمه . وأبوسبرة بن أبى رهم العامرى وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو . وأبوحاطب بن عمرو وابن عبد شمس . وأبوسهيل بن بيضاء . ثم خرج جعفر بن أبى طالب وامرأته أسماء بنت عميس ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها . منهم من خرج بأهله معه . ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه » (٥) .

وهؤلاء المهاجرون الأوائل الى الحبشة أشراف القوم . وأصحاب العزة والمنعة ، حتى وان لاقى بعضهم الأذى عند دخوله الاسلام . إلا أن ذلك لم يكن بالقسوة والاستمرارية التى كانت تدعو الى الهجرة وترك الأهل والوطن .

فقد كانت الهجرة الى الحبشة إذن اعلاماً عن الاسلام . ونشرا للرسالة وبثا للدعوة ، بصورة محكمة ، تتسم بالتخطيط الدقيق . والتكامل الاعلامى الذى لا مثيل له .

وكما بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بأسرته حال أمر الله له بالابلاغ بالدعوة فى المرحلة السرية . فدعا خديجة وزيد وعلى وجميعهم دخل الاسلام ، حدث مثل ذلك وعلى ذات المستوى . لما أمره الله عز وجل بالجهر بالدعوة فبدأ بأهله وعشيرته . بدأ ببنى عبد المطلب فصنع لهم الطعام عدة مرات ثم دعاهم و بلغهم برسالته . ثم انتقل الى دعوة بطون مكة الأقرب فالأقرب ، وهكذا .

---

(٥) المرجع السابق ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

ثم تكرر ذلك فى الهجرة الى الحبشة . والتى كانت بداية لمرحلة الاعلام العالمى . فكان من المهاجرين الأوائل صهر النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان . وزوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وجعفر بن أبى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم . و بذلك ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى بنفسه دائما . حيث كان يبدأ العمل الصعب بنفسه و بأهله ، حتى يكون ذلك دافعاً لأصحابه للعمل بحماس واخلاص . فلا يمكن لأحد أن تحدثه نفسه بشئ من الاعتراض أو التراخى عن العمل ، فهذا هو النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ما يأمرهم به ، وها هو يدفع أهله أولاً لمثل هذه المهمات الصعبة التى يكلفهم بها ، فماذا بعد أن تهاجرا بنته وزوجها الذى هو ابن عمه عثمان بن عفان . وابن عمه جعفر بن أبى طالب . ومعظم المهاجرين الأوائل كانوا من بنى هاشم ومن بنى أمية ومن بنى عبد شمس وكلهم من أولاد عمومة النبى صلى الله عليه وسلم .

وسنعرض بعض نماذج التأثير الاعلامى الذى أحدثته الهجرة الى الحبشة فى مكة قبل أو أثناء خروج المهاجرين من مكة الى الحبشة . وفى أرض الحبشة ذاتها . حيث كان لقاء المهاجرين بالنجاشى . مؤثراً فى المكيين الذين جاءوا لردهم الى بلادهم والعودة بهم . ومؤثرا أيضا فى النجاشى و بطارقته .

حينما بدأ المسلمون يستعدون للخروج من مكة الى الحبشة بعد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بذلك . بدأ كفار مكة ينظرون إليهم بدهشة وغرابة . ماذا يفعل هؤلاء الناس . هل يريدون الارتحال من مكة وإلى أين ؟

وأثار ذلك فكر هؤلاء المكيين المعاندين . وأدى ذلك الى التأثير فى بعضهم . وكان دافعاً إلى اسلام من أراد الله عز وجل لهم الخير والهداية . وكان من هؤلاء عمر بن الخطاب . والذى كان من القساة على المسلمين فى مكة . ولكنه تأثر بمنظر المهاجرين الى الحبشة . وأدى ذلك الى تفكيره فى الاسلام .

قال ابن اسحاق : « عن أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا . إذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىّ وهو على شركه . قالت : وكنا نلقى منه البلاء . أذى لنا وشدة علينا . قالت ، فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله ، فقلت : نعم والله ، لنخرجن فى

أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا . حتى يجعل الله مخرجا . فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة . لم أكن أراها . ثم انصرفت وقد أحزنه — فيما أرى — خروجنا . قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أباعبدالله ، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا .

قال : أفطعمت فى إسلامه ؟

قلت : نعم .

قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب .

قالت : بأسا منه . لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام »(٦) .

أدخل هذا المنظر الرقة فى قلب عمربن الخطاب الذى كان يتسم بالقسوة والغلظة والشدة على المسلمين . والذى كان يؤذيهم و يعذبهم . حتى إن عامربن ربيعة يظن أن إسلام حمار الخطاب أقرب من إسلام عمربن الخطاب .

وصل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة . فأقاموا فيها . ورأت قريش أن نجاح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى المقام بأرض الحبشة ، سوف يتبعه قيامهم بنشر دعوتهم هناك . وربما أدى هذا إلى أن يتكون فى الحبشة مجتمع جديد يقوم على حماية هذا الدين . وفى هذا نجاح لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم من جانب وهم لايحبون ذلك . ومن جانب آخر فإن هذا فى حد ذاته خطراً يتهددهم فالحبشة يذهبون اليها بتجاراتهم ولا يحبون أن ينتشر الاسلام هناك حتى لا يفقدوا سوقا رائجة لتجارتهم .

من أجل ذلك أرسلت قريش اثنين من أذكى أبنائها . يحملان الهدايا لملك الحبشة . وقد أحكما جيداً خطة الهجوم على هؤلاء المسلمين بأرض الحبشة .

وسنرى أن رد المسلمين على الدعاية المضادة لهم والتى شنتها عليهم قريش فى أرض الحبشة ، كانت سبباً فى اعلام النجاشى ملك الحبشة بحقيقة أمر هؤلاء المسلمين ، وحقيقة دعوتهم . وأمر نبيهم ، وكان ذلك سبباً فى مساندته لهم ، ووقوفه الى جانبهم ، وتأييده لدعوتهم ، بل كان ذلك كما سنرى سبباً فى أن يفكر قائد وفد

---

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

قـريش والمتـحدث بلسانها ، فى الاسلام ، وقال بعض المؤرخين ان الاسلام دخل قـلـب عـمـرو بـن الـعاص لما سمع كلام جعفر بن أبى طالب أمام النجاشى . وهذا شأن دعوه الحق . وهذا شأن تأثير الإعلام الاسلامى .

يقـول ابـن كثير : « بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية . فلما دخلا على النجاشى سجدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله . ثم قالا له : إن نفراً من بنى عمنا ، نزلوا أرضك ، ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟

قالا : فى أرضك ، فابعث إليهم ، فبعث إليهم .

فقال جعفر بن أبى طالب : أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه ، فسلّم ولم يسجد .

فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك ؟

قـال جـعـفـر : إن الله بـعث إلينا رسولا . ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا الله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص للنجاشى : فإنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

قال النجاشى : فما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه .

قال جعفر : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول . التى لم يمسها بشر . ولم يفرضها ولد .

قال : فـرفـع الـنجاش عودا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشه والقسيسين والـرهـبـان . والله مايز يدون على ذلك نقول فيه ما سوى هذا ، مرحبا بـكـم . وبمـن جئتم من عنده وأشهد أنه رسول الله . وأنه الذى نجد فى الأنجـيـل . وأنـه الـرسـول الـذى بـشّر به عيسى بن مريم . انزلوا حيث شـئتم . والله لـولا مـا أنـا فـيـه من الملك . لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه .

وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما » (٧) .

---

(٧) ابن كثير ، البدايه والنهايه ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٦٩ .

هكذا كان أمر المسلمين حين حضروا إلى مجلس النجاشى . فقد مارسوا الإعلام عن الاسلام منذ دخولهم . بالفعل و بالقول . فلم يسجدوا للملك . وكان هذا غيرما تعوده أهل هذه البلاد . فقد تعودوا السجود للملك كنوع من تحيته عند لقدوم عليه .

أما جعفر بن أبى طالب فلم يسجد وانما حياه يتحية الإسلام . وكان هذا مدعاة للسؤال . فلما سئل عن ذلك اجاب .

إنا لانسجد إلا لله عز وجل .

وتذكر بعض الروايات أن طريقه تحيه جعفر للنجاش قد أثارت الحديث مباشرة دون مقدمات ولا كلام :

« ذكر موسى بن عقبه أن امراء النجاش قد أشاروا عليه برد هؤلاء المسلمين بعد أن أخذوا الهدايا من عمرو بن العاص وسمعوا مقالته .

فقال النجاش : لا والله حتى أسمع كلامهم . وأعلم أى شىء هم عليه ؟

فلما دخلوا سلموا ولم يسجدوا له .

فقال : أيها الرهط ألا تحدثونى مالكم لاتحيونى كما يحيينى من أتانا من قومكم ؟

فأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى وما دينكم ؟

أنصارى أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : أفيهود أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : فعلى دين قومكم .

قالوا : لا .

قال : فما دينكم .

قالوا : الاسلام .

قال : وما الاسلام ؟

قالوا : تعبد الله ولاتشرك به شيئا .

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا : رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه . بعثه الله إلينا كما بعث الرسل الى من قبلنا فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة . ونهانا أن نعبد الأوثان . وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له . فصدقناه . وعرفنا كلام الله . علمنا الذى جاء به من عند الله . فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا . وعادوا النبى الصادق ، وكذبوه ، وأرادوا قتله . وأرادونا على عبادة الأوثان . ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .

قال : والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى .

قال جعفر: وأما أمر التحية . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنه السلام . وامرنا بذلك بذلك فحييناك بالذى يحيىّ بعضنا بعضا .

وأما عيسى بن مريم فعبد الله ورسوله . وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . وابن العذراء التبول .

فأخذ النجاش عودا من الأرض وقال : والله مازاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود .

فقال عظماء الحبشه : والله لئن سمعت الحبشه لتخلعنك .

فقال : والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبدا . وما أطاع اللهُ الناسَ فىّ حين ردّ علىّ ملكى . فاطع الناس فى دين الله . معاذ الله من ذلك » (٨) .

بذلك بدأ المسلمون الإعلام عن دينهم بعزه وكبرياء . و بأدب ولباقه وكياسة . وقد كان ردهم على سؤال النجاشى عن التحية التى حيوه بها ولم يحيوه كما تعود أهل قومهم . وكان ردهم عليها بعد شرح ملخص مايأمر به دينهم . فعرضوا فى ايجاز وسرعة ووضوح . من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومايأمر به من أمور كريمه . وأخلاق حسنه . ثم عرضوا اعتداء الكفار عليه وعليهم ومعارضتهم . ثم عرفوه أنهم جاءوه طمعا فى عدالته كما قال لهم نبيهم . وقد صدق

(٨) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اللحظه الأولى بأنه ملك لا يظلم عنده أحد . حيث لم يردهم ولم يصدق مقوله مبعوثى كفار مكه مع كونهم يحملون الهدايا . ومع كونهم أحسنوا عرض مطلبهم . ومع أن ذلك قد أثر فى البطارقه أو العظماء فطلبوا رد هم ولكنه لعدالته قال : لا والله حتى اسمع كلامهم .

ثم حدثوه عن التحيه . فقالوا أن الاسلام يأمر بعدم السجود إلا لله عز وجل . وانهم حيّوه بالتحيه التى امرهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تحيه أهل الجنه . وانهم يحيون بعضهم بعضا هكذا . وأنه لابد يجب أن يكون من أهل الجنه . وقد أخرّ جعفر الاجابة على هذا السؤال مع أنه كان فى البداية ليجذب الانتباه الى حديثه .

ثم تحدثوا عن عيسى بن مريم فى احترام ومحبه . فعرضوا مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . و يقال أن هذا حدث فى اليوم التالى . حيث رد كفار مكه فى اليوم الأول . فأراد عمرو بن العاص أن يكيدلهم . فعاد فى اليوم الثانى فقال للنجاشى إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما فاستدعاهم . وسمع منهم مقالتهم فى عيسى . و يقال أن جعفر بن أبى طالب قرأ عليه صدرامن سوره مريم كما تذكر كتب السيره .

فاقسم النجاشى انهم صادقون . وسمح لهم بكريم المقام فى أرضه وهكذا يغلب إعلام المسلمين والاعلام الإسلامى على الدعاية السوداء التى شنها عليهم كفار مكه . واقام المسلمون بخير دار فى الحبشه حتى السنه السابعه من الهجره .

وقد اهتم النجاشى بأمرهم لما دخل الحرب ضد خصومه وخشى أمره . وأصبح المسلمون لذلك فى همّ شديد . وتذكر كتب السيره أن النجاشى جهّز سفنا لهؤلاء المسلمين . وأمرهم أن يكونوا فيها . فإن غُلب على أمره فليذهبوا حيث شاءوا وإن كتب الله له النصر فليعودوا آمنين . واهتّم المسلمون بدورهم بأمر النجاشى فأرسلوا الزبير بن العوام ليحضر الوقعة على من تكون فنخفوا له قر به فجعلها تحت صدره وعبر النيل عليها . وعاد فقال ابشروا فقد أظهر الله النجاشى . ففرحوا بذلك فرحا عظيما . يقولون : فوالله مافرحنا بشىء قط فرحنا بظهور النجاشى . واقاموا عنده فى خير دار .

تـأثـر الـنـجـاشـى بما سمع عن الإسلام . وتأثر القساوسه و بكوا حتى اخضلّت لحـاهـم مـن كـثـرة دمـوعهم . وشهد النجاشى شهاده الحق . ولما مات صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة الغائب . وهذه شهاده بأنه مات مسلما .

كـان مـن تـأثير الجـهـد الإعـلامـى لـلـصـحـابـة أيضا فى هذه الهجرة أن عمرو ابـن الـعـاص نـفـسـه قـد راجـع نـفـسـه بعد أن سمع ماسمع . فقد كان فى مجلس الـنجاشى مجبراً على أن يسمع . كلام جعفر . وحديثه عن الاسلام ومايأمر به حتى إن بـعـض المـؤرخين يـذكـرون أن هـذا المـوقـف كـان مـن أسـبـاب اسلام عمرو بن العاص .

وبـذلـك كانت مهمة الهجرة الى الحبشه التى قام بها الصحابة رضى الله عنهم مـهـمـة اعلاميه من بديتها الى نهايتها . وقد رجع بعض الصحابة من الحبشه إلى مكه بعد هجرتهم بوقت لما سمعوا أن مكه قد فتحها الله لرسوله باسلام سادتها وكان من هـؤلاء مـصـعـب بـن عمير . ولما علموا بكذب الخبر الذى سمعوه . منهم من عاد الى الحـبـشـه . ومنهـم مـن تـوجه الى مهمة اعلاميه أخرى فى مكان آخر بعد أن كانت الهـجـرة الأولى الى الحـبـشـه وتـدر يبا له . وكان هذا هو مصعب بن عمير . حيث أرسله النبى صلى الله عليه وسلم فى مهمة إعلامية الى يثرب .

ثانيا : إرسال مصعب بن عمير الى (يثرب) المدينه :

كانت المهمة التى أرسل إليها مصعب بن عمير الى يثرب مهمة إعلامية محدده . أى لنوع معين أو وظيفه محدده من وظائف الإعلام . وهى الهدف الرئيسى من إرساله . الى جانب ممارسة الإعلام عن الإسلام بصفه عامه . فهذه مهمة لا يغفل عنها رجل دخل الإسلام وعاش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتعلم منه .

فأما الوظيفة الإعلامية المحدده التى أرسل مصعب إلى يثرب من أجلها . فهى وظيفه التعليم . تعليم القرآن وقواعد الدين لمن أسلموا فى المدينه . وذلك إلى جانب ممارسة الإعلام عن الاسلام بصفه عامه لغيرهم فى المدينه .

كان مصعب بن عمير قد هاجر الى الحبشة مع الذين هاجروا فى البداية . وسمعوا أن الاسلام قد فشا بمكه . وأن المشركين قد أسلموا وصلّوا . فلما قدموا مكه . وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ومصعب بن عمير . فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحا ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكه .

وهكذا كانت هجره مصعب بن عمير إلى الحبشه بمثابه البعثه التدريبية له على مفارقه الوطن والأهل . والقيام بأعمال الإعلام من أجل الإسلام . وملاقاة المشقه والمعاناة من أجل ذلك . وهذا يدل على أن مصعب بن عمير قد ذهب فى مهمته إلى يثرب وهو يعلم تماما ما يحوطها من مخاطر . وما يحفّها من متاعب . ولكنه مصعب بن عمير الذى خرج من الترف والبذخ الى الخشونه وشظف العيش حبّا فى الله وحبّا فى رسوله صلى الله عليه وسلم .

لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فى المرة الأولى على بيعة النساء أرسل معهم عند انصرافهم مصعب بن عمير . وأمره أن يقرئهم القرآن . و يعلمهم الإسلام . و يفقههم فى الدين .

ولم يكن أختيار النبى صلى الله عليه وسلم لمصعب اختيارا عشوائيا . وإنما اختار رجل إعلام متكامل الصفات . يصلح لهذه المهمة تماما . فهو من أكابر القوم — قريش — وهو قد تربى فى بيئة تتسم بالنعيم المادى . مما يضفى على أخلاقه وسلوكياته دماثه فى الخلق . وحسن معامله . وحسن تصرف .

وكان مصعب بن عمير من أذكى شباب مكه . شبابا وجمالا وأناقه . وحسن مظهر . ثم أسلم وترك عبادة الأصنام . فغضبت عليه أمه غضبا شديدا . وأصرت على كفرها وأصر على ايمانه . وفارق أمه . وفارق النعيم الذى تربى فيه . ونشأ عليه وعاش فيه .

ولم تكن خساره مصعب فى فراق أمه إلا خساره مادية . فقد تغيرت حالته من النعومة . الى الخشونه ، ومن طيب العيش إلى شظف العيش . ومن أناقه المظهر وحسن الشباب إلى رثاثه الثياب . أما النواحى المعنويه فقد ازدادت جمالا على جمالها . ازداد عقلا راجحا . وقلبا خاشعا . و يقينا وإيمانا بالله عز وجل .

« خرج مصعب يوما على بعض المسلمين . وهم جلوس حول رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما إن بصروا به حتى حنوا رؤوسهم . وغضوا أبصارهم . وذرفت عيونهم دمعا شجّيا .

ذلك أنهم رأوه يرتدى جلبابا مرقعا باليا . وعاودتهم صورته الأولى قبل إسلامه . حين كانت ثيابه كزهور الحديقة . نضرة وألفا وعطرا .

وتملّى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهده ، بنظرات حكيمة شاكره محبّه . وتألقت على شفتيه ابتسامته الجليلة . وقال :

« لقد رأيت مصعبا هذا ، وما بمكه فتى أنعم عند أبو يه منه ، ثم ترك ذلك حبّا لله ولرسوله » .

اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعظم مهمة فى حينها . أن يكون سفيره فى المدينه . يفقه الأنصار الذين بايعوا عند العقبة . و يدخل غيرهم فى دين الله . و يعد المدينة ليوم الهجرة العظيم .

كان فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من هم اكبر منه سنا . واكثر جاها . وأقرب من الرسول قرابه . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار مصعب الخير . وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة . و يلقى بين يديه بمصير الإسلام فى المدينة التى ستكون بعد حين من الزمان قريب ، دار الهجرة ، ومنطلق الدعوة والدعاة . والمبشرين والغزاة .

وحمل مصعب الأمانة مستعينا بما أنعم الله عليه من عقل راجح . وخلق كريم . ولقد غزا أفئدة أهل المدينة بزهده . وترفعه واخلاصه . فدخلوا فى دين الله أفواجا .

لقد جاء هم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها . وليس فيها سوى اثنى عشر مسلما . هم الذين بايعوا النبى من قبل بيعة العقبه . ولكنه لم يكد يتم بينهم بضعة أشهر حتى استجابوا لله وللرسول .

وفى موسم الحج التالى لبيعة العقبة ، كان مسلموا المدينة يرسلون إلى مكة للقاء الرسول وفدا يمثلهم و ينوب عنهم . وكان عدد أعضائه سبعين مؤمنا ومؤمنه جاءوا تحت قيادة معلمهم . ومبعوث نبيهم صلى الله عليه وسلم إليهم مصعب بن عمير .

لقد أثبت مصعب بكياسته وحسن بلائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف كيف يختار .

فلقد فهم مصعب رسالته تماما . ووقف عند حدودها . عرف أنه داعية إلى الله . ومبشر بدينه الذى يدعو الناس إلى الهدى . وإلى صراط مستقيم وأنه كرسوله الذى آمن به . ليس عليه إلا البلاغ »(٩) .

واجه مصعب بن عمير مهمة صعبه . فهو مجتمع جديد — مجتمع يثرب — يختلف عن مجتمع مكه . فهم مجاورون لليهود . واليهود يعرفون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه . و يناصبونه العداء . فكيف يواجه مبعوثه — مصعب — مهمته فى هذا المجتمع .

---

(٩) خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، الجزء الأول (القاهره : دار المعارف ، ١٩٧٩) ص ٤٧ — ٥٠

ومن هنا كانت أهميه اختيار مصعب بالتحديد . فهو صاحب خلق كريم . وأصل عريق . وذكاء حاد . وهجرة إلى الحبشه . كانت هى الهجرة الأولى ، وتدرب فيها على خوض الصعاب . ومواجهة المجتمعات الجديده .

ولولا أن مصعب بن عمير كانت له صفات الإعلامى الواثق برسالته المحب لها . لما تحمل كل هذا من أجلها . فذلك الذى تحمل من أجل هذه الرساله ما ذكرناه من فراق أمه . وفراق النعيم وطيب العيش . وحسن المظهر . الى العكس تماما من الناحية الماديه . أفلا يتحمل من أجلها . مشقه إلا بلاغ والهجره . انه صاحب هجرتين . هجره الى الحبشه . وهجرة إلى يثرب لقد تحمل الحياة القاسيه حياته كلها . حتى سقط شهيدا مدافعا عن الاسلام فى أحد . وهو يتصدى للدفاع عن وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى ظن المشركون حين قتلوه أنهم قتلوا محمدا .

« يقول خباب من الأرت :

هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله نبتغى وجه الله فوجب أجرنا على الله . فمنا من مضى . ولم يأكل من أجره فى دنياه شيئا — منهم مصعب بن عمير — قتل يوم أحد . فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمره .. فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرّت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه برز رأسه . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجعلوها مما يلى رأسه . واجعلوا على رجليه من نبات إلا ذخر » .

ثم ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسى — نظرة على بردته التى كفّن فيها وقال « لقد رأيتك بمكه . وما بها أرق لُمة . ولا أحسن لُمّة منك . ثم ها أنت ذا شعث الرأس فى برده » (١٠) .

كانت هذه صفات الإعلامى الذى أرسله النبى صلى الله عليه الى يثرب قبل هجرته إليها . ولنضرب مثالا لممارسته — رضى الله عنه — للإعلام الاسلامى فى يثرب . بعد أن بعثه النبى صلى الله عليه وسلم معلما وإعلاميا .

---

(١٠) المرجع السابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

قال ابن اسحاق : « خرج أسعد بن زرارة بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل . ودار بنى ظفر . وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة . فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر، على بئر يقال لها بئر مرق . فجلسا فى الحائط . واجتمع إليهما رجال ممن أسلم . وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل . كلاهما مشرك على دين قومه . فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك . انطلق إلى هذين الرجلين الذين قد أتيا دار ينا ليسفها ضعفاءنا . فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دار ينا . فإنه لولا أن أسعد بن زراره مَنْ حيثُ قد علمت كفيتك ذلك . هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما .

فأخذ أسيد بن حضير حر بته . ثم أقبل إليهما . فلما رآه أسعد بن زراره قال لمصعب بن عمير. هذا سيد قومه قد جاءك . فاصدق الله فيه .

قال مصعب : إن يجلس أكلمه .

فوقف عليهما متشتما فقال : ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا . اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجه .

فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع . فإن رضيت أمرا قبلته . وإن كرهته كف عنك ماتكره .

قال : انصفت . ثم ركز حربته وجلس إليهما . فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن . فعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتهلله .

ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين .

قالا له : تغتسل . فتطهر وتطهر ثوبيك . ثم تصلى .

فقال فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق . ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن . سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم . فلما نظر إليه سعد مقبلا . قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟

قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا . وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت وقد حُدّثت أن بنى حارثه قد خرجوا إلى أسعد بن زراره ليقتلوه . وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك — أى لينقضوا عهدك .

فقام سعد مغضبا مبادرا . تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثه . فأخذ الحربة من يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج إليهما . فلما رآهما سعد مطمئنين . عرف سعد أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما . فوقف عليهما متشتما . ثم قال لأسعد بن زراره: يا أبا أمامه ، أما والله لولا ما بينى و بينك من القرابة مارمت هذا منى . أتغشانا فى دارينا بما نكره .

وقد قال أسعد بن زاره لمصعب بن عمير : أى مصعب جاءك والله سيد من ورائه من قومه . إن يتبعك هذا لا يتخلف عنك منهم اثنان .

فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع . فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟

قال سعد : أنصفت . ثم ركز حربته وجلس . فعرض عليه الإسلام . وقرأ عليه القرآن .

قالا : فعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتهُّلله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين .

قالا : تغتسل فتطهر ثوبيك . ثم تشهد شهادة الحق . ثم تصلى ركعتين . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه. وشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين . ثم أخذ حربته . فأقبل عامدا إلى نادى قومه . ومعه أسيد بن حضير. فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به عنكم .

فلما وقف عليهما قال : يابنى عبد الأشهل : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟

قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا . وأيمننا نقيبه .

قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم حرام حتى تؤمنوا بالله و برسوله .

قالا : فوالله . ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل . ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة . ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زراره . فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام . حتى لم يبق دارمن دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون » (١١) .

هكذا أدى مصعب بن عمير مهمته الإعلامية على خير وجه . فقد اختار أن يذهب مع أسعد بن زراره إلى بستان اثنان من سادة القوم . وقادة الرأى فيهم . وهو يعلم أنه باسلام هؤلاء إنما تفتح يثرب كلها . وكانت هذه مشوره أسعد بن زراره . أما دور مصعب فكان فى حسن الاستقبال وقوه الاقناع . وايجاز الرد فى منطق مقنع . حيث قال لأسيد بن حضير مع أنه وقف عليها متشتما . قال إن يجلس أكلمه . فالكلام وهو واقف غاضب . ولا يثير التفاتا . ولا يسترعى انتباها . ثم يقول له مصعب : أو تجلس فتسمع . فإن رضيت أمرا قبلته . وان كرهته . كف عنك ماتكره .

و وجد الرجل أن الكلام مقنعا . حيث فيه احترام لفكره ورأيه . وهو يتسم بالحجه والاقناع . ولم يناقشه مصعب مناقشه طو يله مثيرة . تثير رد الفعل السىء . وإنما يكلمه بايجاز وتركيز و وضوح — كما تعلم من رسول الله صلى عليه وسلم — عن الاسلام . ثم يقرأ عليه القرآن .

و يدخل أسيد بن حضير الاسلام . ويمارس الاعلام عنه فورا . فيرسل سعد بن معاذ بحيله ذكيه . حتى لا يثار و يغضب فيأبى الحضور . و يكون رأيا معاديا قبل أن يسمع .

و يكرر مصعب بن عمير ما حدث مع اسيد . يكرره مع سعد بن معاذ و يدخل

---

(١١) ابن هشام ، السيره النبو يه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٣٤ — ٣٦ .

الرجل الاسلام . و يصبح من فوره رجل اعلام بالإسلام . فينطلق إلى قومه فى ناديهم . فيدعوهم . و ينتشر الاسلام فى المدينه .

وهنا نجد الصحابه قد تعلموا الأسس الإعلاميه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد مارسوا الاعلام بصدق . حيث يقول أسعد لمصعب جاءك سيد قومه اصدق الله فيه .

و يطلب منه مصعب الجلوس . و يكلمه باقتضاب وايجاز و وضوح و يقرأ عليه القرآن . وهو ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يمارس الاعلام عن الاسلام . فالأمر لا يحتاج الى كثره الكلام . وإنما الصدق وقوة الاقناع والايجاز والوضوح . ثم تعليم العمل كيف يضع إذا دخل الاسلام .

وهكذا تثبت الأسس الاعلاميه التى علمها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسى قواعدها ودعائمها ـــ تثبت جدواها وفائدتها . فى استخدام الصحابة لها . حيث ادت الى انتشار الاسلام فى المدينه . ولنرى كيف مارس بقيه الصحابه مهامهم الإعلاميه فى هجرتهم الى يثرب .

ثالثا : هجرة الصحابه الى يثرب :

كانت هجرة الصحابة الى يثرب أحداثا إعلاميه متلاحقة ومتكرره . حيث كانت هجره كل مجموعة من الصحابه أو كل فرد منهم حدثا يثير مكه كلها . و يثير الذعر فى نفوس كفارها من المستقبل الذى ينتظر المكان الجديد الذى يتجمع فيه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . كما كان كغيره من الأحداث السابقه حين هجره الصحابة الى الحبشه يثير الفكر و يعمل العقل لدى هؤلاء المكيين . أو بالأحرى لدى ذوى العقل السليم منهم . ولدى ذوى القلوب الخاليه من الأحقاد والعناد .

قال ابن اسحاق « فلما أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الحرب و بايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه . وأوى إليهم من المسلمين . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين . بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها . واللحوق بإخوانهم من الأنصار . وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا . ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرسالا — جماعات متتالية — وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة . ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة . والهجرة الى المدينة »(١٢) .

وقد كانت هجرة الصحابة إلى المدينه (يثرب) إعلاما عن عدم قبول مكه لرسالة الاسلام . وإعلام بتكوين عاصمة جديدة لهذه الدولة التى ستقوم على هدى من هذه الرساله . كما كانت إعلاما عن عزم وتصميم المؤمنين بهذه الرساله على المضى قدما فى سبيل نصرتها ورفعتها وحمايتها مهما كلفهم ذلك من ثمن . وان كان الثمن الوطن والأهل والمال وكل شىء .

والفارق بين الهجرة الى المدينة والهجرة الى الحبشة أن الهجرة الى الحبشة قد قامت بها جماعة من الصحابة كانت مهمتهم إعلامية لهذا الدين و به . ودون أن

---

(١٢) المرجع السابق ، ص٥٨ .

تستمر جماعات الصحابة فى التتابع إلى الحبشة . فلم يكن الهدف إذن هوتكوين دوله اسلاميه فى الحبشة وإنما كانت مهمة اعلاميه محدده فى ذاتها وممهده لمهمه الاعلام العالمى عن هذه الرسالة لذا قام بها أفراد معظمهم من ذوى المنعة والمكانة والشرف والسيادة فى مكة .

كما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن الحبشه ليست هى مكان قيام الدوله الاسلاميه . بل كان يعلم أنها المدينه (يثرب) كما وضح ذلك لأبى ذر الغفارى حين أسلم فى بدايه البعثه وكما ذكرنا ذلك من قبل .

أما الهجرة إلى المدينه . فقد كانت مهمه اعلاميه اكثر اتساعا من مهمه الهجرة الى الحبشه . حيث هى اعلام عن رفض مكه بصفه نهائيه لقبول هذه الدعوه ، واعلام بأنها لن تكون عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة وإعلام عن قسوة كفار مكه وطردها لأعزو اكرم وأشرف أبنائها . واعلام ايضا عن قبول أهل المدينه ، وتمهيد لقيام الدوله الاسلامية وتمركز عاصمتها فى المدينه . وكانت مهمة هؤلاء المهاجرين فى سبقهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم تمهيد المدينه وأهلها لهذه المهمة الجليله .

وقد قام الصحابة رضى الله عنهم بهذه المهمة خير قيام . فأطاعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى يثرب . مع أن ذلك كان عزيزا على نفوسهم أن يتركوا مكه وأهله . وعاداتها . وتقاليدها . ومجتمعها بكل ما فيه ومن فيه ، الى مجتمع آخر . له عادات تختلف عن عاداتهم وتقاليدهم وهم عليه و بين أهله غرباء . وهو عليهم بكل ما فيه ومن فيه غريب .

لقد كان المهاجرون متألمون لمقامهم فى المدينه فى بداية الأمر . حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا الله لهم أن يحبب إليهم المدينه فأصبحت أشد إليهم حبا من مكه ذاتها . حتى انهم قضوا بقيه أعمارهم فيها ، بل وعاش أولادهم من بعدهم . ولم يعودوا الى مكه بعد الفتح . ولابعد موت النبى صلى الله عليه وسلم .

وسنضرب مثالا لضيق أهل مكه بالمدينه فى بداية الأمر . ولكنهم رضوا ذلك حبا فى الله وفى رسوله . لقد ضاق بلال بالمدينه . مع أن بلال ليس من اهل مكه

أصلا . بل هو عبد حبشي ومع ذلك يضيق بالمدينه و يتمنى العوده الى مكه فكيف بأهل مكه أنفسهم . ومع ذلك يحتسبون ذلك عند الله عز وجل . و يكون هذا إعلاما وعلامه على تصميمهم لنصره هذا الدين .

« عن عائشه رضى الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهى أو بأ أرض الله من الحمّى . فأصاب أصحابه منهم بلاء وسقم . فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت : فكان أبوبكر، وعامر بن فهيره، و بلال موليا أبى بكر. مع أبى بكر فى بيت واحد . فأصابتهم الحمّى . فدخلت عليهم أعودهم . وذلك قبل أن يضرب الله علينا الحجاب . ومنهم مالا يعلمه إلا الله من شده الوعك .

فدنوت من أبى بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول . ثم دنوت إلى عامر بن فهيره فقلت له : كيف تجدك يا عامر فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه * [13]

فقلت : والله ما يدرى عامر ما يقول .

قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت . ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفخ وحولى إذ خروجليل * [14]
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل * [15]

---

(١٣) طوقه : طاقته ــ روقه : قرنه .

(١٤) فخ موضع خارج مكه . والاذخر والجليل من نباتات مكه .

(١٥) مجنه : سوق من اسواق العرب فى الجاهليه بأسفل مكه . وشامه وطفيل جبلان بمكه .

قـالـت عـائـشـه رضـى الله عنهـا : فـذكـرت لـرسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم مـا سـمـعـت منهم . فقلت إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمّى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم حبب الينا المدينه كما حببت إلينا مكه . أو أشد . و بارك لنا فى مدها وصاعها . وانقل و باءها الى مهيعه (الجحفه) » (١٦) .

هكذا كان يهذى بلال وهو مريض بحب مكة وسوقها ونباتها وجبالها و يتمنى المبيت ليلة فيها . ورؤ يه جبالها . وأماكنها . فكيف بأصحاب مكه أنفسهم الذين تـركـوا ذكـر يـات الآبـاء والأجـداد وأمجادهم وشرفهم . لقد تركوا ذلك ونفوسهم مـلـيئه بالأسى . غير أن رسالة الإسلام قد ملكت عليهم زمام أنفسهم . وتحكمت فى شـهـواتـهـم . وفى كل شىء . حتى تركوا كل ذلك حبا فى الله ورسوله . وكان هذا فى حد ذاته إعلاما عن هذه الدعوه . وكانت هذه من اكبر المهمات الإعلامية التى كـلـفـوا بهـا . ونـفـذوهـا . من أجل هذه الرسالة السمحة . والتى ملأ إعلامهم بها الـديـنـا بـأسـرهـا . على امتداد الزمان كله . واتساع الأماكن كلها . فكانوا بذلك سـاده رجـال الاعـلام الاسلامى . وأساتذته الذين مارسوه . وتعلموه من استاذهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم .

وسـنـضـرب أمـثـلـه لما تحمله الصحابة من أجل الإعلام بالإسلام فى الهجره . فنهم مـن ضـحـى بـابنه وزوجته . ومنهم من ضحى بماله وخرج لايملك من حطام الـديـنـا شـيـئـا بـعد أن كان فى مكه من الأغنياء . ومنهم من ضحى بأهله جميعا . ومنهـم مـن ضـحـى بـالجاه والشرف والسيادة وخرج الى مجتمع المدينة فردا عاديا . ومنهـم مـن خـرج بـعـد قتال عنيف فى مكة ومنهم من حبس وعذب قبل هجرته ، وكـان كـل ذلك فى حد ذاته إعلاما عن الإسلام واصرار على تبليغ هذا الدين مها كـان الثمـن . وقـد فـعلوا ذلك ومارسوا هذا الإعلام خالصا لوجه الله عز وجل . ولم يكن همهم السمعة ولاالشهرة ولاالر ياء . فكان ثوابهم الجنة ، وخلد الله ذكرهم . وجـعـلـهـم روّادا وأسـاتـذة تـتـعـلـم منهـم الـبـشـر ية الى يوم القيامة . و يتأسى بهم الـصـالحون فى كل زمان وكل مكان . وجعل سلوكياتهم فى حد ذاتها علوما يدرسها أهل العلم والعقل ليستفيدوا بها ومنها فى كل مجال .

---

(١٦) المرجع السابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

« كان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش . ومن بنى مخزوم . أبو سلمه بن عبدالأسد واسمة عبدالله . هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة . وكان قد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض الحبشة . فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج الى المدينة مهاجرا .

قالت أم سلمة : فلما أجمع أبوسلمة الخروج الى المدينة رحل لى بعيره ثم حملنى عليه وحمل معى ابنى سلمة فى حجرى . ثم خرج بى يقود بعيره . فلما رأته رجال بنى المغيره قاموا إليه . فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها . أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذونى منه وغضب عند ذلك بنوعبدالأسد . رهط أبى سلمه . فقالوا : لا والله لانترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا .

قالت : فتجاذ بواسلمة بينهم حتى خلعوا يده . وانطلق به بنوعبدالأسد . وحبسنى بنو المغيرة عندهم . وانطلق زوجى أبوسلمة إلى المدينة .

قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح . فما أزال أبكى حتى أمسى . سنة أو قريبا منها . حتى مرّبى رجل من بنى عمى . فرأى ما بى فرحمنى . فقال لبنى المغيره : ألا تخرجون هذه المسكينه ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها .

قالت : فقالوا لى الحقى بزوجك إن شئت . ورد بنوعبدالأسد إلىّ عند ذلك ابنى . فارتحلت بعيرى . ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى . ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . وما معى أحد من خلق الله ، أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى . حتى إذا كنت بالتنعيم — موضع على بعد فرسخين من مكه — لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة . أخا بنى عبدالدار . فقال لى : إلى أين يابنت أبى أميه ؟ فقلت : أريد زوجى بالمدنية . قال : أو ما معك أحد ؟ فقلت لا والله . إلا الله وبنىّ هذا .

قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير . فاطلق معى يهوى بى ، فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه . كان إذا بلغ المنزل أناخ

بى . ثم استأخر عنى . حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى . فحط عنه . ثم قيده فى الشجره . ثم تنحى عنى إلى الشجره . فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه . فرحله ثم استأخر عنى . وقال : اركبى . فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه . فقاده . حتى ينزل بى . حتى أقدمنى المدينه .

فلما نظر إلى قريه بنى عمرو بن عوف بقباء . قال زوجك فى هذه القرية وكان أبوسلمة بها نازلا . فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا الى مكه .

فكانت أم سلمة تقول : والله أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة . وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة »(١٧) .

من أجل الاسلام . ومن أجل تبليغ الرسالة . ومن أجل اقامة الدولة الاسلامية تحمل أبوسلمة الهجرة الى الحبشه أولا . ثم هاجر الى المدنيه : وكانت حادثه هجرته الى المدنيه بما فيها من آلام . خير دليل واكبر وسيله إعلام عن تصميم المسلمين على نصر هذه الرساله . ولو ترك الرجل زوجته . وابنه بعد أن رأى أن ذراعه قد خلعت أمامه . ثم يهاجر الى المدينة على هذه الحال . وتظل الزوجة — أم سلمه — بمكة صابره محتسبة . متألمة باكيه . بعيده عن زوجها الذى هاجر و بعيده عن ابنها الذى أخذه أهل زوجها بعد خلع يده . تظل عاما كاملا تبكى حتى يرحمها أحد ابناء عمومتها . وتلحق بزوجها . وكانت هجرتها ذاتها دليل على قسوة أو بالأحرى دليلا على استمرار قسوه كفار مكه . فقد خلعوا ذراع ابنها . وحبسوها . ثم عندما يتركونها تهاجر لا يصحبها أحد فيصحبها عثمان بن طلحه وهو أحد المسلمين . يصحبها صدفه فى الطريق .

إنه إعلام عن الاسلام بكل ما يستطيع الانسان من قوه وعزيمه وصبر وشجاعة . إيمان . وإعلام قوامه الإيمان الكامل بهذه الرساله . ولولا ذلك لما تحملت اسرة مثل هذا الأذى والتعذيب والتفريق فى صبر وصمت وإيمان حبا لله وحبا لرسوله صلى الله عليه وسلم . وانتظارا للمثوبة والأجر من الله عز وجل .

---

(١٧) المرجع السابق ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

ومن الصحابة من لاقى الأذى فى هجرته . ومنهم من أعاده الكفار من الطريق بحيلة أو خدعه ليرجعوا به . كما فعلوا مع عيّاش بن أبى ربيعة والذى هاجر مع عمر بن الخطاب.

« قال ابن اسحاق : خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة بعد أن تواعداهما وهشام بن العاص أن يلتقوا فى مكان يسمى — التناضب — وقال بعضهم لبعض : أينا لم يصبح عندها فليمض صاحبيه . فقد حبس .

فاصبح عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة عند التناضب — وهو المكان الذى تواعدوا عليه — وحبس هشام وفتن فافتتن .

فلما قدما المدينه نزلا فى بنى عمرو بن عوف بقباء . وخرج أبوجهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما — حتى قدما المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة — فكلما عياش . وقالا له : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك . ولا تستظل من شمس حتى تراك . فرقّ لهما .

فقال له عمر بن الخطاب : ان يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لوقد آذى أمك القمل لامتشطت . ولوقد اشتد عليها حر مكه لاستظلت فقال عياش : أبر قسم أمى . ولى هناك مال فآخذه .

قال عمر : والله انك لتعلم أنى لمن اكثر قريش مالا . فلك نصف مالى ولا تذهب معهما .

فأبى عياش إلا أن يخرج معهما . فلما أبى إلا ذلك . قال له عمر أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه . فإنها ناقة نجيبه ذلول فالزم ظهرها . فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبوجهل : يا أخى والله لقد استغلظت بعير هذا . أفلا تعقبنى على ناقتك هذه . قال : بلى ، فاناخ وأناخا التيحول عليها . فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقوه رباطا ، ثم دخلا به مكه . وفتناه فافتتن .

قال عمر فكنا نقول : لا يقبل الله ممن أفتتن توبه . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنزل الله **(قل ياعبادى**

الـذيـن أسـرفـوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا إنـه هـو الـغـفـور الـرحيم . وانـيـبـوا إلى ربـكـم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم الـعـذاب ثم لاتـنـصرون . واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وانتم لاتشعرون »(١٨) .

قال عمر بن الخطاب : وكتبتها و بعثت بها الى هشام بن العاص .

قـال هـشـام : فـلما أتـتـنـى جـعلت أقرأها بذى طوى . أصعد بها وأصوب ولا أفـهـمـهـا . حتى قلت : اللهم فهمنيها . فألقى الله فى قلبى أنها إنما نزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا .

قـال هـشام : فرجعت الى بعيرى فجلست عليه . فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينه »(١٩) .

قال ابن اسحاق : حدث بعض آل عياش بن أبى ربيعه أن أبا جهل بن هشام والحـارث بـن هـشـام لما دخـلا مـكه به . دخلا به نهارا موثقا ثم قالا يا أهل مكه . هكذا فافعلوا بسفهائكم . كما فعلنا بسفيهنا هذا(٢٠) .

هـكـذا واجـه الـصحابه الصعاب فى سبيل مهمتهم الإعلاميه التى كلفهم بها رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فى المدينه . وقد كان عمر بن الخطاب حر يصا على عـودة وتـوبـه رفـيق هجرته هشام بن أبى ربيعه حتى أنه يعرض عليه نصف ماله . و يفـند له حجج أبى جهل وأخيه . وأنهما كاذبان . كل ذلك حتى لا يعود معهما . ولما يرق لهما هشام و ير يد العوده يعطيه ناقته السر يعه ليهرب بها منهما إذا ارتاب فى أمرهما .

و يـقـوم أبـوجـهـل بالدعاية السيئه حيث يدخل مكه بهشام موثقا نهارا و يقول داعـيـا أهـل مـكه الى مثل فعله مع المهاجر ين . هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا .

---

(١٨) سوره الزمر (٥٢ــ ٥٥) .

(١٩) ابن كثير ، البدايه والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٢ .

(٢٠) ابن هشام ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٦٥ .

ثم تـنـزل آيـات الـتوبه توضح أن الله عز وجل يتوب على من فتن فيرسلها عمر ابن الخطاب الى هشام بن أبى ربيعه بمكه . و يتلوها هشام و يتوب ويهاجر و يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى ذلك اعلام برفق الاسلام ورحمه الله عز وجل بالذين أسرفوا على أنفسهم .

مـن أصحـاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشترى الهجرة بماله وأعطى أهـل مـكه كل شيء مقابل أن يتركوه يهاجر . ولم يكن ذلك سفها ولا ضعفا منه . فـهو رجل محارب قادر على ذلك . وهو صهيب . إنما يفعل ذلك اعلاما ماللعالم كله الى يوم القيامه أن الاسلام أغلى من المال . ومن النفس ومن كل شيء .

« قـال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النهدى أنه قال بلغنى أن صهيبا لما أراد الهجـرة . قـال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا . فكثر مالك عندنا . و بلغت الذى بلغت . ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك . والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى . أتخلون سبيلى ؟

قالوا : نعم .

قال : فإنى قد جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ربح صهيب . ربح صهيب » .

وفى روايـة أن صهيب سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرتين . فإما أن تكون هجر أو تكون يثرب » .

قـال صـهـيب : وخـرج رسـول الله صـلـى الله عـليه وسلم الى المدينه وخرج معه أبوبكر . وكنت هممت معه بالخروج . فصدنى فتيان من قريش .

فـجـعـلـت لـيلتى تلك لا أقوم ولا أقعد . فقالوا : قد شغله الله عنه ببطنه — ولم أكن شاكيا — فناموا .

فـخـرجت ولحقنى منهم ناس بعد ما سرت ليردونى . فقلت لهم : إن أعطتيكم أواقـى مـن ذهـب وتخـلـوا سبيلى . توفون لى . ففعلوا — فتبعتهم إلى مكة . فقلت : احفروا تحت أسكفه الباب . فإن بها أواقى وأذهبوا إلى فلانة . فخذوا الحلتين .

وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . بقباء قبل أن يتحول منه . فلما رآني . قال : « يأبا يحيى ربح البيع » .

فقلت : يارسول الله ماسبقني إليك أحد . وماأخبرك إلا جبريل عليه السلام »(٢١) .

ضحى صهيب بن سنان الرومى رضى الله عنه بالمال . وهو الغريب عن مكه .. والذى جاءها فقيرا معدما . لايمتلك شيئا وصار تاجرا غنيا ، فلم يكن له سوى المال والتجاره . هو سنده وهو جاهه . المكيّون يحتاجون إليه لتجارته لا لشىء آخر و يدخل الإسلام فى قلبه . فيهاجر مضحيا بالمال . تاركا التجاره . وتاركا كل ماله فى هذا المجتمع وهو المال والتجاره . من أجل الاسلام . ومن أجل اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم . فى المدينة ليكون الى جواره . يتعلم منه و يبلغ عنه .

ولما أراد المكيّون أن يصدوه عن الهجره ظنا منهم أنه قد ارتحل بكل ماله . حيث قالوا له : أتيتنا صعلوكا حقيرا . فكثر مالك عندنا . و بلغت الذى بلغت . ثم تريد أن تخرج بنفسك ومالك . والله لايكون ذلك .

عند ذلك يقوم صهيب بدوره الإعلامى . حيث يعلمهم و يُعلم الدنيا بأسرها أن هذا الدين وهذه الرساله أغلى من المال والتجاره وكل شىء . حيث يقول لهم بعد أن أدرك أن ماله هو كل مايهمهم . يقول لهم :

أرأيت إن جعلت لكم مالى اتخلوا سبيلى ؟ قالوا نعم . فيدلهم على ماله و يعطيهم إياه . فيتركوه يهاجر إلى المدينه .

و يصل صهيب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يبارك خطوته الإعلاميه التى قام بها و يؤيدها . و يعلمها للدنيا كلها قائلا « يا أبا يحيى ربح البيع . أو قال ربح صهيب ربح صهيب » . وهذا إعلام من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أن رساله الاسلام لايضارعها شىء من حطام الدنيا .

---

(٢١) ابن كثير، البداية ، والنهاية ،مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ولا يقف فى سبيل تقدمها غال ولا مرتخص . ولا المال ولا الأهل ولا الولد ولا الوطن ولا النفس ذاتها .

و بذلك قام الصحابه رضى الله عنهم بالمهام الإعلاميه التى كلفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومارسوها خير ما تكون الممارسه ، مستفيدين فى ذلك بما تعلموه منه صلى الله عليه وسلم من دورس وأسس وقواعد اعلاميه ومستعينين بإيمانهم العميق بالله عز وجل .

فقد رأينا أنهم قاموا بالجهد الإعلامى فى المرحله السر يه من بداية البعثه فى قبيلة غفار ودوس وجهينه وفى هجرتهم إلى الحبشه . وفى هجرتهم الى المدينه . ولقد تحملوا الأذى فى مكه وصبروا . وتحملوا الهجره والمشقه . ومفارقه الأهل والوطن . إعلاميين بدين الله عز وجل إلى كل مكان . إلى بلادنا يعرفونها . والى مجتمعات لا يألفوها . وكان سلاحهم هو ايمانهم بهذه الدعوه الذى ملك عليهم نفوسهم . وأصبحت هى حياتهم وأصبح الاعلام بها وتبليغها للدنيا كلها هو همهم الأول والأخير . وهو شغلهم الشاغل ، لا يثنيهم عن ذلك شىء . ولا يفلّ عزيمتهم شىء . ولا يقف فى سبيل تحقيق غايتهم شىء ، وسنرى فى كتاب آخر كيف انهم اكملوا هذا الجهد فى المدينه . فحملوا رساله الاسلام و بلغوها وانطلقوا اعلاميين بها وقد حملوا أرواحهم على اكفهم الى كل مكان عرفوه فى الأرض .

و بذلك تكون قد اكتملت الصوره الإعلاميه فى العهد المكى منذ اعداد النبى صلى الله عليه وسلم لحمل الإعلام بهذه الرساله العظيمه . وما تطلبه ذلك من صفات زوده الله عز وجل بها منذ ولادته الى طفولته إلى صباه الى شبابه . وما كان عليه قبل البعثه من صفات عرف بها فى المجتمع المكى . ولفتت إليه جميع اشراف وعبيد ذلك المجتمع . فكان يألفونه ويحبونه و يقدمونه فى كل خير . وكانوا يستسقون به . وكانوا إذا ذبحوا الجذور دعوه ليدعولهم فيها بالبركه . كما كانوا يلقبونه بالصادق الأمين وكانوا لا يأمنون على ودائعهم واماناتهم الا عنده صلى الله عليه وسلم . حتى بعد بعثته وهم يناصبونه العداء . كانوا أيضا لا يحفظون ودائعهم وأماناتهم إلا عنده . حتى أنه يوم الهجره — هجرته الى يثرب — ترك على بن أبى طالب ليرد الودائع الى أهلها من المكيين .

ومن هذا يتعلم القائمون على أمر الإعلام أن الإعلامى لابد له من صفات تؤهله لأن يحبه الناس ، و يقدرونه و يسمعونه كلامه ، و بالتالى يؤدى هذا إلى التأثير فيهم والاستجابة لدعوته أو إعلامه . فالجمهور إذا وثق فى القائم بالإعلام وأحبه استمع منه . وإن لم يستجب له فى العاجل استجاب له آجلا .

كما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مارس الإعلام برسالة الإسلام التى أوحى الله عز وجل بها إليه فى مكه مستعينا بإيمانه بر به . و باقتناعه برسالته العظيمه . ومستمدا استمرار يته من الصفات التى زوده الله عز وجل بها . فكان يمارس الاعلام بفكر متفتح . وقد رأينا أنه فى الفتره الأولى من بعثته مارس الإعلام وإبلاغ رسالته الى اسرته أولا . ثم الى أصدقائه المقربين المحبين له . أمثال أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقام هو ومعه هؤلاء المؤمنين به و برسالته . بتبليغ الدعوه سرّا فى مكه بما يتناسب مع الفتره الزمانيه للبعثه . وأيضا بما يتناسب مع المجتمع المكى . فلم يفاجىء هذا المجتمع مرة واحده بالإعلام عن رسالته جهرا . وانما بدأ الإعلام بها وتبليغها وشرح قواعدها وأسسها بطر يقه سر يه . وتحدثنا عن أن هذا الإعلام فى هذه الفتره السر يه لم يكن معناه أن المجتمع المكى كان يجهل أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا أمر رسالته التى يدعو إليها . وإنما كان الاعلام بمعنى التعليم والأخبار والتوجيه والارشاد الى هذه الدعوه كان يتم بطر يقه سر يه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم والذى كان أول مؤسسه إعلاميه اسلاميه .

ولما ازداد عدد المؤمنين أمر الله نبيه بالإعلام بأمر الاسلام جهرا . . وكما بدأ المرحله السر ية بأسرته . بدأ المرحله الجهر يه بعشيرته وأهله بدأ ببنى عبد المطلب . ومارس الاعلام بنفسه فى المرحله الجهر يه فى مكه وخارج مكه .

ثم انتقل الى الإعلام عن الاسلام خارج حدود الجز يره العربية فكلف أصحابه بمهام اعلاميه . الى الحبشه والى يثرب . وكما كان دأبه دائما أن يبدأ بنفسه . حيث فعل ذلك فى الاعلام فى المرحله السر يه . ثم فى المرحلة الجهر يه فعل ذلك أيضا فى مرحله بدء الاعلام الدولى بدأ بابنته وزوجها وابن عمه فكانوا على رأس المهاجر ين الى الحبشه ، ورأينا كيف أن الصحابه رضى الله عنهم قاموا بالجهد الاعلامى خير قيام من أجل رسالة الاسلام العظيمه .

ومـن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم تعلمنا كيف يكون التخطيط الإعلامى لـكـل مـرحـلـه مـن مـراحـل الاعـلام . وكـيـف تحـقـق المـرحـلـه الحاليه دورها لخدمه الـوقـت الحـاضر أى تـمـارس فيه . وكيف تمهد للمرحله القادمه وتخدمها . حيث المـرحـلـه الـسـر يـه مثلا تحقق دورها وتمهد للمرحله الجهر يه . ثم المرحله الجهر يه تحقيق هدفها وتمهد للمرحله العالميه . وهكذا .

ورأيـنـا كـيـف أن رسـائـل رسـول الله صلى الله عليه وسلم وجهده الاعلامى وجـهـد أصـحـابـه . يحـقـق اهـداف الا تصال الاعلامى العاجله والآجله فى ذات الـوقـت . كما رأيـنـا كـيـف كـانـت تصاغ هذه الرسائل بأشكال إعلاميه دقيقه . وتـصـاغ فى قـوالب فنيه جذابه . لا حشوفيها ولاتطو يل . ولا اختصار ممل . بل هى كلمات مشوقه مفيده . يعجب لها ويحبها كل من سمعها حتى الأعداء أنفسهم .

فـكيف إذن يستمد المسلمون أسسهم وقواعدهم ونظر ياتهم الاعلاميه من أحد غير رسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وسلم وقد سبق بعبقر يته الإعلاميه كل البشر فى ذلك . و بزّ كل من تصدى لهذا المجال .

وسـنـتـحـدث فى الـفـصـل الـقـادم والاخير إن شاء الله عن أشكال الا تصال الاعـلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم وكيف أرسى قواعد واصول هـذه الأشـكـال . وكيف وظّف الوسائل المتاحة فى عهد لخدمه الاعلام الا سلامى فى فـنيّه راقيه جذابه . محببه الى كل من يسمعها . غير مخلة بمعنى الرسالة الاعلاميه الاسـلامـيـه ذاتهـا . كما انها غير غـامـضه تحتاج الى ايضاح . وهو ما يحاوله أساتذه الاعلام فى العصر الحاضر أن يصلوا إليه فى صياغه أشكال التحر ير الإعلاميه .

كما سـنـرى كـيـف وظف الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الوسائل البسيطه الـتـى كـانـت متاحة فى هذا المجتمع الصحراوى البسيط . لخدمه أشكال الا تصال التى استخدمها . وكيف استخدم واستفاد من كل ذلك فى نشر الاسلام والاعلام عـنـه فى كل مكان والى كل مكان وعبر كل زمان . وسيتضح لنا ذلك إن شاء الله مـن خلال حديثنا عن أشكال ووسائل الا تصال الإعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم فى مكه .

الفصل السابع :

أشكال الاتصال الإعلامي

ـ بين وسائل الاعلام وأشكال الاتصال الإعلامي في العهد المكي

أولا : الإتصال الذاتي .

ثانيا : الإتصال الشخصي والجمعي .

ا ـ الاتصال الشخصي .

ب ـ الاتصال الجمعي .

بين وسائل الإعلام . وأشكال الإتصال الإعلامى فى العهد المكى .

حينما نتحدث عن وسائل الإعلام يتبادر إلى الأذهان ما نرى وما نسمع من الأجهزه التى تنقل إلينا الرسائل الاعلامية . على تنوع أشكالها . واختلاف أنواعها . وتنوع قوالبها الفنيه التى تمت صياغه المادة الإعلاميه وثبها عن طريقها وهذه الوسائل الموجوده فى العصر الحديث . لم توجد بمثل هذه الكثره وهذا التنوع إلا نتيجه للمخترعات العلمية الحديثه والمتطوره . . التى كانت نتيجه لجهود الكثيرين من العلماء . بعد اختراع الطباعه . واكتشاف الموجات الصوتيه على اختلافها واكتشاف طرق امكانيه نقل الصوره . وهكذا .

وإذا كان هذا هو المفهوم السائد لدى الكثيرين فى هذا العصر . إلا أن لفظ وسيلة الإعلام يحتاج الى تحديد ودقه اكثر . حتى يمكننا أن نفهم أهمية الوسيلة . والدور الذى تلعبه فى نقل الرساله الإعلاميه . ذلك أن الوسيلة فى حد ذاتها مع كونها محايده إلا أن تلقى الرسالة الإعلامية يختلف فهمه لدى المستقبل من وسيله إلى أخرى .

وفى هذا يقول إدوارد واكين « أن هناك فرقا بين أن يقرأ الموضوع الواحد فى جريده أو مجله أو كتاب . أو أن تشاهده فى السينما أو على شاشة التليفزيون . أو أن تسمعه من الراديو . فوسائل الاتصال ليست وسائل سلبيه فى نقل الرسائل . كما أنها ليست صناديق فارغه محشوّة بالمواد التى منها تتألف . فمحوى الوسيلة تتغير بتغير الناقل . ولكل وسيلة من وسائل الاتصال أسلوبها المختلف فى معالجة الرسالة . ومعنى اختلاف المعالجة أن الرسالة الفعلية التى يتلقاها الجمهور تختلف وتتفاوت .

وهذا يفسر قول مارشال ماكلوهان أن « الوسيلة هى الرسالة » ذلك أن كل وسيلة من وسائل الاتصال لها تأثير معين على ماينقل بواسطتها . أما القول بأن رسالة ماتؤدى بذاتها وبتمامها من الوسائل المختلفه . فهو غير صحيح . لأن الرسالة تختلف باختلاف الوسيلة . وبكل وسيلة من وسائل الاتصال أسلوبها الخاص فى

تنظيم فحواها وفى نقله وتوصيله . وكل وسيلة هى « لغه » من اللغات تستخدم رموزا مميزه فى توصيل رسائلها الى الجمهور»[1] .

وعلى هذا فلا يمكننا أن نحدد أهمية وسيلة الإعلام إلا إذا تعرفنا على أهميتها ودورها فى خدمه المجتمع الذى تعمل فيه . فإذا كانت وسيلة الإعلام جماهيرية فإنها تنقل الرسائل الإعلامية بصورة تختلف عن غيرها من وسائل الإعلام المحدوده التى تنقل الرسائل الاعلاميه الى عدد محدود من البشر أو فى رقعه مكانيه محدده .

وبذلك نجد أن وسائل الإعلام قد تنوعت مهمتها على اختلاف العصور ففى الوقت الذى كانت توجد وسائل إعلام محدوده كانت مهمتها فى نقل الرسائل الإعلامية تختلف عن طريقه صياغه ونقل الرسائل الاعلامية فى عصور التقدم التى وصل إليها العلم الحديث .

« وفى ذلك يرى ماكلوهان أن التاريخ الأنسانى قد مرّ بأربع مراحل هى :

١ــ المرحلة الشفوية كلية ، مرحلة ما قبل التعلم . أى المرحلة القبلية :

Totallgoral,Prehterate'I rıbalism.

٢ــ مرحلة كتابة النسخ : Cadification by scriqt التى ظهرت بعد هومر فى اليونان القديمة واستمرت الفى عام .

٣ــ عصر الطباعة من سنه ١٥٠٠ إلى سنة ١٩٠٠ تقريبا .

٤ــ عصر وسائل الاعلام الإلكترونية : من سنه ١٩٠٠ تقريبا الى الوقت الحالى . وطبيعة وسائل الإعلام المستخدمه فى كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع اكثر ما تساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل .

وهذا الأسلوب فى دراسة التطور الإنسانى . ليس أسلوبا جديدا . أو مبتكرا تماما . فيشير ماكلوهان إلى أنه مدين لمؤلفات عديدة برأيه هذا .

وباختصار يدعى ماكلوهان أن التغير الأساسى فى التطور الحضارى منذ أن تعلم الإنسان أن يتصل . كان من الاتصال « الشفهى » إلى الاتصال

---

(١) اداورد واكين ، مقدمه الى وسائل الاتصال ، ترجمه وديع فلسطين (القاهره : مطابع الأهرام التجاريه ، ١٩٨١) ص ٣٥ ، ٣٦ .

« السطرى » ـ المطبوع ـ ثم الى الا تصال « الشفهى » ـ الالكترونى ـ مرة أخرى . ولكن بينما استغرق التغيير من الشفهى الى السطرى قرونا . تم الرجوع مرة أخرى إلى الشفهى فى حياة الفرد الواحد » (٢) .

إذا كان ماكلوهان وهو من أساتذه الإعلام فى العصر الحديث يرى أن الوسيلة هى الرسالة . فقد رأى اللغويون والشعراء العرب . أن الرسول هو الرسالة . واستخدموا هذا المعنى فى اكثر من موضع .

فيرى صاحب تهذيب الصحاح أن الرسول هو الرساله و يستشهد فى ذلك بقول الشاعر :

ألا أبـلـغ أبـا عـمـرو رسـولا   بـأنـى عـن فُـتـاحـتـكـم غـنـى (٣)

و يقول ابن منظور صاحب لسان العرب : الرسول بمعنى الرسالة يؤنث و يذكر . فمن أنث جمعه أرْسُلاً .

وتراسل القوم : أرسل بعضهم الى بعض . والرسول الرساله والمرسل قال أبوذؤيب .

ألِـكْـنِـى إليـهـا وخير الـرسـول   أعـلـمـهـم بـنـواحـى الخبر (٤)

وقد قدم الأستاذ الدكتور محمد السيد بحثا قيما فى هذا المجال فى كتابه المسئوليه الإعلاميه فى الاسلام حيث ذكر أنه « عندما يطغى الاهتمام بركن من أركان العمليه الإعلامية ينسب إليه ركن آخر بل يذوب فيه . و يتركز الإهتمام على الركن الأهم وفق ظروف العصر . لقد رأى مارشال ماكلوهان أن الوسيلة تحمل الرسالة . وأطلق صيحته الوسيلة هى الرسالة . وكان ذلك تعبيرا عن أهمية الرسالة

(٢) جيهان رشتى ، مرجع سابق ، ص ٣٧٤ .
(٣) محمود بن أحمد الزنجانى ، مرجع سابق ، ص ٦٥٤ .
(٤) ابن منظور ، مرجع سابق ، ص ١٦٤٤ .

عنده . ونقيض هذا التركيز كان العرب الأقدمون يركزون على المضمون فاطلقوا اسم الرسول على الرساله . وهم يروون فى ذلك القول بيت أسامه بن لؤى :

بلّغا عامراً وكعبا رسولا   أن نفسى إليها مشتاقه

(رسولا) : فعولا . بمعنى رساله . حيث جعل الشاعر الرسول هو الرسالة و يضيفون قول الشاعر :

لقد كذب الواشون مابُحتُ عندهم   بليلى ، ولاأرسلتهم برسول

أى برسالة . وإنما سموا الرسالة رسولا إذا كانت كتابا . أو مايقوم مقام الكتاب من شعر ونحوه .

ويمكننا القول بأن الوسيلة ليست الآلة أو الجهاز . ولكنها الهيكل ، والُمنْتَج . (بضم الميم وتسكين النون وفتح التاء) أى الهيكل وحالة الإنتاج . بمعنى أن محطه الارسال بدون عمل و بدون أجهزه راديو (استقبال) أو أجهزه تليفز يون ليست وسيلة إعلام . والمطبعة بدون ورق ومادة صحفية و بدون جر يده أو مجلة ليست وسيلة إعلام . ولكنها عندما تدور دورتها الإعلامية هنا يتحقيق معنى الوسيله .

ونجد أن كلمه منبر مثلا تدلنا فى العرف الإسلامى على البناء الخشبى ذى الدرجات المعدودات فى المسجد . وهذا المنبر يقف عليه الخطيب فى يوم الجمعه قبل صلاة الجمعة فى وقت الظهر وفى وقت العيدين أيضا .

هذا المنبر فى العرف الإسلامى وسيلة إتصال . أى وسيلة إعلام إذا كان الناس فى المسجد . وإذا حضر الخطيب وإذا ألقى خطبته من فوقه وفى غير ذلك مثله مثل سجادة الصلاه . جزء من أثاث المسجد .

وكلمة منبر تدلنا فى العرف الشقافى على معنى التعبير عن الرأى . فالصحابه مبر من منابر التعبير عن الرأى . واجتماعات المجالس الشعبية الوطنية وماشابه ذلك . ولكن تصبح الوسيلة وسيلة إعلام وليست جهازا أو آله لابد أن تكون فى العمل . أى فى التنفيذ . أى فى حالة الدوران . أى فى التشغيل .

وهنا يُطرح سؤال : هل الخطبة هى وسيلة الإعلام ؟ أم المنبر هو وسيلة الإعلام ؟

الجواب : وما هو التناقض فى ذلك ؟

الخطبه وسيلة إعلام إذا ألقيت من فوق المنبر فى المسجد . أو إذا القيت هى نفسها بألفاظها فى مظاهره أو فى البرلمان أو فى مجلس الأمن .

والمنبر فى المسجد ومنصة الخطب فى القاعات الوطنيه والدوليه وسائل إعلام عندما تعمل . وشبيه بهذا القول . السؤال : هل الفيلم وسيلة إعلام ؟ أم دار عرض السينما هى وسيلة الإعلام ؟ ما الفرق ؟ الفيلم فى التليفزيون وفى نوادى المشاهده وفى قوافل العرض فى الريف والبوادى وسيله إعلام . ودار السينما فى أثناء العرض وسيلة إعلام » (٥) .

وهذا العرض المنطقى العلمى المقنع للأستاذ الدكتور محمد السيد يكشف الغموض عن ما يشوب فهم البعض لمعنى وسائل الإعلام . فوسيلة الإعلام بناءً على ذلك هى كيفيه نقل المعلومه أو الرساله الإعلاميه . سواء تم ذلك بطريقه شفهيه مباشره أو تقليديه أو بدائيه . أو تم ذلك بطريقه مكتوبه أو مطبوعه أو مصوره ، أو تم ذلك عن طريق الوسائل الشفهيه الحديثه من راديو وتليفزيون وسينما وخلافه غير أن لكل وسيله من هذه الوسائل أثرها فى عمليه نقل الرساله ذاتها .

و يرجع ذلك التأثير المنعكس من الوسيله على الرساله الى أن كل وسيله يعمل فيها فرد أو أفراد لهم طريقه تفكيرهم . يصبون رسائلهم الاعلاميه فى كود معين . كما أن تلقى هذه الوسيله يتم فى ظروف معينه . فالظروف التى تستقبل فيها الرساله عبر الاتصال الشفهى التقليدى المواجهى تختلف من حيث مدى الاهتمام أو التركيز والحرص على ذلك من طرفى الاتصال . عنها فى حالة تقبل رسالة مماثله عبر أجهزه الراديو أو التليفزيون أو الصحف . حيث قد ينشغل المستقبل بشىء آخر مثلا . كما أن عمليه نقل الرساله عبر الوسيله ذاتها يتأثر بالوسيله من حيث امكانيه صياغه الرساله . والتعبير عنها . وإمكانيه التشويش عليها . ونحو ذلك . مما يجعل

---

(٥) محمد السيد محمد : المسئوليه الإعلاميه فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٧ — ٦٩ .

للوسيلة تأثيرها على الرساله . ومن هنا يمكن الا تفاق مع قول ماكلوهان بأن الوسيله هى الرساله . كما أنه يمكن الا تفاق مع القائلين بأن الرسول هو الرساله أيضا من حيث عمليه تأثير أحد اطراف عمليه الا تصال على الأخرى و بالتالى تذوب فيها أو تطبعها بطابعها .

و بناءً على ذلك كله فمن الصعوبه المكان أن نذكر أن العهد المكى من حياة الدعوه الاسلاميه . والذى مارس فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الإعلام بالرسالة بعبقرية فذّه . من الصعوبة أن نحدد وسائل معينه يمكن أن نسميها بوسائل الاعلام الخاصه بهذا العهد . حيث أنه لم تستخدم فى هذا العصر أو هذا العهد سوى الوسيلة الشفهيه . فالوسائل المكتوبه أو المطبوعة لم تستخدم فى هذا العهد للإعلام عن الاسلام فى مكه . كما أن الوسائل الحديثه لم تكن قد ظهرت بعد .

ومع كونه لم تستخدم سوى الوسائل الشفهيه البدائيه إلا أنه تم الإعلام عن الاسلام بخطط إعلاميه عبقر به وفذه كما رأينا أدت إلى انتشار الاسلام وذيوعه وأدت إلى الإعلام به فى كل مكان . وعلى امتداد الزمان إلى يوم القيامه .

وتأسيسا على ذلك فإذا كان بعض أساتذه الإعلام الذين كتبوا فى مجال الاعلام الاسلامى قد ذكروا أن الخطبه أو اللقاءات والندوات أو المسجد أو القرآن الكريم أو القصيده الشعر يه . أو القدوه الحسنه أو غيرها هى وسائل الاعلام فى هذا العصر ، إلا أننى لا اتفق معهم فى ذلك . حيث كل هذه لم تستخدم هذه الطرق الا تصاليه سوى وسيلة الا تصال الشفهى .

وانما الذى يمكن أن نتحدث عنه فى هذا العهد هو أشكال الا تصال الاعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام عن الاسلام . وكيفيه توظيف هذه الوسيله البدائيه والاساسيه المتاحة فى عصره — وهى الوسيلة الشفهيه فى صورة هذه الأشكال الا تصاليه المختلفه والمتنوعه . لخدمه دعوته . وللإعلام بها وعنها . فى مكه وخارج مكه فى العهد المكى . بنفسه وعن طريق تكليف أصحابه رضى الله عنهم بمهمات إعلاميه . فى مكه وخارج مكه فى العهد المكى أيضا .

بذلك فلن نتحدث عن وسائل الإعلام النبوى فى العهد المكى . لأنه كما ذكرنا لم تكن هناك سوى وسيلة الا تصال الشفهى ، انما سوف نتحدث عن

أشكال الاتصال الاعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى العهد المكى من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثه . وسنضرب الأمثله على كيفية استخدامه لكل شكل من هذه الأشكال الاتصاليه الاعلاميه .

والاتصال فى حد ذاته له معنى متسع اكثر من مفهوم الاعلام أو الاتصال الإعلامى . ولن نتطرق الى الخوض فى سرد هذه المفاهيم . حيث أن هذا تختص به أنواعا أخرى من البحوث الإعلاميه . وانما سنكتفى بالأخذ بآراء أساتذه الاعلام الذين يقسمون الاتصال الاعلامى . إلى أربعه أنواع هى :

ا ــ الاتصال الذاتى .

ب ــ الاتصال الشخصى .

ج ــ الاتصال الجمعى .

ء ــ الاتصال الجماهيرى .

فأما الاتصال الذاتى فسوف نتحدث عنه بصفته أساسا لكل من الاتصال الشخصى والجمعى ــ ولنرى مدى حث الإسلام عليه ، فهو ليس شكلا من الأشكال التى تم عن طريقها نشر الاسلام بصوره مباشره أو ملموسه . مثل الاتصال الشخصى والجمعى . وانما سنتحدث عنه لأهميته فى تكوين الفكر لدى القائم بالاتصال . ولد المتلقى للرساله الاعلاميه ، فهو مهم فى صياغه الرساله وفى تلقى الرساله . أى لدى المرسل والمستقبل على حد سواء . كما أنه هو الأساس لكل عمليات الاتصال الأخرى . حيث تبنى عليه . ومن جهه أخرى فإن الاسلام قد حث على إعمال الفكر ودعا إلى التفكير . بل ومن أسس إعداد النبى صلى الله عليه وسلم للقيام بأعباء الإعلام الإسلامى تعليميه كيفيه التفكير عن طريق تحبيب الخلاء إليه والتحنث والتعبد على انفراد فى غار حراء .

أما الاتصال الشخصى والاتصال الجمعى . فسوف نتحدث عنها لأنه قد تم نشر الرساله وتم الجهد الاعلامى عن الاسلام عن طريق هذين الشكلين من أشكال الاتصال الإعلامى . وسنضرب الأمثله الداله على استخدام كل منها . وسوف نجد أن العهد المكى من حياه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثه لم

يستخدم الا تصال الجماهيرى . وان كان قد أرسى دعائم الاعلام الدولى . لذا فلن نتحدث عن الا تصال الجماهيرى . لعدم استخدامه فى هذه الفتره .

وقد أخذنا بهذا التقسيم لأشكال الا تصال الإعلامى لاتسامه بالتسلسل المنطقى المقنع . ذلك أن الا تصال الذاتى هو أساس يبنى عليه الا تصال الشخصى . كما أن الا تصال الجمعى لا يستغنى عن الا تصال الشخصى . وكذلك لا يستغنى الا تصال الجماهيرى عن هذه الأشكال الثلاثه السابقه . كما أن الا تصال الشخصى والجمعى تستخدم وسيله الا تصال الشفهى وهى التى كانت متاحة فى العهد المكى من حياه الدعوه الإسلاميه .

أولا : الاتصال الذاتي :

ليس الحديث هنا عن الاتصال الذاتى باعتباره شكلا من أشكال ممارسة الإعلام فى العهد المكى من حياه الدعوه الاسلامية . ولكن باعتباره الأساس الذى ترتكز عليه العمليات الاتصالية الإعلامية الأخرى . كالاتصال الشخصى والجمعى والجماهيرى .

« فالاتصال الذاتى هو مايحدث داخل الفرد ، حينما يتحدث الفرد مع نفسه ، وهو اتصال يحدث داخل عقل الفرد ، و يتضمن افكاره وتجاربه ومدركاته . فى هذه الحالة : المرسل والمتلقى شخص واحد . فالفرد قديناقش مع نفسه ماإذا كان سيقرأ أولا يقرأ كتابا من الكتب ، أو يشاهد برنامجا فى التليفزيون ، أو يسمع حديثا فى الراديو. ومن المهم أن نعرف أن الاتصال الذاتى يتضمن الأنماط التى يطورها الفرد فى عملية الإدراك . أى الأسلوب الذى يلاحظ الفرد بمقتضاه و يقيّم أو يعطى معنى للأفكار والأحداث والتجارب المحيطة به .

وأغلبنا بالطبع يهتم بما حدث داخله . وما يحدث داخل الآخرين . فنحن نهتم بمعرفة مايحدث فى العالم من حولنا وكيف نضفى المعانى على الأشياء التى نلاحظها . كما نهتم بمعرفه الأسلوب الذى نفكر بمقتضاه . وكيف نشعر ونلاحظ ونفسر . وأخيرا كيف نستجيب الى الظروف المحيطة بنا »(٦) .

وهذا النوع من الاتصال ـ الاتصال الذاتى ـ لم يغفله الاسلام . وإنما هو الأساس الذى ترتكز عليه أيضا عمليه الإيمان بهذه الرسالة ـ وقد كان من أسس إعداد النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثه وفى بداية البعثه . هو عملية تعليمه كيفيه التفكير السليم . وإعداده برجاحة العقل التى تحدثنا عنها من قبل . ذلك أن الاسلام دعوة تقوم على إعمال الفكر والتأمل . والاقناع العقلى .

---

(٦) جيهان رشتى ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

و يعتبر الإتصال الذاتى من أقدم أنواع الاتصال . وإن لم يكن معروفا بهذا الاسم من قبل . إلا أن الإنسان قد عرف طريقه وكيفيه التفكير قبل أن يتعلم كيفيه الاتصال بغيره من البشر . لأن الله عز وجل قد خلق الإنسان مزودا بالعقل . مهيئا لعمليه التفكير . فهو بفطرته كائن مفكر . وما يحاوله البشر من عمليات البحث فى هذا المجال ما هو إلا محاولة تفهم للكيفيه التى يتم بها التفكير وإعمال العقل . كما أن الحث على التفكير ليس محاولة ايجاد شىء غير موجود أصلا وهو التفكير . وإنما هو لتنشيط هذا التفكير حتى يسبق العمليات الاتصاليه المختلفه التى يجب أن تتم بناءً عليه . فطريقه الرد على تحيه إنسان آخر . أو طريقه إلقاء التحية فى حد ذاته . يتوقف فى صياغته من حيث الكلمات ــ كثرتها وقلتها ــ ومن حيث إلقائها ــ فى بشاشه أو بطريقه مقتضبه ــ إنما تتم أساسا بناءً على ما يجرى الإنسان من تفكير و بناء على ما يشعر به تجاه الشخص الذى يرد تحيته . أو الذى يحيّيه .

وقد أعد الله عز وجل نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم بعقل راجح ، وتفكير متزن . شهد له المجتمع المكى كله . وقد رأينا صورا من ذلك فى حضوره المواطن الهامه التى كان يحضرها أشراف القوم مثل حلف الفضول . ورأينا أيضا فرحة أشراف مكه به لمّا كان أول قادم عليهم حينما كانوا فى معرض الاحتكام إلى أول داخل عليهم ليحكم بينهم فيمن يحمل الحجر الأسود فيضعه مكانه وهم يعيدون بناء الكعبه فلما كان الداخل عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فرحوا وقالوا : هذا الأمين ارتضينا . مما يدل على رجاحة عقله أيضا فى هذا المجال . ما حكم به فى هذا الموقف . حيث بسط رداءه ووضع الحجر عليه وأمر رؤساء القبائل أن يحملوه من أطراف الرداء . ثم رفعه بيده الشريفه ، ووضعه مكانه . وبذلك حسم النزاع بحكمه . .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل الوحى يتحنث فى غار حراء . وهو جو صاف كان ينقطع فيه للعباده والتفكر فى هذا الكون . وكيفيه خلقه وترتيبه وتنظيمه . ومن يذهب الآن إلى غار حراء . فى ذلك الجبل المترامى الأطراف . والبعيد قليلا عن مكه . والمرتفع ارتفاعا شاهقا . والمطل على المسجد الحرام . حيث الجالس فيه يستطيع أن يرى الكعبه بعينه المجرده . ذلك المكان الذى يعانى

الإنسان مشقه فى الوصول إليه . سواء فى الذهاب الى مكان الجبل ذاته أو فى الصعود الى قمته . ثم النزول قليلا من منحدر فى الجانب الجنوبى لقمه الجبل ليمر وسط الأحجار فى ممر ضيق يصل طوله إلى بضعه امتار . ثم يصل الى ذلك الغار الضيق المتسع . حيث يلمس فيه راحة نفسيه لاحدود لها . والذى لايتسع لأكثر من شخص واحد ليجلس أو ينام فيه . يمارس حياته اليومية فى أضيق الحدود الممكنه . وهو مع كل ذلك جوصاف . لكثره ارتفاعه . ولبعد عن المجتمع المليء بالعادات الدنيوية قليلا . ولكونه يظل على المسجد الحرام فى ذات الوقت . وسط هذا الجو تعلم النبى صلى الله عليه وسلم التفكير الصافى . المتمهل المتأنى المنظم . حيث أرشده الله عز وجل الى هذا المكان . وكان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا على مداومه التعبد فى هذا الغار . رغم وعورة الطريق المؤدى إليه . ورغم مشقه الصعود إليه . وقد نزل الوحى عليه فى هذا الغار .

وكان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات تثير التفكير . وتدعو إلى التأمل . حيث نزلت عليه أولا آيات « **إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم** » .

وكان فى هذه الآيات دعوه واضحه إلى البنى صلى الله عليه وسلم لأن يفكر فى خالق هذا الكون . وأن يعلم من هو . إنه الذى خلق الإنسان من علق . إنه الذى علم الانسان مالم يعلم . فهذا الكون إذن له خالق . ومنظم وقد أوحى إليه وبدأ النبى صلى اله عليه وسلم يفكر فى أمر هذا الملك . الذى أتاه فى صورة مثيرة للفكر . فهو وإن كان قد ذعر منه إلا أنه ذهب الى زوجته وقصّ عليها ماحدث . وذهبت بدورها الى ابن عمها ورقه بن نوفل الباحث فى الأديان . فأعلمهم أنه الوحى وأن محمدا هو نبى آخر الزمان .

وهكذا كانت بداية الوحى فى طريقتها داعيه الى التفكير . وكانت الرساله أو الآيات التى حملها الملك . فيها دعوة للفكر . وفيها إعلام بالعلم بان الله عز وجل هو الخالق والمنظم لهذا الكون . وهو المعلم للانسان مالم يعلم . وهو الملهم له بالفكر الصائب .

ثم تـوالـت أحـداث الـوحـى وكلها دعوه الى التفكير، حتى نزلت سوره المزمل وسوره المدثر. وفيها إعداد روحى للنبى صلى الله عليه وسلم. وتعليم للتفكير والعبادة. وقيام الليل. وفيها تعليم لطهاره القلب وطهاره الثوب. وطهارة البدن. وفيها مع ذلك تخفيف عنه صلى الله عليه وسلم من مشقه قيام الليل التى فعلوها على أنفسهم لما أمر الله عز وجل بقيام الليل. ثم فيهمااخبار بما كان من فعل قوم فرعون وغيرهم من المكذبين والعصاة والمعاندين. وهكذا كان القرآن تعليما للنبى صلى الله عليه وسلم ولأمته كيفيه التفكير وإعمال العقل للوصول الى الإيمان الصحيح المقنع.

لذا نجد آيات القرآن تدعوا الناس الى يوم القيامه الى التفكير فى الملكوت وفى خلق السموات والأرض. حتى يكون الايمان عن اقتناع وتفكير منطقى سليم وقد ضرب الله المثل بأبى الأنبياء ابراهيم. وكيف أنه وصل إلى الإيمان بالله عز وجل عن طريق التفكير المنطقى السليم. وأنزل الله آيات القرآن تتلى الى يوم القيامة وتبين طريقته فى التفكير. قال تعالى « **وإذا قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهه إنى أراك وقومك فى ضلال مبين. وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جّن عليه الليل رأى كوكبا، قال هذا ربى، فلما أفل قال لاأحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما أفلت. قال يا قوم إنى برىء مما تشركون. إنى وجّهتُ وجهى للذى فطر السماوات والأرض حينفا وما أنا من المشركين** »(٧).

هكذا رأى سيدنا ابراهيم بفطراته السليمة وقلبه النقى أن الأصنام لاتضر ولاتنفع. وأن عبادتها ضلال مبين. ثم سأل نفسه: فماذا يعبد إذن؟ بدأ يتفكر.. و يبين الله عز وجل أنه قد أرشده الى التفكير السليم فأراه ولفت نظره الى ملكوت السموات والأرض. وليكون اقتناعه يقينيا منطقيا. لذا بدأ يفكر فى هذا الملكوت.. هل خلقه الكوكب.. لقد غاب الكوكب..وهل يغيب الخالق عن

(٧) سوره الأنعام (٧٤ ــ ٧٩).

خالقه ؟ .. هل خالقه القمر .. لقد غاب القمر .. وهل يغيب الخالق عن خلقه ؟ .. هل خالقه الشمس .. لقد غابت الشمس .. إذن للكون خالق آخر .. اقتنع ابراهيم بوجوده .. وتوصل إليه بفكره السليم ونظرته الثاقبه .. وأصبح من ذلك فى يقين .

ولما كان الاقتناع نتيجه تفكير .. واقتناع .. دافع ابراهيم عن ما اقتنع به .. وسجل القرآن ذلك .. قال تعالى « **وحاجّه قومه . اتحاجّونى فى الله وقد هدان . ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكرون** » و يزيد ابراهيم فى تأكيد ذلك و يسجل القرآن ذلك فيقول الله عز وجل « **وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا . فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** »(٨) ثم يبين الله عز وجل أنه قد ألهمه هذا الفكر الصائب . وهداه بهدايته الى الحق فيقول عز وجل « **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم** »(٩) .

وقد أمر القرآن الكريم أهل مكه بالتفكير فى أمر الرسالة وصاحبها . فبعد أن بين جزاء المكذبين فى سوره الأعراف وهى من السور المكيه . يدعوهم الى إعمال الفكر مرة أخرى . قال تعالى : « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم إن كيدى متين . أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين . أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون »(١٠)

و يبين الله سبحانه وتعالى لأهل مكه فى سوره سبأ وهى مكية أيضا يبين لهم ماحدث من تكذيب السابقين لرسلهم وماحدث لهم . ثم يذرهم من ذلك بدعوتهم إلى التفكر . فرادى وجماعات . قال تعالى : « **وكذب الذين من قبلهم**

(٨) سوره الأنعام (٨١—٨٢) .

(٩) سوره الأنعام (٨٣) .

(١٠) سوره الأعراف (١٨٢— ١٨٥) .

وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير. قل إنما أعظكم بواحده أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد »[11] .

وهنا نجد أن القرآن عقب الانذار والتخويف من عقاب التكذيب . يقدم الموعظه بالتفكر فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم . أنه ليس مصابا بما ادعوه عليه من الجنون ونحوه ، والتفكر فى أمر رسالته أيضا فما هو إلا نذير بين يدى عذاب شديد .

و يبين الله سبحانه وتعالى أيضا للنبى صلى الله عليه وسلم ولأمته كلها أنه يجب التفكر فى أمر هذه الرسالة . والتفكر والمساءلة عن الرسالات السابقه أيضا لمعرفة حقيقة هذه الرسالة وما تدعو إليه . قال تعالى : « **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . بالبينت والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون** »[12] .

وهكذا تعددت الآيات الداعية الى التفكير فى القرآن الكريم سواء فى السور التى نزلت فى مكة أو فى السور التى نزلت فى المدينة . قال تعالى : « **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** »[13] وقال تعالى : « **كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** »[14] وقال تعالى : « **قل هل يستوى الأعمى والبصير. أفلا تتفكرون** »[15] . وقال تعالى : « **إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** »[16] . وقال تعالى : « **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** »[17] ومدح الله عز وجل من عباده المؤمنين لكونهم يتفكرون فقال : « **الذين يذكرون الله قياما**

---

(١١) سوره سبأ (٤٥ ، ٤٦) .
(١٢) سورة النحل (٤٣ ، ٤٤) .
(١٣) سوره الأعراف (١٧٦) .
(١٤) سورة يونس (٢٤) .
(١٥) سوره الأنعام (٥٠) .
(١٦) سوره الجاثيه (١٣) .
(١٧) سوره الحشر (٢١) .

وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار»[18] .

وهكذا يعلمنا القرآن كيفيه التفكير و يبين أهميته . و يدعوإليه فى مختلف السور والآيات . وفى مختلف مراحل الدعوه . حيث يدعو المكذبين والمعاندين الى التفكير . كما يدعو المؤمنين أيضا الى التفكير حتى يزداد إيمانهم . وفى هذا دلالة على أهمية التفكير . وأهمية الاتصال الذاتى . وتأثيره فى اقتناع الانسان . حتى يصوغ رسالته التى يوجهها إلى الآخرين فى مختلف أشكال الاتصال الأخرى بناء على ما اقتنع به من تفكير .

وقد رأينا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد استخدام هذا النوع من أنواع الاتصال فى حواره مع المشركين ومع أعداء دعوته . والمكذبين لها . فتراه يحاورهم بالمنطق والاقناع . فنهم من يقتنع فى ذات الوقت كما حدث مع الحصين بن عمران . ومنهم من يفكر ثم يدخل الاسلام قلبه كما حدث مع عمر بن الخطاب . ومنهم من يفكر و يوقن تماما أن ما يقوله محمد هو الحق ولكنه يمنعه العناد واللجاج كما حدث لأبى جهل بن هشام وغيره من كفار مكه .

ومن هذا يتضح لنا أن الاسلام لم يغفل الاتصال الذاتى . وان الإعلام الاسلامى اعتمد على إثاره تفكير الفرد . حيث هو الوحده الأساسية والأولى للمجتمع وحيث هذا التفكير يؤدى الى الاقتناع . مما يؤدى الى ممارسة أشكال الاتصال الأخرى بدقه وحماس واقتناع مما يجعلها قوية مؤثرة . وهذا بدوره يجعل الإعلام الاسلامى قائما على أسس متينه وقواعد صلبه . ويجعله بناء متماسكا قويا شامخا على مر العصور وفى كل مكان على وجه الأرض الى يوم القيامة .

---

(١٨) سوره آل عمران (١٩١) .

ثانيا : الاتصال الشخصى والجمعى .

المقصود بتعبير الاتصال الشخصى هنا هوعمليه الاتصال التى تحدث بين فردين أو بين مجموعة محدوده من الأصدقاء أو الاشخاص مثلا . متواجدين فى مكان واحد و يتحدثون أو يتبادلون وجهات النظر فى موضوع معين . أو يجمعهم حوار أو نقاش معين . ولذلك اطلق عليه الاتصال الشخصى لكونه يتم بصورة مباشره بين شخصين أو أكثر قليلا .

وفى هذا تقول الأستاذه الدكتوره جيهان رشتى : « الاتصال بين فردين أو الاتصال الشخصى هو العملية التى تحدث يوميا . حينما نعطى ونتلقى أوامر. أو ندخل فى مناقشه أو نتبادل التحيات . ولا تختلف عمليه الاتصال الذاتى عن عملية الاتصال الشخصى كثيرا . بل قد لا يمكن فصلهما تماما . فالإتصال ليس مجموعة من الوظائف المنفصلة التى لها حدود محدودة . ولكنه ينطوى على شبكات متداخله ومتفاعله وليس لها بداية أو نهاية .

والاتصال الشخصى يحدث حينما يكون هناك تفاعل بين نظامين ذاتيين أو أكثر. فأنت حينما تتحدث إلى صديق تعتبر نظام ذاتى . و يعتبر صديقك أيضا نظام ذاتى . ولكن النظامين يتفاعلان ليكونا نظام للاتصال الشخصى . وكل نظام ذاتى يتأثر عندما يتفاعل مع النظام الآخر» (١٩) .

و يقسم بعض أساتذة الإعلام الاتصال الشخصى إلى اتصال شخص مواجهى أو مباشر . واتصال شخصى غير مباشر . كالاتصال الشخصى بالتليفون ونحو ذلك و يعتبر الاتصال الشخصى هو اكثر انواع الاتصال تأثيرا . حيث يقوم المرسل بالتأثير المباشر عن طريق التعبير أو حركات الوجه أو الابتسامه أو نحوها على المستقبل ، والذى قد تيأثر أيضا نيتجة الكثير من العوامل . منها على سبيل المثال عملية الاستحياء من المرسل أو القائم بالاتصال .

---

(١٩) جيهان رشتى ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

كما أن المرسل فى عملية الاتصال الشخصى يمكنه أن يتعرف على رد فعل المستقبل فى ذات الوقت . مما ينتج عنه تعديل الرساله التاليه ـ والتى قد تكون جمله أو كلمه أو طريقه تعبير ـ وبالتالى يدفع هذا عمليه الاتصال الى دوام الاستمرار . وقد يؤدى الى توقفها أيضا إذا حدث العكس .

ومن أجل هذه الأسباب يعتبر الاتصال الشخصى من أقوى وسائل الاتصال الاعلامى . واكثرها تأثيرا . كما أنه الأساس للأشكال الاتصاليه التاليه فكما أن الاتصال الشخصى قائم على الاتصال الذاتى كما ذكرنا . فإن الاتصال الجمعى والاتصال الجماهيرى يعتمدان أيضا بصوره مباشره على الاتصال الشخصى .

أما الاتصال الجمعى فهو عملية الاتصال بين فرد ومجموعة من الأفراد كالخطبه أو إلقاء البيان أو نحو ذلك . و يعتبر هذا الشكل هو الشكل الاتصالى الاعلامى التالى مباشرة للاتصال الشخصى . والذى يقع بينه و بين الاتصال الجمعى . وتقل فيه عمليه التعرف على رد الفعل عن الاتصال الشخصى . كما أنها أكثر ظهورا من الاتصال الجماهيرى . وقد استخدام النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشكل الاتصال الإعلامى فى ممارسته للاعلام عن الاسلام على جبل الصفا وفى الأسواق ومواسم الحج وسنضرب أمثله لذلك بعد أن نضرب أمثله لممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصى .

اعتمد الاعلام عن الدعوة الاسلاميه فى عهدها المكى على الاتصال الشخصى بصوره مباشرة وأساسيه . حيث نجد أنه بعد أن أمر الله عز وجل بالتفكر والاقتناع أمر نبيه بممارسة الاعلام عن الدعوه . وبدأ النبى صلى الله عليه وسلم جهده الاعلامى فى مكه سرّا لمده ثلاثه سنوات . ثم جهرا لمده عشره أعوام بعدها . داخل وخارج مكه . بنفسه وعن طريق أصحابه . واستخدم فى هذا الجهد الاعلامى الاتصال الشخصى والاتصال الجمعى .

وقد كان استخدام النبى صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصى مثلا يحتذى حيث مارس هذا الشكل الاتصالى الاعلامى بعبقرية فذّه ، يجب أن يستفيد منها رجال الاعلام فى كل زمان وكل مكان . حتى يكون جهدهم الاعلامى مؤثرا ونافعا ومفيدا . ومؤديا الى الاستجابه المطلوبه .

فليس حديثنا عن الاتصال الشخصى أو الجمعى إذن هنا على اعتبار أنها أشكال اتصاليه اعلامية قد اخترعت أو اكتشفت فى ذلك العهد أو ذلك العصر. وانما هذه الأشكال الاتصاليه موجوده فى طبيعة البشر بصورة فطريه خلقهم الله عزوجل مزودين بها. فقد خلقهم وزودهم بالعقل ليفكر. وباللسان لينطق. وبذلك فالاتصال الذاتى والشخصى والجمعى ليس من الأشكال الاتصاليه التى اخترعها البشر فى أى عصر من العصور وانما هى فطريه. والمخترعات أو الاكتشافات إنما هى قاصرة على وسائل الاتصال الجماهيرى. من مطابع ووسائل الكترونيه وغيرها.

ويعتبر ممارسة الاعلام عن طريق هذه الوسائل انما يتم بالصور الفطرية الأولى فى معظم اشكاله. لذلك ذكر ماكلوهان أن الاتصال قد بدأ شفهيا ثم تطور الى الاتصال المطبوع ثم الى الشفهى مره أخرى لكن عن طريق الوسائل الإلكترونيه والتى تنقل الاتصال الشفهى من الصورة الشخصية الى الصورة الجماهيرية.

أما حديثنا عن استخدام أشكال الاتصال الشخصى والجمعى كأشكال اتصاليه اعلاميه فى العهد المكى من حياة الدعوه. فالمقصود منه الاستفاده من كيفيه استخدام هذه الأشكال البسيطه لخدمة أهداف عظيمة. وللاعلام بأكبر وأعظم رسالة عرفتها البشريه. الى كل زمان وكل مكان الى يوم القيامه. وحتى تكون هذه الممارسة أسوه لنا وقدوه. حتى يمكننا أن نمارس الاعلام بمثل هذه الصوره المتطوره والمتقدمه والتى لم تكن متاحة فى ذلك العصر.

فليس معنى استعراضنا لممارسة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأشكال الاتصال الشخصى والجمعى أن نقف عند حد هذه الممارسة. فالاسلام لايعرف الجمود. ولايقف ضد التطور العلمى. وانما المقصود منه أنه إذا كان النبى صلى اله عليه وسلم وأصحابه قد استطاعوا توظيف تلك الوسائل البسيطه المتاحة فى عصرهم ونشروا بها الاسلام بهذه الطريقه. التى أدت الى تغير المجتمع من حيث أخلاقياته وقيمه وعاداته وتقاليده. وليس فقط نشر الإسلام كعقيده دينيه.

إذا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحاب بمثل هذه الوسائل البسيطه غيروا صورة المجتمعات التى عاشوا فيها. وانتقلوا إليها إلى أفضل صورة. وأحسن

خلق وأصبحت مجتمعات متماسكة متالفه . فما بال عصرنا الذى توجد فيه الوسائل المتقدمه والمتطورة والسر يعه والحديثه . إننا يجب أن نستفيد من كيفيه ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الإعلام بالإسلام واخلاقياته وروحه من خلال الوسائل الحديثه المتطوره والسر يعه . لتكون الاستفادة بصورة أعم وأكثر انتشارا وفائدة . وهذا هو جوهر الاعلام الاسلامى وهذا هو الهدف منه . الذى نبغى أن يتحقيق . حيث نتحدث عن مايجب أن يكون عليه الاعلام فى الدوله الاسلاميه . الممارسة الاعلاميه بالوسائل الحديثه مستفيدين بالأسس والقواعد التى أرساها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

لذلك سوف نضرب أمثله لاستخدام وممارسة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه للاتصال الشخصى أولا ثم للاتصال الجمعى كأشكال اتصاليه إعلاميه .

ا ـ الاتصال الشخصى :

اعتمد النبى صلى الله عليه وسلم فى ابلاغ دعوته والاعلام عنها على الاتصال الشخصى المواجهى أو المباشر . سواء فى التعريف بها . أو التحدث عنها . أو فى تعليم أصولها وقواعدها . أو فى بثها ونشرها إلى المجتمع المكى وخارجه . كما اعتمد أصحابه رضى الله عنهم فى هذه الفتره من حياة الدعوة أيضا على الاتصال الشخصى المباشر فى الاعلام عن الدعوة كما فعل أبوبكر الصديق وأبوذر الغفارى والطفيل بن عمرو الدوسى وعثمان بن عفان وغيرهم ممن قاموا بجهد الاعلام عن الاسلام فى هذه المرحله .

وفى ذلك يقول الأستاذ الدكتور ابراهيم امام فى كتابه أصول الإعلام الإسلامى «كان الطابع العام للإعلام فى صدر الاسلام طابعا شفهيا . يعتمد على الاتصال المباشر وجها لوجه . وهو اتصال ناجح . لأنه يتلافى سلبيات وسائل الإعلام الحديثه غير المباشره . و بخاصة فى مجال الاقناع . حيث يبدى المستقبل فى الإعلام المعاصر مقاومة وعزوفا عن التعرض للمادة الإعلامية . وانتقالا إلى وسائل إعلاميـة أخرى قد تكون اكثرعناية بالجوانب الترفهيه مثلا . وذلك يؤدى فى نهاية المطاف إلى التأثير الإعلامى .

أما الاتصال الشفهي بما يتسم به من حوار وإقناع وإشاره وتنوع وتبادل أطراف الحديث وتقديم للحجج والبراهين أو دحضها . ومحاولة التغلب على كافة أساليب الاحتجاج . حتى يبلغ الاقناع ذروته . فإنه يجعل من المخاطبة والمحادثة خير الوسائل المؤدية إلى أعلى المستويات فى التبليغ والاحاطة والاقناع .

أضف إلى ذلك أن الاتصال الشخصى يتم عادة فى الجماعات صغيره العدد . حيث يعرف الناس بعضهم بعضا . فيتناقشون و يتحدثون و يتبادلون الرأى والمشورة . و يدركون انطباعات أحاديثهم على بعضهم البعض . على عكس الاتصال الإعلامى الحديث . فهو يتم من جانب واحد ولايتاح للقارىء أو المستمع أو المشاهد طريقة سهلة لكى يوجه الأسئلة . أو يعقب أو يستوضح ماغمض عليه .

والاتصال الشخصى المباشر له ميزه كبرى فى اختيار الأشخاص أو الفئات التى يتحدث إليها . و يوجه جهوده وفقا لذلك . فيتسم بالألفة ، ورفع الكلفة وتبادل المصلحة . وتحقيق التعارف وتوثيق الصلات . وتوضيح الغامض وتثبيت الحقائق وإجلائها . وترتيب لقاءات دورية . ومتابعة الحديث وتنويعه .

فلم يكن غريبا أن يكون أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته هو الاتصال الشخصى فى المرحلة السرية الأولى . وكذلك فى المرحلة العلينه » (٢٠) .

وكانت طريقه الاتصال الشخصى تكاد تتكرر فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثه فى المرحلة السرية ثم فى المرحلة الجهريه بصوره تكاد تكون يوميه ، بل وتتكرر مرات فى اليوم الواحد . فهو لا يكل ولا يمل من أن يلتقى بزعماء مكه يناقشهم ويحاورهم و يدعوهم . ويجيب على تساؤلاتهم . و يُعْلمهم بأمر رسالته .

وقد كان أول اتصال شخصى من أجل رسالة الاسلام تم بين النبى صلى الله عليه وسلم واسرته . حيث دعا زوجته خديجه . ومولاه زيد بن حارثه وابن عمه

---

(٢٠) ابراهيم امام ، اصول الاعلام الاسلامى (القاهره : دار الفكر العربى ، ١٩٨٥) ص ٥٧ ، ٥٨ .

علـى بـن أبى طالب الذى تربى فى بيته . والذى أراد أن يستشير أبا طالب فى هذا الأمـر فـرفض النبى صلى الله عليه وسلم ذلك . فاسلم على الفور واستجاب لدعوه محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم مـارس الـنـبـى صـلـى الله عليه وسلم هذا الاتصال الشخصى مع أبى بكر صـديقـه فى الجـاهـلـيه . ومارسه أبوبكر بدوره مع عثمان بن عفان والأرقم بن أبى الأرقـم وغـيـرهـم . و بـدأ الاسـلام يـنـتشر والـنـبـى صلى الله عليه وسلم قائم بهذا الاتصال يُعْلم من أسلم . و يدعوغير المسلمين الى الاسلام .

مـارس النبى صلى الله عليه وسلم هذا الاتصال ايضا مع كفار مكه وقد رأينا نمـاذج مـن هذا الاتصال فى حواره مع عتبه بن ربيعه . وما كان عليه هذا الحوار من مستوى إعلامى راق . وما اتسم به من اقناع وقوه حجه . ما يضرب به النبى صلى الله عـلـيه وسلم من مثل فى حسن القدوه والأسوه فى أدب الاستماع وحسن الانصات حتى لعدوه المعاند له . ثم رده عليه بما أثاره انتباهه وأثار تفكيره . وجعله يطلب من قـومـه الـذيـن هم أعداء محمد ودعوته أن يكفوا عنه وأن يخلّوا بينه و بين ما هو فيه . وقـد تـكـرر مـثـل هـذا الحـوار كـثـيـرا وطـو يلا بين النبى صلى الله عليه وسلم فى المـرحـلـتين السر ية والعلينه فى مكه و بين زعماء مكه وسادتها وقد وضحنا ذلك من قبل .

وقـد حـدث الحـوار بين الـنـبـى صـلـى الله عـلـيه وسلم وساده ثقيف أيضا ـــ الـثـلاثـه ـــ والـذى كـان مثلا يحتذى فى الصبر على الحوار وتحمل رد المعاندين ولو كان قاسيا . ولما رفضوا دعوته طلب منهم أن يكتموا هذا الأمر . وقد رأينا ما حدث له صلى الله عليه وسلم حينما ذهب الى الطائف .

ورأينا من قبل أيضا الاتصال الشخصى أو الحوار دار بين النبى صلى الله عليه وسلم والطفيل بن عمر والدوسى وعمرو بن عبسه السلمى وحصين بن عمران وكل موقف من هذه المواقف يبين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى حواره ومناقشته للأفراد والمجـمـوعات المعانده وغير المعانده . كان على المستوى الإعلامى العبقرى الذى يجب أن (نتأس به فى فى قيامنا بالاعلام .

وقد مارس الصحابه رضى الله عنهم أيضا هذا الشكل من أشكال الاتصال الإعلامى . فرأينا كيف قام أبوبكر بمثل هذا الجهد فى مكه . كيف قام جعفر بن أبى طالب بالقاء البيان الخاص بالإعلام بجوهر الدعوه الاسلاميه أمام النجاشى . وكيف دارا هذا الحوار. بطريقه تتسم باللباقه والذكاء والدقه التى أدت الى التأثير فى النجاشى و بطارقته . بل وفى عمرو بن العاص نفسه والذى ذهب للعوده به .

ورأينا أيضا كيف قام مصعب بن عمير بهذا الجهد فى يثرب وكيف تحدث الى أسد بن حضير وسعد بن معاذ حديثا شيقا ذكيا ادى الى التأثير فى كل منهما وكان نتيجه استجابتها ودخولهما الاسلام . بل ودخول الاسلام الى دور الأنصار كلها بسبب ذلك .

وهكذا مارس النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاتصال الشخصى للاعلام عن الاسلام فى الفتره المكيه من حياه الدعوه بصوره يجب أن نتعلمها ونمارسها ويمارسها الإعلاميون فى كل زمان ومكان لما فيها من فن اعلامى راق ومتميز .

ب ــ الاتصال الجمعى .

الاتصال الجمعى شكل من أشكال الاتصال الإعلامى . أكثر اتساعا من الاتصال الشخصى حيث هو عباره عن قيام فرد بالاتصال بمجموعة من الناس . لابلاغهم برسالة معينه أو شرح وجهه نظر معينه . وقد يستخدم وسيلة معينه لنقل صوته إليهم وقد لا يستخدم حسب الظروف المكانية المتاحه .

ومن أمثله هذه النوع من أنواع الاتصال خطبة الجمعه أو الخطبه السياسيه أو المؤتمر الصحفى مثلا أو اللقاءات الجماهير يه أو نحوذلك مما له صفه الاتساع اكثر من الاتصاله الشخصى . وأن كان هذا النوع يعتبر ضمن ما يسمى بالاتصال المباشر . كما أنه يدخل غالبا كنوع من أنواع الاتصال الشخصى . حيث يصنفه كثير من اساتذه الاعلام ضمن أنواع الاتصال الشخصى . ويميل البعض الى اعتباره شكلا اتصاليا قائما بذاته . حيث هو أكثر اتساعا من الاتصال الشخصى .

فى ذات الوقت الذى يستخدم فيه الصوره المباشره أو الشخصيه من صور الاتصال .

ويختلف الاتصال الجمعى عن الاتصال الشخصى فى أن العملية الاعلامية التى تتم عن طريقه تنقل الرسالة إلى عدد أكبر من الجمهور المستقبل مما يجعل للإعلام عن طريقه فائدة أكبر وتأثيراً أكثر من الاتصال الشخصى . وهو فى ذات الوقت يعتمد على الاتصال الشخصى والاتصال الذاتى . فالقائم بالاتصال يفكر قبل أن يتحدث . كما أن المستقبل يفكر فيما يصل إليه من معلومات قبل أن يتأثر بها و يستجيب لها . كما أنها تستخدم الاتصال الشخصى من حيث الشكل العام للعمليه الاتصاليه ذاتها .

أما عملية رد الفعل أو رجع الصدى فى الاتصال الجمعى فإنها تتم بصوره أقل من حدوثها أو إمكانيه التعرف عليها من خلال عمليه الاتصال الشخصى . ذلك أن القائم بالاتصال فى الاتصال الجمعى . وإن كان يقوم بالاتصال مباشره بمن يتحدث إليهم ارلا أنه لا يستطيع أن يلاحظ جميع المستقبلين التركيز الذى يمكن أن يحدث فى عمليـة الاتصال الشخصى . كما أن الجمهور المستقبل فى الاتصال الجمعى قد تمنعه بعض الموانع الخاصه من التساؤل عن شىء فاته أن يفهمه مثل الخشيه من المتحدث لمنصبه السياسى أو قدره الاجتماعى . أو بعده المكانى . أو عدم قدرة بعض على التحدث أو التساؤل . نتيجه لمرضه أو لكونه يستحيى أن يسأل مثلا . كل هذه العوامل تؤدى إلى عدم التعرف تماما على رد الفعل الخاص بالعمليه الاتصاليه التى تتم من خلال الاتصال الجمعى .

وكلما كان القائم بالاتصال فى عملية الاتصال الجمعى محيوبالدى المستمعين له وكلما كانت رسالته واضحه . و يتم القاؤها بصوره بسيطه وسهله و بقدر ما يكون القائم بالاتصال ايضا على علم ووعى بجمهوره وخصائصه . كلما توافرت هذه الشروط كلما أمكن التعرف على رد الفعل الخاص بالعمليه الاتصاليه . مما يؤدى إلى تعديل الرسائل أو زيادتها أو نقصها أو ايضاحها مثلا . مما يؤدى الى التأثير وبالتالى الاستجابة .

وقد مارس النبى صلى الله عليه وسلم الاتصال الجمعى فى مكه كشكل من أشكال الاتصال الإعلامى برسالته . إلى جانب الاتصال الشخصى . ولم يكن لأى شكل من أشكال الاتصال وقت محدد أو شروط محدده . وانما كان يتم ذلك وفقا للظروف الاتصاليه التى تتم فيها الممارسة الإعلاميه الإسلامية . فإذا اقتضت الظروف القيام بالاتصال الشخصى تم ذلك . وإذا اقتضت الأحوال القيام بالاتصال الجمعى تم ذلك . المهم هو أن يتم الاعلام عن الرساله وبها فى كل وقت وفى كل حين .

وكما كانت ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصي تتسم بالمرونه والذكاء ، والدقة . ورأينا أنها كانت مثالا للممارسة الاعلامية العبقريه الفذه النادره . كذلك أيضا مارس النبى صلى الله عليه وسلم الاتصال الجمعى بكفاءه عليه . وضرب المثل الأعلى للإعلاميين فى كل زمان وكل مكان . وأرس قواعد وأسس ممارسة هذا الفن الإعلامى بأساليب راقيه جذابه مرنه .

وكان اعتماد النبى صلى الله عليه وسلم فى ممارسته للاتصال الجمعى قائما على صفاته كإعلامى قدير. الى جانب معرفته التامه لأسلوب ونفسيه الجماهير التى يقوم بالاتصال بها . ومعرفته أيضا بالمجتمع الذى يمارس الاعلام فيه . وتكوينه وتركيبه ومايصلح له من أساليب . ومايؤدى الى الاستجابه أو عدم الاستجابه لدى هؤلاء المكيين المعاندين . الذين خلقوا سادة بطبيعتهم . كما أن البيئه الصحراوية تركت بصماتها على نفسياتهم وعلى تكوينهم وطريقه تفكيرهم .

حينما أمر الله عز وجل بنيه صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوه لما نزلت الآيه **« وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعلمون »**(٢١) .

عندما نزلت هذه الآية علم النبى صلى الله عليه وسلم أنه مأمور من ربه بأن يمارس الإعلام جهرا عن رسالة الله عز وجل ، وأن يبلغ ذلك الى المجتمع المكى

(٢١) سوره الشعراء (٢١٤ — ٢١٦) .

علانيه . وأن يقوم بشرح هذه الرساله لكل هذا المجتمع . عند ذلك وجد النبى صلى الله عليه وسلم أن أسلوب الاتصال الشخصى لا يكفى لأداء هذا الدور. فاتجه بفطرته السليمه الصافيه الى الاتصال الجمعى .

وقد سبق أن سردنا قصه جمع النبى صلى الله عليه وسلم لبنى عبد المطلب مرارا على الطعام . ثم ابلاغهم وقد كانوا أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا .

وهنا نجد أن قيام شخصبالتحدث الى أربعين شخص بأخذه صوره الاتصال الجمعى . وقد مارس النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشكل الاتصالى الإعلامى بفنيته وحكمه حيث جمعهم أولا على الطعام ، ثم سقاهم . ثم بدأ يحدثهم عن أمر رسالته . وعندما قاطعه عمه أبولهب اللعين لم يواجه ثورته برد غاضب . وانما ترك الأمر مباشره ودعاهم الى الطعام فى ليوم التالى . وحدث ماحدث . فدعاهم للمره الثالثه . ولما تكرر هذا الأمر ثلاث مرات رد جمهور المستمعين — وهم بنو عبد المطلب — بعضهم على بعض فردت صفيه نبت عبد المطلب على أبى لهب . ورد أبوطالب معلنا حماية محمد صلى الله عليه وسلم دون الاستجابه لدعوته . ورد عى بن أبى طالب معلنا الاستجابه والمؤازره .

وهنا نجد أن أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم فى ممارسة هذا الشكل الاتصالى الاعلامى . ومعرفته لنفسيه جمهوره هذا . أن دعاهم الى الطعام فى بيته ليكون ذلك عونا له على التحدث إليهم . وضمانا لعدم انصرافهم عند بداية الحديث . ثم عدم مواجهته لثوره وغضب أبولهب بغضب ولاثوره . ولو فعل ذلك لأثار أعمامه ولكنه بأدبه وحسن خلقه . جعل من بقيه أعمامه محايدين ومؤيدين . فمن لم يؤيد دعوته . اصبح محايدا وأعلن حمايته من قبائل العرب . وهكذا كان رد الفعل فى صالح محمد صلى الله عليه وسلم وفى صالح دعوته ورسالته .

ثم اتجه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى المجتمع المكى . فصعد الصفا . وهو جبل عال فى مكه . وندى على بطون قريش كلها . حتى اجتمعت إليه . وقالوا محمد على الصفا يهتف . فجاءوه بين من حضر بنفسه ومن أرسل رسوله يستطلع له الخبر .

وقد اهتم المكيون نبداء محمد لعلمهم بأنه رجل جاد . لا يقف على الجبل و يناديهم ارلا لأمر هام يهمهم جميعا . ثم يشهدهم على أنفسهم ويختبر مدى ثقتهم فيه وتصديقهم له سائلا : أرأيتم لواخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل نريد أن تغير عليكم . اكنتم مصدقىّ . قالوا : نعم ما جزنبا عليك كذبا قط . أو قالوا : أنت عندنا غيرتهم . فيخيرهم بأمر رسالته .

ونجد الأساليب الاعلاميه الراقيه والعبقريه تتجلى فى مثل هذا الموقف . فهو يقف على الجبل . وهو المكان المرتفع المطل على مكه ليسمعه الجميع . سابقا بذلك مهندس الالكترونات فى العصر الحديث والذين يضعون محطات الارسال فى أعالى الجبال ليصل صوتها الى أماكن أبعد .

ثم يبادر المجتمع المكى . رغم علمه بثقتهم فيه وإلا لما اجتمعوا — مع ذلك يبادرهم بسؤال مثير مخيف يتفق مع طبيعه البيئه . ويختبر مدى تصديقهم له بالفعل ومدى ثقتهم فيه . وهو لوأن خيلا ستغير عليهم من سفح الجبل .. أيصدقون ذلك ؟ فيجيبون على الفور نعم .. أنت عندنا غير متهم أو ما جربنا عليك كذبا قط .

و بعد أن جمع هذا الجمع بمثل هذه الصوره . وبمثل هذه السرعه . ووضع أساسا من الثقه بينه و بينهم . ومهد للظروف الاتصاليه الصالحه . والمناخ الملائم .. يبدأ اتصاله .. أو بث رسالته عن هذا الدين بعث به ويحدث رد الفعل بعد ذلك .. أبولهب يكذب .. قائلا : تبالك سائر هذا اليوم الهذا جمعنا .. وتنصرف قريش بعد أن تسمع . و يتركهم ليتصل كل منهم بذاته قائلا لهم . فإنى نذيرلكم بين يدى عذاب شديد .

وهو بهذا يتركهم لعمليه التفكير فهويعلم انهم اهل مجتمع تربى على الحريه ولا يحبون فرض الرأى عليهم . و يرجحون الاقتناع كأنهم هم أهل الرأى وانهم اقتنعوا بارادتهم . وكان لهذا صداه وتأثيره فى المجتمع حيث بدأت الدعوة تنطلق .

مارس النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام أيضا عن طريق الاتصال الجمعى فى عرض نفسه على القبائل فى الأسواق ومواسم الحج . حيث كان يقف وسط جموع القبائل و ينادى على الناس « يأأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » . وكان يتحدث إلى كل قبيله طالبا نصرتها وحمايتها ليس من أجل النصرة والحماية

ذاتها فقد كان يعلم يقينا أن الله عز وجل ناصر دينه . ومظهر أمره . غير أنه كان يطلب منهم ذلك لإ ثاره النخوه فيهم لمعرفته بنفسياتهم فهم أهل البادية وأهل الصحراء وهو خبير بهم وعلى درايه كامله بالمداخل النفسيه التى تصلح لأن يبدأ منها ليبث رسالته واعلامه .

ولا أدل على ذلك من أن بنى عامر بن صعصعة قد وافقوا على نصرته وحمايته بشرط أن يكون لهم الأمر من بعده . ولو كان الأمر يتعلق بطلب الحماية والنصره لذاتها لوافق على ذلك . ولكن لأن الأمر كان يتعلق بالدعوة ذاتها . رفض النبى صلى الله عليه وسلم شرطهم هذا . وقال لهم الأمر لله يجعله حيث يشاء .

وقد تحدثنا من قبل عن عرض النبى صلى اله عليه وسلم لنفسه الكريمه ورسالته الطاهره على القبائل فى مواسم الحج . وفى اسواق العرب واماكن تجمعاتها . ومايهمنا هنا هو أن تبين أن هذا فى حد ذاته كان اتصالا جميعا حيث كان يقف النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فى هذه القبائل مبينا ابعاد دعوته . وماتأمر به وماتنهى عنه ، حتى ينتقل هؤلاء خير هذه الدعوه إلى قبائلهم وإلى من يلقونه .

وقد كان رد الفعل الخاص بهذه الممارسة الاعلاميه لهذا الا تصال الجمعى وسط هذه القبائل واضحا . فقد رد بعض رؤساء القبائل بأن هذا إن لم يكن دينا فهو خلق حسن . وهؤلاء هم بنو عامر بن صعصعة يعودون فيخبلاون شيخا كبيرا لهم بما حدث فيصيح قائلا . اين كان عقلكم عنكم يابنى عامر . هل لها من تلاف ؟ هل لذناباها من مطلب .

ثم هؤلاء هم الأنصار يستجيبون و يكتب الله لهم السعاده ، و يذهبون اعلاميين الى قومهم و يعودون فى العالم القادم مبايعين على بيعه النساء كما ذكرنا من قبل و يأخذون معهم مصعب بن عمير معلما لهم . و يعودون فى العام الثالث بعدد كبير و يبايعون بيعه العقبة الثانيه على النصره . و يقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم أنا منكم وانتم منى . تصبح المدينه بذلك عاصمه للدوله الاسلاميه المحمديه . ومركزا للاعلام بها دعنها الغ كل مكان فى العالم .

كان من نماذج الاتصال الجمعي التي مارسها النبي صلى الله عليه وسلم ايضا في مكه . اخباره بحديث الاسراء والمعرج حيث . أخبر عنه أولا بطريق الاتصال الشخصي لماأخبر به أبوجهل بن هشام . فجمع له أهل مكه . فانتقل الاتصال من الشكل الشخصي الى الجمعي .

واستنكر الكثيرون من أهل مكه هذا الحديث . فساق لهم الأدله . حيث وصف لهم بيت المقدس وصفا تفصيليا دقيقا . لايدع مجالا لشك في أنه قد رآه وزاره . من الداخل والخارج . وصدّقه في وصفه هذا من رأوا بيت المقدس من أهل مكه . بل وناقشوه وحاوروه وسألوه بدقه . فأجابهم بدقه أكثر وكان هذا دليلا على صدقه صلى الله عليه وسلم .

والاكثر من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ساق الأدله المادية لأهل مكه عن عيربنى فلان . وأنه رآها في مكان كذا . وأنهم ضل لهم بعير في مكان كذا . وأن قافله كذا تطلع عليهم الليله . وبالفعل تصل القافله .

ولايهمنا الوصف أو السرد التاريخي لما حدث في حادث الإسراء والمعرج ولكن يهمنا أن نوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مارس الاعلام عن طريق الاتصال الجمعي وسط جموع المكذبين والمعاندين . حتى ممثل هذا الحدث الغريب الذى لايصدقه عقل بشرإلا إذا كان قد مُلىء ايمانا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . ومُلىء يقينا بقدره الله عز وجل . كما حدث من أبي بكر رضى الله عنه حينا أخبروه بذلك : فأجاب على الفور قائلا : أن كان محمد قد قال ذلك فقد صدق لذا سُمّى بالصديق من هذا اليوم .

وكان من نتائج ذلك أن بدأ البعض يفكر في دعوه محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو يخبر بأشياء غريبه جدا . ومع ذلك يجهر بها بمثل هذه الطريقه . يتحدث عنها بالشرح والتفصيل ويجيب على الأسئله للجميع . و يبرهن على صدق كلامه بأدله وأمثله واقعيه ثيبت بالفعل صدقها ، ولايتأتى لكاذب أن يجهر وثيبت أمام ساده قريش بمثل هذه الطريقه بشيء كاذب لم يحدث . لابد أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق . ولابد أن دعوته هذه بالفعل رساله من عند الله ، ولم لاتكون ؟ إنه يتركهم لعمليه الاتصال الذاتي لتأخذ مجراها .

هذه مجرد نماذج لممارسه النبى صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصى والجمعى شقنناها للدلاله على عبقرية النبى صلى الله عليه وسلم الاعلامية . ولنستمد منها كيفيه ممارستنا للاعلام الاسلامى مع استخدام الوسائل الحديثه . فكما ذكرنا من قبل : الوسيله محايده ولاترفض مايُقدم لها . وليس معنى الإعلام الاسلامى العوده الى البدائيه أو رفض المستحدثات . بل أن الاسلام يراها خلالها كوسائل أما المضمون أو الرساله . فن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما الاتصال الجماهيرى كشكل من أشكال الاتصال بغض النظر عن رسائله المعروفة حديثا ــ فلم يتم ممارسة الاعلام عن طريقها فى مكه ، إنما تم التهيئة لها بارسال رسال الصحابة الى الحبشه لتدريبهم على القيام بالاعلام الدولى بعد ذلك .

وسوف نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينه قد مارس الاعلام بمختلف أشكاله وفنونه وأساليبه . وضرب لنا المثل الأعلى فى ذلك . وأرس قواعد الاعلام الاسلامى . وهذا ماسنتحدث عنه فى الكتاب القادم أن شاء الله حول الممارسة الإعلاميه للنبى صلى الله عليه وسلم فى المدينه .

خاتمه

بعد ان تحدثنا عن كيفيه ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام الإسلامى فى مكه ، كرسالة كلفه الله عز وجل بالاعلام بها . على امتداد الزمان الى يوم القيامة . والى كل مكان فى العالم . والى البشر يه جميعها . على اختلاف اجناسها وألوانها . تعدد لغاتها . حيث أن هذه الرساله هى الرسالة الخاتمه .

يجب أن نعلم أن الله تعالى قد الهم البشر ووهبهم طرق ا كتشاف أجهزه الإعلام الحديثه ليستفيدوا منها فى سبل الخير . لا من أجل نشر الفساد . ولا من أجل استخدامها لبث المضامين الساقطه . ولا المعانى السيئه . التى تدعو إلى الرز يله وتثير الفتن . تؤدى إلى التمسك بالمادية البحته . والى العقيده بأن البشر يستطيعوا أن ينظموا بأنفسهم ولأنفسهم ما يشاءوا من أشياء .

وانما يجب أن يعلم الناس جميعا أن وسائل الاعلام الحديثه من نعم الله عز وجل على عباده التى هداهم الى اكتشافها . ووهبهم إياها . فإن أساءوا استخدامها فسوف ينقلب ذلك و بالا عليهم . كما يحدث الآن فى كثير من دول العالم . حيث أصبح التقدم العلمى ذاته و بالا على أصحابه . وأصبح يتسبب فى حدوث الكوارث التى يحار العلماء من مكتشفى هذه الأشياء ذاتها فى تفسير أسباب حدوثها . حيث لا يجدون سببا ماديا ظاهرا يؤدى الى ذلك وهم فى ذات الوقت لا يؤمنون إلا بالماديات التى يرونها بأعينهم وتقتنع بها عقولهم لصغيره . ومن امثله ذلك انفجار المفاعلات الذر يه وانتشار الأمراض والأو بئه التى لا علاج لها . حتى إنهم يفكرون الآن فى إعدام من يصاب بها على الفور . وهذه مجرد أمثله على ما يحدث من جزاء سوءا استخدام المخترعات الحديثه .

أما وسائل الاعلام فإن إساءه استخدامها لبث المضامين الفاسده . فإنه يؤدى فوق ذلك . الى انتشار الأمراض المعنو يه . مثل تفش السلبيه والاستهتار والأزمات النفسيه . وتقطع الصلات الأسر يه والعائليه و بين افراد المجتمع و بعضهم البعض . وعدم الولاء للمجتمع مما ينتج عنه الاقدام على الانتحار الجماعى والتفكير فى اختراع وسائل الخراب والفساد ، والدمار العالمى وغيرها .

وليس هناك من أسباب تفسير حدوث ذلك سوى امتلاء وسائل الإعلام بالرسائل والمضامين المادية البحته . التى لاتعرف شيئًا عن الروحانيات ولا الأديان . علما بأن عقلاء المفكر ين من مواطنى الدول الأور بيه قد عرفوا ذلك وأعلنوها صريحه أنه لاحل ولاخلاص من كل ذلك إلا بالعوده الى الروحانيات ودراسة الأديان . والعوده عن الماديه وبسيادتها . ومن امثال هؤلاء . كارليل وروجيه جارودى . إذ يرى جارودى « أنه يمكن للإسلام أن يكون حيزة لنضال ضد كل ألوان الاستلاب والتسخير الواقعه على الإنسان بحجة ضرورات خارجه مزعومه تبعده عن جوهره و يقول إنه رغم العثرات والسقطات فى مذاهبنا المسيحية والاشتراكية . فإن المذاهب . تبقى خميره للحوار . مشروعات المستقبل ، وان لم تكن قد نجحت فى تجنب انزلاق الغرب مع العالم كله إلى الهلال بسبب طغيانه المادى . فالمشكلة مشكلة كونية . ولن يكون الحل إلا حلا كونيا (أى بالاسلام) ([1]) .

وهكذا يجب أن نعود إلى الاعلام الاسلامى لنملأ بمضامينه وسائلنا الاعلاميه هذا ما يجب أن يكون . وهذا هو الهدف من دراسة ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للاعلام الاسلامى . ممارسة اصحابه لتكون بنراساها ديالنا . فهو الاسوه والقدوه التى لاتخطىء . والتى ثياب الانسان على التأس بها . والاقتداء بطر يقها حيث هى خير طر يق . بها يستفيد الانسان فى دنياه وفى آخرته .

وسوف نتعرض فى الكتاب لقادم أن شاء الله تعالى لممارسه النبى صلى الله عليه وسلم للاعلام وفتونه واساليبه . ونأخذ تطبقات على ذلك . حيث تعرضنا

(١) روجيه غارودى ، مايعد به الاسلام ، ترجه قصى أتاس وميشيل واكيم ، الطبعه الثانيه (دمشق : دار الوثبه ، ١٩٨٣) ص ١٤ .

للاعداد والممارسة العامه فى مكه فى هذا الكتاب . وسوف نتعرض للمارسه والتطبقات الاعلاميه فى المدينه فى الكتاب القادم أن شاء الله .

أسال الله أن ينفع بهذا الجهد طلاب الاعلام . ودارسيه وممارسته فى البلاد العربيه والبلاد الاسلاميه وكل مكان فى العالم . حيث الاعلام الاسلامى للناس كافه عامه . وليس للمسلمين فقط .

وحسبى أن من اجتهد لدين الله فأخطا فله أجر . فإن أصاب فله أجران . والله من وراء القصد وهو المستعان .

مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية .

١ ــ ابن كثير، أبوالفداء اسماعيل .

ــ البدايه والنهايه ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٧٨ .

ــ تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربى ، القاهره (م . ت) .

٢ ــ ابن هشام ، أبومحمد عبدالملك .

ــ سيره النبى ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، دار التحرير، القاهره ، ١٩٧٣ .

ــ السيره النبوية ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، المكتبة التوفيقيه ، القاهره ، ١٩٧٨ .

٣ ــ البخارى ، أبوعبدالله محمد بن اسماعيل .

ــ متن صحيح البخارى ، مطبعة دار احياء الكتب العربيه ، القاهره (م . ت) .

٤ ــ الطبرى ، أبوجعفر محمد بن جرير .

ــ تاريخ الأمم والملوك ، المطبعة الحسينية ، القاهره (م . ت) .

ثالثا : المعجم العربية .

١ ــ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى .

ــ لسان العرب ، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهر،(م.ت) .

٢ ــ الرازى ، محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر .

ــ مختار الصحاح ، دار التنوير العربى ، بيروت (م.ت) .

٣ ــ محمود بن أحمد الزنجابى .

ــ تهذيب الصحاح ، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرون ، دار المعارف ، القاهره ، ١٩٥٢ .

رابعا : كتب عربية .

١ ــ إبراهيم إمام .

ــ أصول الإعلام الإسلامى ، دار الفكر العربى ، القاهره ، ١٩٨٥ .

ــ الاعلام والاتصال بالجماهير . الأنجلو المصريه ، القاهره ، ١٩٦٩ .

٢ ــ آدم عبدالله الألورى .

ــ تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ، الطبعة الثانيه ، مكتبه وهبه ، القاهره ، ١٩٧٩ .

٣ ــ أديب مروه .

ــ الصحافه العربيه . نشأتها وتطورها (مجهول الناشر) بيروت ، ١٩٦١ .

٤ ــ جلال الدين الحمامصى .

ــ من الخبر الى الموضوع الصحفى ، دار المعارف ، القاهره ، ١٩٦٥ .

٥ ــ جلال مظهر .

ــ محمد رسول الله ، مكتبه الخانجى ، القاهره ، ١٩٧١ .

٦ ــ جيهان رشتى .

ــ الأسس العلميه لنظريات الإعلام ، الطبعة الثانيه ، دار الفكر العربى ، القاهره ، ١٩٧٨ .

٧ ــ حافظ محمود .

ــ الإعلام العربى والاعلام الصهيونى ، القاهره ، المنظمه العربيه للتربيه والعلوم والثقافه ، ١٩٧٣ .

٨ ــ حسنين عبدالقادر .

ــ الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ، الطبعة الأولى ، مكتبه الانجلو ، القاهره ، ١٩٥٧ .

٩ ــ خالد محمد خالد .

ــ رجال حول الرسول ، دار المعارف ، القاهره ، ١٩٧٩ .

١٠ ــ رءوف شلبى .

ــ الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى ، مجمع البحوث الاسلاميه ، القاهره ، ١٩٧٤ .

١١ ــ سعيد حوى .

ــ الرسول ، الطبعة الرابعه (مجهول البلد والناشر) ١٩٧٧ .

١٢ ــ عباس محمود العقاد .

ــ عبقرية محمد ، دار نهضه مصر للطبع والنشر ، القاهره ، ١٩٧٧ .

١٣ ــ عبدالحليم محمود .

ــ القرآن والنبى ، دار المعارف ، القاهره ، ١٩٧٩ .

١٤ ــ عبدالعزيز شرف .

ــ فن التحرير الإعلامى ، الهيئه المصريه العامه للكتاب ، القاهره ، ١٩٨٠ .

١٥ ــ عبدالغفارعزيز ، وآخرون .

ــ لمحات فى السيره النبويه ، الفاروق الحديثه للطباعه والنشر ، القاهره ، ١٩٨٢ .

١٦ ــ عبداللطيف حمزه .

ــ الاعلام فى صدر الإسلام ، الطبعة الثانيه ، دار الفكر العربى ، القاهره ، ١٩٧٨ .

١٧ ــ عبدالوهاب كحيل .

ــ الحرب النفسيه ضد الاسلام فى عهد الرسول فى مكه ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كليه الآداب جامعه أسيوط ، ١٩٨٠ .

ــ الاعلام الإسلامى فى مجتمع الرسول فى المدينه ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، كليه الآداب جامعه أسيوط ، ١٩٨٣ .

ــ الأسس العلميه والتطبيقية للاعلام الاسلامى ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

١٨ ــ عمر أبوالنصر .

ــ قصة العرب قبل الإسلام ، مكتب عمر أبوالنصر للتأليف والترجمه والصحافه ، بيروت ، ١٩٧٠ .

١٩ ــ عون الشريف قاسم .

ــ نشأه الدولة الاسلاميه على عهد رسول الله ، الطبعة الثانيه ، دار الكتب الاسلاميه ، القاهره ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢٠ ــ محمد حسين هيكل .

ــ حياة محمد ، الطبعة الرابعه عشر ، دار المعارف ، القاهره ، ١٩٧٧ .

٢١ محمد سيد محمد .

ــ المسئولية الإعلامية فى إسلام ، مكتبه الخانجى بالقاهره ، دار الرفاعى بالر ياض ، ١٩٨٣ .

٢٢ــ محمد شديد .

ــ الجهاد فى الاسلام ، مؤسسة المطبوعات الحديثه ، القاهره(م . ت) .

٢٣ ــ محمد عزه دروزه .

ــ سيرة الرسول ، الطبعة الثانيه ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهره ، ١٩٦٥ .

٢٤ ــ محمد على الصابونى .

ــ النبوة والأنبياء ، دار الفتح الاسلامى ، الاسكندر يه ، ١٣٩٠هـ .

٢٥ ــ محمد على الهاشمى .

ــ شخصية الرسول ودعوته فى القرآن الكريم ، الطبعة الثالثه ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٢٦ ــ محمد يوسف الكاندهلوى .

ــ حياة الصحابة ، (مجهول الناشر والبلد) ١٣٧٨ هـ .

٢٧ ــ محيى الدين عبدالحميد .

ــ الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العمليه ، مكتبه الخانجى ، القاهره ، ١٩٨٠ .

٢٩ــ وليم الميرى .

ــ الأخبار. مصادرها ونشرها ، مكتبه الأنجلو، القاهره ، ١٩٦٨ .

خامسا : كتب مترجمه.

١ــ إداوردواكين .

ــ مقدمه إلى وسائل الا تصال ، ترجمه وديع فلسطين ، مطابع الأهرام التجار يه ، القاهره ، ١٩٨١ .

٢ــ روجيه جارودى .

ــ مايعد به الإسلام ، ترجمه قصى أتاس وميشيل واكيم ، الطبعة الثانيه ، دار الوثبه ، دمشق ، ١٩٨٣ .

الموضوع

الصفحه



رقم الايداع
٨٧/٣٧٩٦